

آفاق الجمعة

روح و فكر

من منبر مسجد سيد هاشم بهبهاني

الشيخ علي حسن غلوم





الشيخ علي حسن غلوم علي

آفاق الجمعة

روح وفكر

- ٢ -

خطب الجمعة التي ألقى من على منبر
مسجد سيد هاشم بهبهاني في الكويت
في الفترة ما بين

٧ جمادى الآخرة ١٤٣٩ هـ - ٢٣ فبراير ٢٠١٨ م

إلى

١٧ جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ - ٢٢ فبراير ٢٠١٩ م



جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

من مطبوعات

مسجد سيد هاشم بهبهاني - الكويت

تلفون : ٢٥٤٢٧٦٦٧ - ٢٥٤٢٧٩٩٧

فاكس : ٢٥٤٢٨٥٥٨

Email: alwalaa66@yahoo.com



محتويات الكتاب





محتويات الكتاب

- ٠٠٠ مقدمة الكتاب بقلم د. عبدالعزيز عبدالمحسن تقي - ١٧ -
١. ٧ جمادى الآخرة ١٤٣٩ هـ / ٢٣ فبراير ٢٠١٨ م - ١٩ -
الخطبة الأولى: التعامل مع سنن الحياة
الخطبة الثانية: لماذا تراجعنا؟ - ٢٠ -
٢. ١٤ جمادى الآخرة ١٤٣٩ هـ / ٢ مارس ٢٠١٨ م - ٢٤ -
الخطبة الأولى: الوصية
الخطبة الثانية: بين النموذجين السعودي واليوناني - ٢٥ -
٣. ٢١ جمادى الآخرة ١٤٣٩ هـ / ٩ مارس ٢٠١٨ م - ٢٩ -
الخطبة الأولى: الزهراء «عليها السلام» زوجة
الخطبة الثانية: الحياة الزوجية والجمود العاطفي - ٣١ -
٤. ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٣٩ هـ / ١٦ مارس ٢٠١٨ م - ٣٥ -
الخطبة الأولى: شئون القُصّر
الخطبة الثانية: المساواة بين الرجل والمرأة - ٣٧ -
٥. ٥ رجب ١٤٣٩ هـ / ٢٣ مارس ٢٠١٨ م - ٤٠ -
الخطبة الأولى: الإمام الباقر «عليه السلام» ومعايير التشيع
الخطبة الثانية: الإمام الباقر «عليه السلام» والغلاة - ٤٢ -
٦. ١٢ رجب ١٤٣٩ هـ / ٣٠ مارس ٢٠١٨ م - ٤٦ -
الخطبة الأولى: الإمام علي «عليه السلام» يحذّر من الغفلة
الخطبة الثانية: الإمام علي «عليه السلام» وروحية التنمية - ٤٨ -
٧. ١٩ رجب ١٤٣٩ هـ / ٦ أبريل ٢٠١٨ م - ٥٢ -
الخطبة الأولى: الحياء والإيمان
الخطبة الثانية: يوم الأرض.. الحق والمجزرة - ٥٤ -

٨. ٢٦ رجب ١٤٣٩ هـ / ١٣ أبريل ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: من وصايا النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»
الخطبة الثانية: لبس الفرو مقلوباً
٩. ٤ شعبان ١٤٣٩ هـ / ٢٠ أبريل ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: الصحيفة السجادية والباطل الفكري والأخلاقي
الخطبة الثانية: الصحيفة السجادية والباطل السياسي
١٠. ١١ شعبان ١٤٣٩ هـ / ٢٧ أبريل ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: نبوءات مبغوضة
الخطبة الثانية: انتحال النبوءات المهدوية
١١. ١٨ شعبان ١٤٣٩ هـ / ٤ مايو ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: في ذكر المكايل والموازن
الخطبة الثانية: الموازين القسط
١٢. ٢٥ شعبان ١٤٣٩ هـ / ١١ مايو ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: خطبة النبي في استقبال رمضان
الخطبة الثانية: مخاطر نقض العهد والمواثيق
١٣. ٣ رمضان ١٤٣٩ هـ / ١٨ مايو ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: المكارم العشر - القسم الأول
الخطبة الثانية: من هو العدو؟
١٤. ١٠ رمضان ١٤٣٩ هـ / ٢٥ مايو ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: المكارم العشر - القسم الثاني
الخطبة الثانية: قراءة في صلح الإمام الحسن
١٥. ١٧ رمضان ١٤٣٩ هـ / ١ يونيو ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: الخير في القرآن الكريم
الخطبة الثانية: الخير في كلمات أمير المؤمنين

١٦. ٢٥ رمضان ١٤٣٩ هـ / ٨ يونيو ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: مشاعر وداع شهر رمضان
١٠٥. -
- الخطبة الثانية: فلسطين.. بين التطفيف والنفاق السياسي
١٠٧. -
١٧. ١ شوال ١٤٣٩ هـ / ١٥ يونيو ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: من دعاء يوم الأضحى والعيد
١١٢. -
- الخطبة الثانية: مكتسبات شهر رمضان، أمانة
١١٣. -
١٨. ٨ شوال ١٤٣٩ هـ / ٢٢ يونيو ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: نجاسة الأرض أم جرح القلوب؟
١١٤. -
- الخطبة الثانية: أسياد العالم يتلاعبون بالعقول
١١٧. -
١٩. ١٥ شوال ١٤٣٩ هـ / ٢٩ يونيو ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: الإنسان والأخلاق
١٢١. -
- الخطبة الثانية: هل الأخلاق نسبية ومتغيرة؟
١٢٢. -
٢٠. ٢٢ شوال ١٤٣٩ هـ / ٦ يوليو ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: الرفق في عالم التجارة
١٢٦. -
- الخطبة الثانية: الكويت أمام تحدٍ خطير
١٢٨. -
٢١. ٢٩ شوال ١٤٣٩ هـ / ١٣ يوليو ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: التسبيح بحمد الله
١٣١. -
- الخطبة الثانية: لا راحة لحسود
١٣٣. -
٢٢. ٧ ذوالقعدة ١٤٣٩ هـ / ٢٠ يوليو ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: سرّ جاذبية الإمام الرضا
١٣٦. -
- الخطبة الثانية: كيف نحيي أمر أهل البيت؟
١٣٨. -
٢٣. ١٤ ذوالقعدة ١٤٣٩ هـ / ٢٧ يوليو ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: إغاثة الملهوف وغفران الذنوب
١٤٣. -
- الخطبة الثانية: هل لليهود حق تاريخي في فلسطين؟
١٤٤. -

٢٤. ٢١ ذوالقعدة ١٤٣٩ هـ / ٣ أغسطس ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: العبادة جسد وروح - ١٤٩.
- الخطبة الثانية: سيادة الكويت والوضع الإنساني في اليمن - ١٥١.
٢٥. ٢٨ ذوالقعدة ١٤٣٩ هـ / ١٠ أغسطس ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: الحج جسد وروح - ١٥٤.
- الخطبة الثانية: الزواج غير التقليدي - ١٥٦.
٢٦. ٢٠ ذوالحجة ١٤٣٩ هـ / ٣١ أغسطس ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: هل كان نص الغدير مفاجأة؟ - ١٦٠.
- الخطبة الثانية: تنمية الاعتزاز بالإسلام - ١٦٢.
٢٧. ٢٧ ذوالحجة ١٤٣٩ هـ / ٧ سبتمبر ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: معايير بحاجة إلى إعادة نظر - ١٦٦.
- الخطبة الثانية: نهج البلاغة في عيون وزارة الإعلام - ١٦٨.
٢٨. ٤ محرم ١٤٤٠ هـ / ١٤ سبتمبر ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: ما زادهم إلا إيماناً وتسليماً - ١٧٣.
- الخطبة الثانية: هكذا يكون القادة - ١٧٥.
٢٩. ١١ محرم ١٤٤٠ هـ / ٢١ سبتمبر ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: الأخلاق في حنايا الثورة الحسينية - ١٧٩.
- الخطبة الثانية: بين جيفارا والإمام الحسين - ١٨١.
٣٠. ١٨ محرم ١٤٤٠ هـ / ٢٨ سبتمبر ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: من دعاء الإمام زين العابدين إذا مرض - ١ - ١٨٥.
- الخطبة الثانية: نحو عولمة الثورة الحسينية - ١٨٧.
٣١. ٢٥ محرم ١٤٤٠ هـ / ٥ أكتوبر ٢٠١٨ م
- الخطبة الأولى: من دعاء الإمام زين العابدين إذا مرض - ٢ - ١٩٣.
- الخطبة الثانية: اعترافات قاتل في عالم المال - ١٩٥.

٣٢. ٣ صفر ١٤٤٠ هـ / ١٢ أكتوبر ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: الفلسفة الوجودية
- ٢٠٠ -
- ٢٠٢ - الخطبة الثانية: الوجودية الإسلامية-١
٣٣. ١٠ صفر ١٤٤٠ هـ / ١٩ أكتوبر ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: مَنْ المسئول عن توهان الشباب؟
- ٢٠٦ -
- ٢٠٨ - الخطبة الثانية: الوجودية الإسلامية-٢
٣٤. ١٧ صفر ١٤٤٠ هـ / ٢٦ أكتوبر ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: إكرام مسيرة الأربعين
- ٢١٣ -
- ٢١٥ - الخطبة الثانية: خطوات نحو عوالة الثورة الحسينية
٣٥. ٢٤ صفر ١٤٤٠ هـ / ٢ نوفمبر ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: إنسانية رسول الله
- ٢١٩ -
- ٢٢٢ - الخطبة الثانية: زواج النبي بصفية
٣٦. ١ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ / ٩ نوفمبر ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: الخطوط العامة للشريعة الإسلامية
- ٢٢٦ -
- ٢٢٧ - الخطبة الثانية: الرد على المطالبة «بحقوق المثليين»
٣٧. ٨ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ / ١٦ نوفمبر ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: بين الكذب والإيمان
- ٢٣٢ -
- ٢٣٣ - الخطبة الثانية: التدوير المعلوماتي وحيل الروابط
٣٨. ١٥ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ / ٢٣ نوفمبر ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: إيجابيات الخيال وسلبياته
- ٢٣٨ -
- ٢٣٩ - الخطبة الثانية: الصادقان في مواجهة الخرافة
٣٩. ٢٢ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ / ٣٠ نوفمبر ٢٠١٨ م
الخطبة الأولى: فتن اليهود في المدينة
- ٢٤٥ -
- ٢٤٧ - الخطبة الثانية: المرحلة الإسرائيلية

٤٠. ٢٩ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ / ٧ ديسمبر ٢٠١٨ م
 الخطبة الأولى: وصف نعيم الجنة
 - ٢٥٠.
 الخطبة الثانية: كيف نفهم القدر؟
 - ٢٥٢.
٤١. ٧ ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ / ١٤ ديسمبر ٢٠١٨ م
 الخطبة الأولى: القضاء في الإسلام
 - ٢٥٥.
 الخطبة الثانية: أخلاقيات وآداب القضاء
 - ٢٥٦.
٤٢. ١٤ ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ / ٢١ ديسمبر ٢٠١٨ م
 الخطبة الأولى: الجيرة - القسم الأول
 - ٢٦٠.
 الخطبة الثانية: بوار المكر البشري
 - ٢٦٢.
٤٣. ٢١ ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ / ٢٨ ديسمبر ٢٠١٨ م
 الخطبة الأولى: الجيرة - القسم الثاني
 - ٢٦٥.
 الخطبة الثانية: انتحار مسئول فاسد
 - ٢٦٧.
٤٤. ٢٨ ربيع الثاني ١٤٤٠ هـ / ٤ يناير ٢٠١٩ م
 الخطبة الأولى: الجيرة - القسم الثالث
 - ٢٧٠.
 الخطبة الثانية: لماذا لم يُلزم الرجل بالحجاب؟
 - ٢٧٢.
٤٥. ٥ جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ / ١١ يناير ٢٠١٩ م
 الخطبة الأولى: علم التفاوض
 - ٢٧٦.
 الخطبة الثانية: عناصر التفاوض بين الإمام علي وفيشر
 - ٢٧٨.
٤٦. ١٢ جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ / ١٨ يناير ٢٠١٩ م
 الخطبة الأولى: من أدعية الزهراء - القسم الأول
 - ٢٨٢.
 الخطبة الثانية: إياكم والجرجير!
 - ٢٨٣.
٤٧. ١٩ جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ / ٢٥ يناير ٢٠١٩ م
 الخطبة الأولى: من أدعية الزهراء - القسم الثاني
 - ٢٨٧.
 الخطبة الثانية: الأخطاء العلمية في القرآن
 - ٢٨٨.

٤٨. ٢٦ جمادى الأولى ١٤٤٠ هـ / ١ فبراير ٢٠١٩ م
الخطبة الأولى: من أدعية الزهراء - القسم الثالث
٢٩٢-
٢٩٣- الخطبة الثانية: فقدان الثقة بالإسلاميين
٤٩. ٢ جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ / ٨ فبراير ٢٠١٩ م
الخطبة الأولى: من أدعية الزهراء - القسم الرابع
٢٩٧-
٢٩٨- الخطبة الثانية: وصفة سماوية لعلاج الضغط النفسي
٥٠. ١٠ جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ / ١٥ فبراير ٢٠١٩ م
الخطبة الأولى: مسئولية أهل الذكر
٣٠٢-
٣٠٤- الخطبة الثانية: الطاقة الهائلة للتسبيح
٥١. ١٧ جمادى الآخرة ١٤٤٠ هـ / ٢٢ فبراير ٢٠١٩ م
الخطبة الأولى: بصيرة أهل الذكر
٣٠٧-
٣٠٨- الخطبة الثانية: عيد الحب.. الإسرائيلي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

خطبة الجمعة فرصة طيبة للقاء المؤمنين والاستماع للموعظة التي تتكرر مرة واحدة فقط في الأسبوع.. وتنتقل الموعظة بين موضوعات تتعلق بأمور الدين و الدنيا، وتتسم بصبغة التجديد والتفاعل والتنوع.

لذلك فإن انتقاء الأفكار وترتيبها ثم البحث عن المعلومات الخاصة بها تعتبر عملية شاقة، وتحتاج إلى جهد كبير، ولا يشعر بها المستمع للخطبة. فعلى سبيل المثال ولتقريب الفكرة، لعبة كرة القدم في كأس العالم خلفها خطة ومدرب عالمي وتدريب شاق وكوادر وأموال ضخمة تتفق، وفي نهاية المطاف يجلس المشاهد خلف التلفاز في المنزل المكيف مع الشاي والمكسرات، وينتقد المدرب واللاعبين.

بالإضافة إلى ذلك، فإن مرحلة تقديم الخطبة بحاجة إلى التركيز والتشويق في الطرح مع العناية المستمرة للالتزام بالوقت.

بناء على ما سبق، المهم هو أن يكون لنا دور إيجابي في استيعاب المفاهيم المطروحة وتقدير الجهود المبذولة، ويتحقق ذلك عن طريق الحضور المبكر، والاستماع الممتزج بالرغبة في التطبيق، وليس مجرد القيام بواجب الحضور.. والأهم من ذلك نشر هذه الأفكار في المجتمع حتى نشارك في أجر إعداد وطرح خطبة الجمعة وتعميم الفائدة منها.

من المناسب أن لا نغفل عن دور الخطيب الشيخ علي حسن غلوم عند تناول

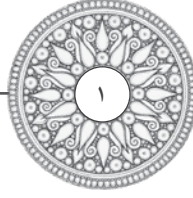
هذا الموضوع، فهو يعتبر طاقة وصاحب همة وبصيرة نافذه مقرونة بالعمل النافع
و الرغبة في التجديد، كل ذلك في سبيل الله «تعالى».

أطلب من الله العلي القدير أن يزيد الشيخ الفاضل علماً وعملاً نافعاً، وأن
نعمل بما نستمتع إليه في يوم الجمعة.

لقد كان من بيننا أحبة استمعوا إلى هذه الخطب ثم انتقلوا إلى جوار ربهم
رحمهم الله، فلتكن لنا عبرة في ذلك نستثمرها في الباقيات الصالحات.

د. عبدالعزيز عبدالمحسن تقي

استشاري التنظيم والتخطيط الاستراتيجي



الخطبة الأولى

التعامل مع سنن الحياة

قال الله «عز وجل»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ «سورة البقرة: ١٥٣».

من طبيعة الحياة أنها لا تسير على وتيرة واحدة.. لا العسر يستمر على طول الخط: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ «الشرح: ٥-٦». ولا اليُسْر الدائم هو عنوان الحياة. وقد أراد الله للإنسان المؤمن أن يعرف طبيعة الحياة، والسنن والقوانين التي أودعها الله فيها، كي لا ينهار أمامها، ولا يعيش معها الصدمة التي لا يستطيع الخروج منها.

والمعرفة لوحدها لا تكفي، إذ لا بد وأن يُتبعها الإنسان بخطوات عملية تمثل حُسن التعامل مع هذه المتغيرات السلبية والشديدة في الحياة. وبحسب الآيات الشريفة السابقة، فإن حُسن التعامل يقوم على أساسين:

١. الصبر الإيجابي الذي يدعم إرادته ويقوّيها، ويبعث فيها روح التماسك، ويحقق من خلالها الصلابة في الموقف، لا الخنوع والاستسلام للأمر الواقع.

٢. الارتباط بالله، وقمة هذا الارتباط وأوضح صورته: الصلاة التي تفتح آفاق العلاقة الرحبة بين الإنسان وبين خالقه، فيستمد من خلالها الطمأنينة والقوة، وتعمّق توكّله على العزيز الحكيم.

فلو عاش المصلّي المعنى العميق لقوله «الله أكبر»، ولو تلفّظ بتسبيحات الركوع

والسجود عن وعي وإدراك، ولو استغل فرصة القنوت للدعاء بما يجيش في صدره، ويُدرِك أنه يُخاطب العليّ القدير على كل شيء، فلا شك وأنه سيعيش مثل هذه الحالة الشعورية بالطمأنينة والقوة وتكون رافداً لصبره.

البعض يحاول أن يصوّر الصلاة والارتباط بالله «عز وجل» وكأنها وسيلة للهروب من الواقع، فينسى دوره ومسؤوليته في حركة الواقع، فتتخدر أحاسيسه، وتضعف تطلّعاته المندفعة نحو الحياة. ولكن الواقع أن الله «عز وجل» أراد للصلاة أن تكون مرفأً من المرافيء التي ينطلق من خلالها الإنسان في الحياة ليغيّر ما هو فساد إلى صلاح، وما هو باطل إلى حق، وما هو ضعيف إلى قوي. وأما الذين يحوّلون الصلاة، وحضور المساجد، والإتيان بسائر العبادات إلى وسائل للتخدير، والهروب من الواقع، فهذا شأنهم، وهم بذلك لا يقدّمون الصورة الحقيقية للغاية من تشريعها.

ثم إن من عظمة الله ورأفته بعباده أن جعل في العُسْر رحمات دنيوية وأخروية... وهذه الرحمات تزداد كلما أحسن الإنسان التعامل مع الظرف العسير الذي يمرّ فيه. وقد عاش أهل الكويت خلال الغزو والاحتلال الصدامي نموذجاً حياً لهذه الرحمات الإلهية النازلة حين أحسنوا التعامل مع الظرف العصيب الذي عايشوه، ثم أصبحت تلك الرحمات مسؤوليات والتزامات تتطلّب إدامة حفظها وحُسن رعايتها.. فما الذي جرى؟ وإلى أين نسير؟ هذا ما يحتاج إلى شيء من التفصيل في الخطبة الثانية بإذن الله «عز وجل».

الخطبة الثانية

لماذا تراجعنا؟

قال الله «عز وجل»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ



بَشْيٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿سورة البقرة: ١٥٣-١٥٧﴾.

تمثل سنة ١٩٩٠ بالنسبة إلى الكويت علامة فارقة في مسيرتها.. ففي تلك السنة تعرّضت لغزو واحتلال، وامتحان عسير، وابتلاء شديد، برزت خلاله كل العناوين التي جاءت في الآيات السابقة:

١. بَشْيٍ مِّنَ الْخَوْفِ: فقد اقترن اسم النظام البعثي في العراق بارتكاب الجرائم الوحشية، وابتكار صنوف التعذيب، والإبادة الجماعية، والأخذ بالظّنة، وغير ذلك مما هو غير خافٍ على أحد.

وقد ارتكب هذا النظام في الكويت خلال أشهر الاحتلال من جرائم القتل والتعذيب والاغتصاب والسرقّة والتدمير ما يمثل خلاصة جرائمه في العراق، ومن الطبيعي أن يكون الخوف أحد عناوين هذه المرحلة العصبية.

٢. وَالْجُوع: وهو نتيجة طبيعية لتوقّف حركة الاستيراد، وسلب الكثير من مخازن المواد الغذائية، والشلل الذي أصاب السوق المحلية، وإغلاق المحال، مما أدى إلى شح المواد الغذائية.

٣. وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ: وقد اضطر الكثيرون لبيع ممتلكاتهم وفقدوا مواردهم المالية.

٤. وَالْأَنْفُسِ: بين شهداء المقاومة، والمغدور بهم، وضحايا التعذيب، والمفقودين والأسرى.

٥. وَالثَّمَرَاتِ: حيث توقف تصدير النفط الذي يمثل عصب الاقتصاد الكويتي.

فهل انهار الشعب الكويتي الذي كان يعيش الرفاهية من قبل؟ وهل استسلم للطاغوت الغازي؟ أبداً، بل إنه واجه هذا الابتلاء الشديد بصورة أبهرت العالم.. صمود ومقاومة، سواء أكانت مقاومة عسكرية أو مدنية في الداخل، أم سياسية وإعلامية في الخارج.. هذا الصمود الذي أعجز الاحتلال من تشكيل حكومة موالية له، وتكون ذات مصداقية وقبول في الداخل والخارج.

فما الذي حفظ هذا الشعب من الانهيار؟ ما القوة التي أبقتة صامداً ومقاوماً لكل صور الترغيب والترهيب التي مارسها النظام الصدامي؟

الاستعانة بالصبر والصلاة واللجوء إلى الله في هذه المحنة.. فالمعادلة واضحة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وكيف يكون الله مع الصابرين؟ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾.

إن الله «عز وجل» يُنزل صلواته ورحماته وتسديداته وبركاته وتوفيقاته على هذا المجتمع. ومن أوضح مظاهر ذلك، تماسك الشعب ووحدته: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ «الأنفال: ٦٢-٦٣».

□ خنجر التفكك:

لو نقرأ المشهد الداخلي قبيل الغزو لالتضحّت لنا مديات التفكك والتناحر والانقسام على أسس حزبية وطائفية ومصالحية.. بين الشعب والحكومة من جهة، وبين المكونات الشعبية من جهة أخرى. ولو فكر أحدنا في الكيفية التي يمكن من خلالها إعادة اللحمة الداخلية لعجز عن الوصول إلى حل.

فما الذي أعاد اللحمة، وحقق التماسك بعد كل ذلك النفور والتخاصم والتفكك؟ إنها يد الغيب التي امتدّت فألّفت بين القلوب، ولو كنا قد أنفقنا مال الدنيا لتحقيق تلك الألفة لما أمكننا ذلك. ويجب أن ندرك أن هذا التلاحم والتماسك الوطني، والتفاف الشعب حول حكومته شجّع المجتمع الدولي على اتخاذ القرار لتحرير الكويت.. فكيف تعاملنا لاحقاً مع هذه النعمة الكبيرة؟

من المؤسف فعلاً أن نقول أن حالنا تجاه هذه النعمة جاء كالوصف القائم في قوله «عز وجل»: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ «العنكبوت: ٦٥».

□ خنجر الفساد:

هذا خنجر في الخاصرة، والخنجر الآخر تنامي الفساد.. حيث جاء في تقرير منظمة الشفافية الدولية بالأمس أن الكويت تراجعت ١٠ درجات في مؤشرها! ولم

تكن في الأساس بمرتبة محمودة من قبل، ولكن الأمر ازداد سوءاً.

□ تراجع مؤسف:

لقد كان من المفترض بالحكومة والقوى السياسية والحركات الدينية ومؤسسات المجتمع المدني بعد تحرير الكويت من براثن الغزو والاحتلال الصدامي البعثي أن تعمل على الاستفادة من التجربة الرائعة التي عاشها أبناء هذا البلد في تلاحمهم وتكاتفهم وتعاونهم الفطري وائتلافهم المسدّد من قبل الله «عز وجل»، وأن تُتمّيها وتعمّقها وترسّخها على المستوى التعليمي والتربوي والإعلامي والتنفيذي، وتحصّنها من التأثير السلبي للأزمات الطائفية التي عصفت بالمنطقة.. إلا أن مجريات الأمور جاءت على خلاف ذلك، وإذا بنا بعد أكثر من ربع قرن من التحرير نرّزح تحت وطأة الطائفية والعنصرية والروحية الحزبية المنغلقة على مصالحها، حتى بتنا نشهد بعض من ينادي بالمصالحة الوطنية يفصل الحلول التي يقدّمها ورؤاه ومقترحاته بما يخدم جماعته فقط!

إنّ الزجّ بالمفرّدين في السجون، وابتداع قوانين تجريم المشكّكين بالقضية الفلانية، والمعارضين للقانون العلاني، وإغلاق قناة هنا، وتسفير خطيب هناك، وسحب كتاب هنا، وإزالة لوحة هناك، ليس هو الحل، ولن يحقق الألفة، ولا المصالحة الوطنية، ولن يقرب الشيعي من السني، ولا الإسلامي من العلماني.. لأن المسألة أعمق من ذلك، فهي تمس العقل في قناعات الناس، وهي تمس الروح في عواطف الأفراد، وهي تمسّ الواقع في قضاياهم اليومية التي يعايشونها ويتأثرون بها، ولذا فإنّ من يريد أن يعيد الأمور إلى نصابها عليه أن يضع برنامجاً متكاملًا يرسم معالمه أصحاب الاختصاص، منطلقين من روح وطنية مخلصّة، لا يلغون ولا يهّمّشون منها أحد، ليتم تنفيذها من قبل الجهات الحكومية والأهلية بعيداً عن الحالة الشعارية التي لا تحقق على أرض الواقع نتائج حقيقية، بل تبقى مجرد إثارات عاطفية سرعان ما تختفي وتزول، لاسيما وأنّ تراجع الكويت في مؤشر مدركات الفساد مرتبط ارتباطاً وثيقاً – بحسب منظمة الشفافية الدولية – بتقلص مساحة الحريات.



الخطبة الأولى

الوصية

قال الله «عز وجل»: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ «البقرة: ١٨٠».

وعن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»: (ما ينبغي لامريء مسلم أن يبيت ليلته إلا ووصيته تحت رأسه).

الوصية في حد ذاتها مستحبة، ولكنها قد تصبح واجبة فيما لو ظهرت للإنسان علامات الموت، وفي ذمته حقوق للناس، أو مسؤوليات شرعية لم يؤدها كال كفارات والخمس والزكاة وأمثال ذلك.

وإن لم يكن للإنسان ولي يقضي عنه ما عليه من الواجبات البدنية مما يصح فيها الاستنابة والاستئجار، كقضاء الصلاة والصوم، وجب عليه أن يوصي بأن يُستأجر عنه.

وكذلك الحال لو كان له ولي ولكن لا يصح منه العمل كالطفل، أو كان ممن لا يوثق بإتيانه، أو يرى عدم صحة عمله.

ثم تأتي الوصية بالثلث من كل ما يملك، ويمكن أن يوصي بأقل من الثلث. هذه الوصية غير واجبة، أي يمكن للإنسان أن لا يوصي بها. ولا تُستحسن إذا كان سيترك ورثته في حاجة مادية.

فإن أوصى بالثلث أو الأقل، فإن الوصية ستشمل البيت الذي يملكه ويسكنه مع أسرته، وسيارته، والأثاث و... وهذا قد يوقع ورثته في حرج ومشقة، إذ أنهم سيضطرون إلى بيع كل ذلك وإخراج مقدار الوصية. ويمكن للموصي أن يستثني هذا البيت من الوصية، كما يمكنه أن يعين ثلثه في ملك محدد.

على الموصي أن يحدد موارد صرف الثلث «أو الأقل» بشكل واضح، فغنوان للفقراء مثلاً يختلف عن عنوان في وجوه البر أو في سبيل الله. وأنصح بمراجعة أهل الاختصاص للتثبت منها.

لا يشترط في الوصية أن تكون مكتوبة، وإن كان هذا هو الأفضل مع الإشهاد عليها. فلو أوصى شفاهاً وجب العمل بالوصية ما دامت مستوفية للشروط.

البعض يكتب أكثر من وصية وغير مؤرخة، فيرجى الانتباه إلى التخلص من القديمة.

الخطبة الثانية

بين النموذجين السويدي واليوناني

في عهد الإمام علي «عليه السلام» إلى مالك الأشر قال: (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ وَلَنْ تُصِيرَ مُضْرِبَ الْمَثَلِ فِي الْأَزْدَهَارِ وَالتَّعَايِشِ وَقُوَّةُ الْجَبْهَةِ الدَّاخِلِيَّةِ (لَا يُوْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ).

وفي صحيح البخاري: (أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمْ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»؟ فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»، فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ

حُدُودَ اللَّهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ قَال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ).

وفي وسائل الشيعة عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: (قال أمير المؤمنين «عليه السلام» لعمر بن الخطاب: ثلاثٌ إنَّ حَفَظْتَهُنَّ، وَعَمِلْتَ بِهِنَّ، كَفَتَكَ مَا سِوَاهُنَّ؛ وَإِنْ تَرَكَتَهُنَّ لَمْ يَنْفَعَكَ شَيْءٌ سِوَاهُنَّ. قال: وما هنَّ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ قال: إِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَالْحُكْمُ بِكِتَابِ اللَّهِ فِي الرِّضَا وَالسُّخْطِ، وَالْقَسْمُ بِالْعَدْلِ بَيْنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ. قال عمر: لَعُمْرِي لَقَدْ أَوْجَزْتَ وَأَبْلَغْتَ).

هذه هي خلاصة الموقف الإسلامي من فساد المسؤولين، ومن العدالة الاجتماعية، ومساواة الجميع أمام القانون. ومن هنا نجد علياً «عليه السلام» يوجّه رسالة شديدة اللهجة إلى أحد المعيّنين من قبله في الولايات الخاضعة لحكمه، وهي الرسالة برقم ٤١ في نهج البلاغة، قال فيها: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكَكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شَعَارِي وَبِطَانَتِي، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِي رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي، لِمُؤَاسَاتِي وَمُؤَازَرَتِي وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ. فَلَمَّا أَمَكَّنْتُكَ الشَّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ، أَسْرَعْتَ الْكُرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ، وَاخْتَلَطَفْتَ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمُصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيَّتَامِهِمْ، اخْتَنَافَ الذُّبُّ الْأَزْلَ السَّرِيعَ الْجَرِي (دَامِيَةَ الْمُعْرِى الْكَسِيرَةِ. فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ، غَيْرَ مُتَأَتِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ، كَأَنَّكَ - لَا أَبَا لَغَيْرِكَ - حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثِكَ) إِرْثَكَ (مَنْ أَيْبِكَ وَأَمَّكَ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ! أَمَّا تُوَؤَمِّنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوْ مَا تَخَافُ نَقَاشَ الْحِسَابِ! أَيُّهَا الْمَعْدُودُ - كَانَ - عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسَيِّغُ شَرَاباً وَطَعَاماً، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً، وَتَشْرَبُ حَرَاماً، وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ، وَتَتَكَبَّحُ النِّسَاءَ، مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ، الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالَ، وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ؟ فَاتَّقِ اللَّهَ، وَارْجِعْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمَكَّنَنِي اللَّهُ مِنْكَ لِأَعْذُرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ، وَلَأُضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النَّارَ! وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لِهَمَّا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلَا ظَفِرًا مَنِي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى أَخْذَ الْحَقُّ مِنْهُمَا، وَأَزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتَيْهِمَا).

لَوْ نُشِرَتْ خَرِيطَةُ الْعَالَمِ، وَطُلِبَ مِنَّا أَنْ نُؤَشِّرَ عَلَى الدُّوَلِ الَّتِي تَلْتَزِمُ بِهَذِهِ الْمُبَادِيءِ الَّتِي يَقْرَاهَا الْعَقْلُ قَبْلَ الدِّينِ، وَالضَّمِيرُ قَبْلَ الْقَانُونِ، فَإِلَى أَيْنَ سَتَتَجِهْ مُؤَشِّرَاتِنَا؟ إِلَى الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ؟

قبل ثلاثة أعوام تقريباً، قدّمت وزيرة سويدية استقالتها من الحكومة بعد أن أدينّت بسبب ملء خزان سيارتها الخاصة بالبنزين بنحو ٦٠ دولاراً من بطاقة مُنحت لها لإنجاز المهام الرسمية.

الوزيرة أكدت أنها نسيت بطاقتها الخاصة، واضطرت لاستعمال البطاقة الحكومية، وأثبتت بالوثائق أنها أعادت المبلغ في اليوم التالي دون أن يطلب منها أحد ذلك.. فهل شفع لها ذلك؟ القانون السويدي قرّر أن تصرفها بمثابة استغلال للمال العام، فاضطرت إلى تقديم استقالتها.

هذا مثال، والمثال الآخر ما جرى خلال هذا الأسبوع، حيث أقيمت وزيرة الدولة لشؤون العمل في اليونان، وهي زوجة وزير الاقتصاد أيضاً.. ما السبب؟ اكتُشف أن الوزيرة كانت تتلقّى بدل سكن بمبلغ وقدره «١٠٠٠» يورو شهرياً ولمدة سنتين، من غير وجه حق، لأنها ميسورة الحال. وعلى الرغم من إعلانها الاستعداد لردّ كامل المبلغ وقدره ٢٢ ألف يورو، إلا أن اعتذارها رُفض، كما أعلنت الحكومة اليونانية فوراً إلغاء كل بدلات السكن للوزراء غير النواب.

المثال الأول كان من دولة تحتل المرتبة ٦ بحسب مؤشر مدركات الفساد لمنظمة الشفافية الدولية، وهو دليل على ندرة حالات الفساد فيها. والمثال الثاني لدولة تحتل المرتبة ٥٩، وهي مرتبة متأخرة، والفساد فيها ليس بالقليل، ومع هذا، نجد أن الاستقالة واتخاذ الإجراء التصحيحي من قبل الحكومة جاء فوراً، ودون محسوبية لصاحب المنصب. فما الذي دفعهما لحسم الأمور بهذه الصورة، وبهذه السرعة؟

السويد مملكة دستورية، وتُصنّف بين البلدان الأولى في الرعاية الصحية، والمستوى التعليمي، وتوفير المياه النقية للشرب، والتقدم التكنولوجي والصناعي، ومضاعفة الناتج المحلي الإجمالي كل عام جديد، بما يعزّز التنمية المستدامة.

البرلمان المنتخب يشكّل فيها سلطة تشريعية حقيقية، والقانون عندهم لا يتسامح نهائياً مع الذين يتجاوزونه، بغض النظر عن مناصبهم وسائر خصوصياتهم الشخصية، وهم يعتبرون أنّ مَجْدَ مملكتهم لم يتحقق إلا باحترام القانون، وإقامة العدالة الاجتماعية، وهو ما يسعون للمحافظة عليه.

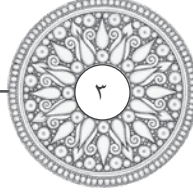
أما اليونان فتتمرّ في أزمة اقتصادية خانقة، حيث تقف منذ سنوات على حافة الإفلاس، وهي مضطرة لاتخاذ مجموعة من الإجراءات الاقتصادية والسياسية والقانونية التصحيحية لكي تنال مساعدة الدول الأوروبية وصندوق النقد الدولي، ومن بينها مكافحة الفساد المالي والإداري.

ولا أدري أيُّ النموذجين يمكنه أن يحرك الحكومات العربية والإسلامية لاتخاذ خطوات حقيقية لمكافحة الفساد، على مستوى تغليظ القوانين، والتطبيق السليم، والإصلاح الفوري.

ولا أدري أيُّ النموذجين سيجعل من برلماننا - بحق - قوى تشريعية ورقابية تعمل لمصلحة الأوطان، لا للمصالح الفردية، ولا الحزبية، ولا لأصحاب الرساميل، ولا لمراكز القوى المتصارعة فيها على نهب الثروات.

□ طعنة في القلب:

إن اقتصاديات الكثير من الدول العربية والإسلامية ليست جيدة، وهي تروح تحت طائلة الديون الهائلة، والبطالة، وعجز الموازنة، وغير ذلك. كما أنّ مؤشرات الفساد فيها تُركم الأنوف، وهي مع هذا لا تتخذ إجراءات حقيقية لمواجهة الفساد المستشري.. فماذا تنتظر؟ بالتأكيد لا أمل أن نرى هذه الدول - في القريب العاجل - وهي ترتقي لتكون كمملكة السويد من حيث الحزم في تطبيق القانون والإطاحة بروؤس الفساد، كما أننا لا نتمنى لأوطاننا أن تعيش أزمة اقتصادية ضخمة كالتّي تمرّ بها اليونان لتضطرّ إلى مكافحة الفساد، ومحاسبة الفاسدين بحزم، ولو شغلوا أعلى المناصب. وأما في الكويت فإنّ الاعتراف الحكومي بعدم وجود استراتيجية شاملة لمكافحة الفساد، كما ورد في خطة التنمية السنوية ٢٠١٨/٢٠١٩ والمرسلة إلى مجلس الأمة قبيل احتفالاتنا بأعيادنا الوطنية، جاء بمثابة طعنة في قلب كل مواطن حريص على مستقبل هذا البلد. لو تساهل القانون السويدي مع الوزارة التي استعارت ٦٠ دولاراً من المال العام وفي وقت ضيق، ثم أرجعتها بإرادتها، فإننا سنجد السويد التي تحتل المرتبة ٦ في مؤشرات الفساد - بعد سنين قلائل - تُنافسنا على مراتبنا المتأخرة... على أمل أن يأتي اليوم الذي نقيم فيه احتفالاتنا الوطنية مقرونة بالاحتفال بالقضاء على مكامن الفساد.



الخطبة الأولى

الزهراء «عليها السلام» زوجة

بين أيدينا من الأخبار ما ينقل لنا صورة التناغم والتفاهم والتواد والتراحم التي كانت تغمر بيت علي وفاطمة «عليها السلام»، ليس في الظروف الطبيعية، بل حتى في أصعب الظروف، ففي أكثر الأحيان يخرج الإنسان في الظروف العصيبة عن الحالة النفسية الطبيعية كما قال «عز وجل»: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ «المعارج: ١٩-٢٠»، إلا أن حال الزهراء وعلي لم يكن كذلك.

من بين هذه الصور ما رواه أمير المؤمنين «عليه السلام» لرجل من بني سعد، وكأنه حين يسترجع تلك اللحظات السعيدة والجميلة التي كان يعيشها مع الزهراء، إنما يفتقدها ويحنّ ويشتاق إليها.

قال: (ألا أحدثك عني وعن فاطمة الزهراء؟ إنها كانت عندي، فاستقّت بالقربة حتى أثر في صدرها، وطعنت بالرّحى حتى مجّلت يداها) أي ظهر فيها انتفاخات تحتوي على الماء من العمل بالأشياء الصّلبة الخشنة (وكسّحت البيت حتى اغبرّت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكّنت ثيابها، فأصابها من ذلك ضرٌّ شديد، فقلتُ لها: لو أتيت أباك فسألته خادماً يكفّيك حرّاً) شدة (ما أنت فيه من هذا العمل. فأنت النبي «صلى الله عليه وآله» فوجدت عنده حُداثاً) جماعة يتحدثون (فاستحيّت فانصرفت، فعلم «صلى الله عليه وآله» أنها قد جاءت لحاجة. قال «عليه السلام»: فغدا علينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونحن في لفاعنا، فقال «صلى الله عليه وآله»: السلام

عليكم، فقلت: وعليك السلام يا رسول الله، أدخل. فلم يَعدُ أن يجلس عندنا، فقال «صلى الله عليه وآله»: يا فاطمة، ما كانت حاجتك أمس عند مُحَمَّد؟ قال «عليه السلام»: فخشيتُ إن لم تُجبه أن يقوم، فأخرجت رأسي فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله). ويستمر الإمام «عليه السلام» في سرد ما جرى، حيث أخبر النبي بسبب وفود الزهراء «عليها السلام» عليه، فعرض النبي «صلى الله عليه وآله» عليهما بديلاً عن الخادم، وهي تسبيحة الزهراء الخالدة.

ويُتّضح لنا من الرواية التالية السبب الذي جعل النبي «صلى الله عليه وآله» يعرض هذا البديل حيث قال: (يا فاطمة، والذي بعثني بالحق، إن في المسجد أربعمئة رجل ما لهم طعام وثياب، ولولا خشيتي لأعطيتكِ ما سألت). ولا يخفي حال أهل الصُفّة من المهاجرين المعدّمين الذين آواهم النبي هناك.

وفي رواية أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال بعد ذلك: (مَضَيْتُ تريدان من رسول الله «صلى الله عليه وآله» الدنيا) أي ما يعينك في أمر هذه الحياة (فأعطانا الله ثواب الآخرة).

مما سبق يتبيّن أن الظرف في المجتمع الإسلامي في تلك اللحظة لم يكن يسمح بذلك، وأن رَدّة فعل النبي «صلى الله عليه وآله» كانت من وحي المسؤولية تجاه المجتمع كحاكم، وإلا فإننا نجد لاحقاً في بيت الزهراء مَنْ يقوم بهذا الدور المساعد، ولم يكن ذلك محرّماً على أهل بيت النبي.

وهكذا نالت الزهراء «عليها السلام» الأمرين بصبرها ورضاها، نالت — في الدنيا — ما كان يعينها، والخلود في تسبيحتها المباركة التي تلهج بها ألسنة الملايين ليل نهار؛ كما نالت — في الآخرة — المقام الرفيع.

ونجد في الرواية التالية عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» صورة أخرى من التفاهم والتعاون الذي كان يسود بين هذين الزوجين العظيمين حيث قال: (كان أمير المؤمنين «عليه السلام» يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة «عليها السلام» تطحن وتعين وتخبز). وحتى النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» ما كان يستنكف أن يعين هذين الزوجين، فقد دخل «صلى الله عليه وآله» ذات مرة على علي «عليه السلام» فوجده وفاطمة «عليها السلام» يطحنان في الجاروش أي رحي اليد، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»:

(أَيُّكُمَا أَعْيَى؟) من منكما يشعر بالتعب والإجهاد؟ (فقال عليّ «عليه السلام»: فاطمة يا رسول الله. فقال «صلى الله عليه وآله»: قومي يا بنيّة. فقامت وجلس النبي «صلى الله عليه وآله» موضعها مع علي «عليه السلام» فواساه في طحن الحب).

وحقُّ بالزوجة إن كانت بهذه الصورة من الصبر والتفاهم والقناعة أن يقول فيها زوجها: (ولقد كنتُ أنظرُ إليها فتتجلي عني الغمومُ والأحزانُ بنظرتي إليها).

ولنا في الخطبة الثانية بإذن الله، وقفةٌ اعتبار مع المشاهد الماضية، نستلهم منها بعض الحِكم والعِظات، في إطار إحكام العلاقة الزوجية، وترسيخ أركانها، ونزع فتيل الأزِمات التي قد تعصف بها في خضم المنعطفات الكثيرة التي تُواجهها في معترك الحياة.

الخطبة الثانية

الحياة الزوجية والجمود العاطفي

قال الله «عز وجل»: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ «الروم: ٢١».

لبيت الزوجية قداسةٌ كبرى عند الله، حتى عبّر عن الطلاق – في بعض الأحاديث النبوية – بأنه أمرٌ يهتزّ له عرشُ الرحمن! والقرآن الكريم يبيّن لنا أن العلاقة الزوجية تتضمن ميثاقاً غليظاً، ليس بالهين كسره ونقضه، قال «عز وجل»: ﴿وَأَخْذَنْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ «النساء: ٢١».

□ أخلاقيات وحقوق:

هناك أخلاقيات وآداب ومشاعر وأحاسيس تحيط بهذه العلاقة، فضلاً عن الحقوق والواجبات، ولا بد من الحرص على ذلك الجانب، كما الحرص على

جانب الحقوق والواجبات. أمّا مَنْ يريد أن يُدير بيتَ الزوجية على وقع نظام الحقوق والواجبات فقط، فإنّما يحوِّله إلى وجود ماديّ سهل التفكيك، ويحكم عليه تدريجياً بالدمار.

الروح والعاطفة والمودة وانعكاساتها هي التي تفيض الحياة والحيوية على بيت الزوجية. ومن هنا وجدنا الزهراء «عليها السلام» تَقْنَعُ بالحياة البسيطة، وتَصْبِرُ على التعب، ولا تَدْخُلُ في مساوماتِ الحقوق والواجبات مع زوجها كي تصل إلى ما تريد، كما نشهد في بعض الخلافات الزوجية اليوم.

وفي المقابل، وجدنا علياً «عليه السلام» - كما بيّنتُ في الخطبة الأولى - مع كل انشغالاته وتعبه خارج المنزل، يُبادر لإعانة الزهراء «عليها السلام» في أعمال المنزل، بل ويؤثّر أن يتعب هو لتستريح هي من العناء.

هل نظر علي «عليه السلام» - وهو يساعد في الأعمال المنزلية - إلى منظومة الحقوق والواجبات فوجد نفسه ملزماً بذلك؟ أم هل دخل في عملية مساومة معتبراً أنه بقدر ما تُعطيني أعطيك؟ من البديهي أن المسألة لم تكن كذلك.. بل كان الأمر متعلّقاً بأحاسيسه وأخلاقه وأدبه.

أمام هذه الصورة المشرقة لبيت علي والزهراء «عليهما السلام» كنموذج راق لبيت الزوجية تُطالعنا الإحصاءات الرسمية الصادرة عن هيئة المعلومات المدنية في الكويت أن سنة ٢٠١٧ شهدت ٥٦٤١ حالة طلاق، وهو ما يعادل ٢٢ حالة يومياً!

□ مخاطر الجمود العاطفي:

ومن أهم عوامل تدمير بيت الزوجية في الحالات الماضية الجمود العاطفي الذي يخيّم على العلاقة بين الزوجين.. حين يفشلان في الحفاظ على العاطفة الكبيرة التي كانت تجمعهما بقوة في بداية العلاقة، ولتتحول الحياة الزوجية إلى حركة ميكانيكية خالية من الروح والمشاعر.

هذا الجمود العاطفي يسهّل من عملية الانفصال أولاً، ثم الطلاق ثانياً، وذلك عند وقوع أبسط اختلاف بينهما أو عند بروز أبسط مشكلة.. وهذا ما يستدعي من الزوجين على طول الخط أن يمتلكا ترمومتراً حساساً يُطلق تنبيهاته حينما تبلغ المشاعر الحميمة بينهما درجات متدنّية وخطرة.

وعلى إثر هذه التنبيهات يتحرك كل طرف بطريقته ليُضفي شيئاً من الدفء على العلاقة التي برّدت، وباتت معرضة للجمود نتيجة الانشغالات، وضغوطات العمل، وروتينية الحياة الزوجية.

الملفت للنظر أن ٥٠٪ من المواطنين والمواطنات الذين وقع بينهم الطلاق قالوا: كنا نتمنى لو كان هناك من أصلح بيننا قبل أن يتم الطلاق، معبرين عن ندمهم بسبب القرار المتسرع!

□ دورات نفسية واجتماعية:

من المعلوم أن وزارة العدل تقوم بتقديم الاستشارات والدورات النفسية والاجتماعية للمقبلين على الزواج، والحديثي العهد به، وكذلك للحالات التي تعاني من مشاكل تهدد استقرار الأسرة، كما تقدّم الاستشارات بقانون الأحوال الشخصية، إلا أنّ المعطيات على أرض الواقع تبين أنّها غير كافية.

في استبانة شملت ١٠٠ مواطن ومواطنة اتّضح أن ٨٩٪ منهم اعتبروا أنّ الجهود الحكومية لتقليص معدلات الطلاق غير كافية. إذاً الأمر يحتاج إلى آليات جديدة، وقد شهدنا قبل عقد من الزمان نشاطاً أهلياً ملحوظاً في إقامة الدورات الأسرية التوعوية، سواء للمقبلين على الزواج، أو للمتزوجين فعلاً، بما يشمل قضايا شرعية وقانونية ونفسية واجتماعية وصحية متعدّدة.

وللأسف فإنّ دوامة العنف واللا استقرار التي شهدتها المنطقة خلال السنوات الماضية أثّرت بشكل سلبي وواضح على مثل هذه الأنشطة والفعاليات.

بالطبع أنا لا أتحدّث عن الدورات التي يستهدف القائمون عليها المنفعة المادية، فالبعض يحوّل كل شيء إلى بزنس.. بل أتحدّث عن الدورات وورش العمل التطوعية المنطلقة من الإحساس بالمسؤولية الرسالية والوطنية والإنسانية والتي بدأنا نلاحظ عودتها الخجولة، ونتمنى أن تستمر وتتمو.

□ انعكاسات الاستقرار الأسري:

إنّ استقرار الأوضاع الأسرية والحياة الزوجية يُحقّق جانباً مهماً من استقرار الوطن وأمنه وتتميمه، بينما تُعدّ كثرة حالات الطلاق في المجتمع مؤشراً غير صحي

يستدعي العناية والدراسة الجادة. وإذ تُبيّن بعض الاستبانات والدراسات الميدانية أن عدداً ملحوظاً من حالات الطلاق كان بالإمكان تفاديها لو وُجد الزوجان مَنْ يرشدهما ويُصلح بينهما، فإنّ هذا يتطلّب من الجهات الحكومية والأهلية بذل المزيد من الجهد والابتكار في أساليب الإصلاح الأسري، وذلك من قبيل:

١. تكثيف الدورات والبرامج وورش العمل التوعوية من جهة، والساعية لإصلاح ذات البين من جهة أخرى، على أن لا تقتصر على الزوجين فقط، بل ولتشمل أولياء أمورهم أيضاً، وذلك بغرض التوعية بشأن تخفيف حالات التدخّل السلبي الصادرة عنهم، وكل ذلك يحتاج إلى التفكير في المحفّزات المتنوّعة التي يُمكن لها أن تشجّعهم على المشاركة الفاعلة فيها.

٢. تعيين الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين والقانونيين من أهل الخبرة، والمرشدين الدينيين من أهل التقوى والصلاح في مراكز الشرطة، وفي المراكز الخدمية داخل المناطق السكنية.

٣. تفعيل وتطوير الخط الساخن للتواصل مع أصحاب الاختصاص أعلاه بما يُيسّر من عملية التدخّل السريع لحل الأزمات الزوجية.

□ السعي للإصلاح:

وأذكرّ الأعزاء ختاماً بما جاء في وصية أمير المؤمنين علي «عليه السلام» لولديه الحسنين «عليهما السلام» حيث قال: (أوصيكما، وجميع وُلدي وأهلي، ومَنْ بلغه كتابي، بتقوى الله ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فأني سمعتُ جدّكما «صلى الله عليه وآله» يقول: صلاح ذات البين، أفضل من عامة الصلاة والصيام).





الخطبة الأولى شئون القُصر

قال الله «عز وجل»: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا.... وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا.... إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ «النساء: ١٠-٢».

□ نهب أموال اليتامى:

عرفت المجتمعات البشرية طوال التاريخ حالات لا تحصى من موارد ضياع أموال اليتامى ونهبها؛ وجاءت هذه الآيات الشريفة لتحذّر وتشرّع الأحكام سعياً نحو حفظ حقوقهم.

شريعاً، عندما يُتوفى الوالد، فإنّ والده يصبح وليّ الأطفال غير البالغين؛ والقانون الكويتي يعمل بذلك، ووفق هذا القانون إن لم يكن لهم جد، وقد عين أبوهم وصياً عليهم، صار الوصي مسؤولاً عنهم وهو الذي يدير شؤونهم المالية.. وأما في حالة عدم التعيين، فإنّ الأمر مختلف.

□ تجربة رائدة:

ففي الكويت، ومن أجل ضمان حقوق هؤلاء الأيتام الصغار من المواطنين، وعدم تلاعب بعض الأقرباء الانتهازيين بأموالهم، أو ضياعها نتيجة عدم كفاءة

مَنْ يقوم بشؤونهم المالية، تم في سنة ١٩٣٨ استحداث دائرة الأيتام، ومُرت هذه الدائرة بعدة تطويرات إلى أن أصبحت في سنة ١٩٨٣ الهيئة العامة لشؤون القُصّر.

والهيئة تقوم بدور الوصاية على أبناء المتوفّى - وفق الوصف المتقدم - ما داموا دون سن الحادية والعشرين ميلادي، وتنتهي وصايتها ببلوغ القاصر إحدى وعشرين سنة ميلادية كاملة، إلا إذا رأت المحكمة استمرار الوصاية عليه بناء على طلب الهيئة أو ذوي الشأن.

وبذلك تقوم الهيئة بتوزيع الراتب الشهري للمتوفّى على زوجته وأبنائه، وتسديد ديونه، وغير ذلك من الشؤون المالية.

□ خطوة إيجابية ولكن:

لاشك أن استحداث هذه الهيئة يُعتبر خطوة إيجابية لحفظ الحقوق وتنظيم الشؤون المالية لمن يُصطَلح عليهم عنوان «القُصّر».

ولكن بعض الإجراءات التي تستغرق وقتاً طويلاً نسبياً ضمن الدورة المستندية... وكيفية اتخاذ القرار بشأن بعض الأمور الطارئة التي تخصّ احتياجات القُصّر مما يقع على عاتق الهيئة تشخيصه رفضاً أو قبولاً أو تقييداً... والاضطرار إلى مراجعة الهيئة بشأن كل جديد له علاقة بالجانب المالي للقُصّر، كطلب خادمة، أو شراء سيارة، أو بعض النفقات الطارئة، وغير ذلك من ملاحظات سلبية... تجعل بعض الحريصين على مصلحة أبنائهم يبحثون عن البديل.. فهل من بديل؟

□ ما البديل؟

نعم، البديل موجود، وقد ذكرته في البدء، ويتمثل في تعيين وصي على الأبناء وتوثيق ذلك بشكل قانوني في المحكمة، وهذا الوصي لا يتفعل دوره إلا بوفاة الوالد والأطفال دون الحادية والعشرين.

وبهذا الإجراء البسيط، يمكن لمن يودّ أن يتجنّب الدخول في أروقة الهيئة وتعقيدات الدورة المستندية للمعاملات وكل الملاحظات السابقة، على أن يكونوا حريصين في اختيار الوصي المناسب والأمين والذي قد يكون الزوجة أو الأخ أو الابن الكبير أو غيرهم بحسب المصلحة.

الخطبة الثانية

المساواة بين الرجل والمرأة

قال الله «عز وجل»: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ «النساء: ١».

مؤخراً، وبعد أن أشبعت قضية علاقة الإسلام بالإرهاب كلاماً وإثارة، وأصبحت ملفاً بالياً، وخفَّ وهج قضية الإلحاد، تم فتح ملف آخر كإشكالية موجّهة إلى الإسلام في فكره وتشريعاته وأخلاقياته وهي مسألة المساواة بين الرجل والمرأة. وأثيرت بقوة في أجواء الاحتفال باليوم العالمي للمرأة.

وامتزجت مع هذا العنوان، موارد التحرش الجنسي الكثيرة التي أثّرت في وسائل الإعلام على مدى عام تقريباً، وشملت شخصيات عالمية من كافة الفئات.. فعاتدت قضايا المرأة إلى الواجهة من جديد وفي دائرة أوسع من الدائرة الإسلامية، وشملت أكثر الدول تحرراً. ومن هنا وجدنا في هذه السنة أنّ الاحتفال بهذا اليوم كان ذا صدق خاص، صوتاً ومضموناً، حيث أثّرت قضايا من قبيل المساواة بين الرجل والمرأة، العنف ضدها، وصور الاضطهاد والاستغلال، وأمثال ذلك... فما هو موقف الإسلام من مسألة المساواة بين الرجل والمرأة؟

قرانياً، الرجل والمرأة متساويان في الحقيقة الإنسانية.. أي ليست المرأة كائناً أقل إنسانية من الرجل، بل بمقدار ما هو إنسان، هي إنسان.. على خلاف أرسطو - مثلاً - والذي اعتبر أن الرجل: (هو الذي يأمر دون المرأة، كما أن الكائن الأكبر والأكمل هو الذي يتأمر على الأصغر والأنقص).

ومن آثار هذا التساوي بينهما في الإنسانية - بحسب القرآن الكريم - تساويهما في نتيجة العمل الصالح في الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «النحل: ٩٧».

أما التمايز الجسدي الواضح بين الرجل والمرأة فيعود لتحقيق التكامل بينهما في الحياة؛ وهذا لا يمس أصل الحقيقة القرآنية السابقة والتي تؤكد على تساويهما في الإنسانية. التمايز التكويني الجسدي بينهما يؤدي إلى التباين الوظيفي، وهو بدوره يؤدي إلى التباين التشريعي:

عبادياً: من قبيل عدم التكليف بالصلاة والصيام أثناء فترة الطمث، وإعفاؤها من الصيام إن ثقل بها الحمل وأتعبها، وتشريع الاستثناءات الخاصة ببعض مناسك الحج، وغير ذلك.

مالياً: من قبيل حقها في المهر دون الزوج، وعدم إلزامها بالنفقة على الأسرة وإن كانت أغنى من زوجها، والاختلاف في بعض موارد الإرث وفي الدية، وغير ذلك.

عملياً: من قبيل عدم تكليفها بالقتال في ساحات الحروب، وفي صلوات الجمعة والعيد، فهي أمور اختيارية بالنسبة إليها.

ومن هنا فالمسألة ليست مسألة مساواة مطلقة بين الجنسين، بل مسألة عدالة بينهما، أي المساواة في ما تجب فيه المساواة، والتفريق فيما يجب فيه التفريق.

المساواة في غير مكانها ظلم يجب أن يُرفع.. هل يصح أن يكلف الولد الصغير بما يكلف به الشاب كامل القوى؟ هذا ذكر، وذاك ذكر... ولكن فارق السن يفرض اختلافاً بينهما في التكليف.

كذلك الأمر بالنسبة إلى المرأة والرجل.. الاختلاف بينهما واضح، جسدياً ونفسياً، لا بمعنى أن هذا أفضل من ذاك، بل بمعنى أن لهذا الجنس خصائص ولذلك الجنس خصائص أخرى، لأن لكل وظيفته، ومتى ما عملنا خلاف ذلك، خالفنا الفطرة... ولمخالفة الفطرة نتائج سلبية. الاختلاف التشريعي المرتبط بالاختلاف الوظيفي لا يعني سلب امتيازات عن المرأة كي نعتبره نوعاً من الاضطهاد، أو ضرباً من الحط من قيمتها كإنسانة، كي نطالب إثر ذلك بالمساواة.

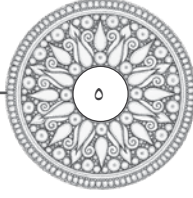
عندما لا تُكلف المرأة شريعاً - مهما كانت ثرية - في أن تنفق إلزاماً على الأسرة، على خلاف الرجل... فهل هذا سلب امتياز؟ عندما لا تلزم بالعمل لكسب الرزق للإنفاق على نفسها وأسرتها، بل يكون ذلك اختيارياً لها لو أحببت ذلك، فهل هذا سلب امتياز؟ وعندما لا تُكلف بالقتال في ساحات الحرب، فهل هذا سلب

امتياز؟ وعندما تنال حصّتها من الإرث – وفي بعض الموارد ترث هي ولا يرث الرجل – فهل هذا سلب امتياز؟ الحكم السلبي على مسألة أنّ البنت ترث نصف ما يرثه الولد، وأنّ دية المرأة أقلّ من دية الرجل فإنّ ذلك يتمّ كحكم على مفردة تشريعية بصورة انتقائية وبعيداً عن المنظومة التشريعية ككل.

في التشريع الإسلامي، ليست على المرأة التزامات مالية تجاه نفسها أو أسرتها، على خلاف الرجل، وهذا ما يؤثّر على التشريعات ذات العلاقة، كالإرث والدية.

قد يقول البعض، ولكن الأمر مختلف اليوم، فالمرأة تُفَقِّعُ على الأسرة، بل لربما نجد الزوجة تتحمّل كامل الأعباء المالية للأسرة، دون الزوج العايب.. ألا يجب تبعاً لذلك أن نغيّر التشريعات؟ الجواب عن ذلك واضح، فالتشريعات لا تتحمّل مسؤولية الاستثناءات ولا تبعات التصرفات الخاطئة للأفراد؛ فإذا وجدنا تكراراً لخرق الإشارة الضوئية الحمراء ضمن تنظيم المرور، هل نقوم بإلغاء تلك الإشارة أو رفع العقوبات عن الذين يخرقونها، أم نقوم بحملة توعوية لإرشاد قائدي المركبات لمنافع هذا التنظيم المروري، وخطورة مخالفته، وضرورة الالتزام بقواعده؟

إنني أعتقد أنّ على المدافعين عن المرأة الاتجاه نحو معالجة القضايا الحقيقية التي تعاني منها في موارد عديدة، وذلك من قبيل اضطهادها وممارسة العنف بحقها، زوجة كانت أم بنتاً أم أختاً، وموارد الاستغلال الجسدي في صناعة الإعلام والدعاية، وقضايا التحرّش الجنسي التي فضّحت العالم الغربي الذي يدّعي حفظه لكرامة المرأة واحترامه لحقوقها. وإذا كانت لدى العالم الغربي والمتأثرين به عُقدة ناشئة عن التطرّف الذكوري في ماضيه الفلسفي والعملي، والذي ترجمه فيلسوف اليونان القديم أرسطو بمقولته أنّ المرأة أقلّ درجة من الرجل في الإنسانية، والفيلسوف الألماني نيتشه بقوله: (إذا ذهبت إلى المرأة فلا تنس السُّوط)، فإننا كمسلمين لا نعيش تلك العقدة من حيث المبدأ، بل نمتلك قاعدة قرآنية تنص على المساواة بين الرجل والمرأة في الإنسانية، ووصية نبوية تقول: (اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله).. وأما ما كان مخالفاً لذلك على المستوى التطبيقي من قبل المسلمين، فأمر لا علاقة له بالمبدأ، بل بحاجة إلى معالجة أخرى سأتطرق إليها في خطبة لاحقة بإذن الله «عز وجل».



الخطبة الأولى

الإمام الباقر «عليه السلام» ومعايير التشيع

عند مراجعة مجموعة الأحاديث المروية عن الإمام محمد الباقر «عليه السلام» نجد تكراراً وتركيزاً على بيان صفات ومشخصات الولاء والتشيع لأهل البيت «عليهم السلام».

تارة بالانطلاق برواية قول إمام هذه المدرسة أمير المؤمنين علي «عليه السلام» كما في الخبر التالي الذي رواه الكليني في الكافي: عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: (شيعتنا المتبذلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا) أي أن توليهم لأهل البيت يدفعهم إلى الإحساس بانتماء بعضهم لبعض وأنهم وحدة واحدة. ولهذا انعكاسات، ومنها أن يعين بعضهم بعضاً مادياً عند الحاجة، كما أن اشتراكهم فيمودّة أهل البيت يجب أن تكون الدافع لهم لكي يحب بعضهم بعضاً (المتزاورون في إحياء أمرنا، الذين إذا غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا) والإسراف هنا لا يخص الإنفاق، بل المراد به ألا يفقدوا حالة التوازن في شخصياتهم، بأن يحافظوا على حالة الاتزان في تصرفاتهم وفي علاقاتهم بالآخرين وفي التزامهم الشرعي (بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا) .. ما أروع هذا الوصف!

□ كونوا النمرقة الوسطى:

وتارة أخرى بلسانه كما في الكافي أيضاً عن عمرو بن خالد، عن أبي



جعفر «عليه السلام» قال: (يا معشر الشيعة - شيعة آل محمد - كونوا النُّمْرُقَةَ الوُسْطَى) أي الوسادة، وقد قال «عز وجل» في الآية ١٥ من سورة الغاشية: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ والتشبيه بالنُّمْرُقَة لأنه يُعتمد عليها، والتقييد بالوسطى لكونهم بين الإفراط والتفريط (يَرْجِعُ إليكم الغالي) فالمغالي يتجاوز الحد المطلوب، وعليه أن يلتفت إلى المعيار الذي يُقيّم به أفكاره ومتبنياته ومواقفه فيعود إليها ولا يكابر ولا يزايد (ويلحق بكم التالي) وهو المتأخر عن الركب الذي يحتاج إلى أن يصل إلى مَنْ يمثل الحالة الوسطية ليأخذ عنه ويهتدي به (فقال له رجل من الأنصار يُقال له سعد: جعلت فداك، ما الغالي؟ قال قومٌ يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك منّا ولسنا منهم. قال: فما التالي؟ قال: المرتادُ) أي الطالب (يُريدُ الخيرَ، يُبلِغُهُ الخيرَ، يوجِّرُهُ عليه). فمن يمثّل الحالة الوسطية سيعمل على أن يكون بمثابة الملجأ إليه فيوصله إلى الخير فينال الأجر (ثم أقبل علينا فقال: واللّه ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حُجّة، ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة، فمن كان منكم مُطيعاً لله تتفعّه ولايتنا، ومَنْ كان منكم عاصياً لله لم تتفعّه ولايتنا، ويَحْكَم لا تغتروا، ويَحْكَم لا تغتروا).

□ خطر الإرجاء:

من الواضح جداً أنّ الإمام كان يشخّص خطراً مُحدّداً بالتشيع والولاء لمدرسة أهل البيت «عليهم السلام» وفعلاً كنوع من الانحراف الذي يحاول تميع الصورة الحقيقية المتمثلة في المقوّمات الرئيسة للشخصية المؤمنة التي عرضها القرآن الكريم بوضوح: الإيمان والعمل الصالح.. الإيمان والتقوى.. الإيمان والأخلاق.

وأيّ ادّعاء سوى هذا باطل، ومتعارض بجلاء مع النص القرآني ومع تعاليم أهل البيت.. هذه الحركة كانت نوعاً من عقيدة الإرجاء التي اختلقها الأمويّون فتغلّغت إلى التشيع.

□ خطر الغلو:

الخطر والانحراف الآخر الكبير الذي كان يُقلق الإمام الباقر «عليه السلام» وصرّح به في الحديث السابق هو خطر الغلو، وهو ما سنسلط عليه الضوء في الخطبة الثانية بإذن الله «عز وجل».

الخطبة الثانية

الإمام الباقر «عليه السلام» والغلاة

ذكرت في الخطبة الأولى أن الإمام الباقر «عليه السلام» كان يشخص خطرين مُحَدَقَيْن بالتشيع والولاء لمدرسة أهل البيت «عليهم السلام»، الأول يتمثل في عقيدة الإرجاء التي تغلغت من المدرسة الأموية واقتحمت عالم التشيع.. والثاني الغلو في أهل بيت النبي «عليهم السلام».

في كتاب اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي: (قال أبو عبد الله «عليه السلام»: إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ صَادِقُونَ، لَا نَخْلُو مِنْ كَذَابٍ يَكْذِبُ عَلَيْنَا) وكأنها سُنَّةٌ تاريخية (فَيَسْقُطُ صِدْقُنَا بِكَذِبِهِ عَلَيْنَا عِنْدَ النَّاسِ) أي أَنَّ الجهود التي كان يبذلها أولئك الكذّابون بالوضع والتحريف كان مؤثراً في الناس.. وللأسف فإن هذا التأثير مستمر إلى اليوم على الرغم مما بذله النبي وآله لبيان معايير تمييز الصدق من الكذب. ثم بدأ الإمام الصادق «عليه السلام» بتقديم أمثلة الكذابين من عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أن وصل إلى أبيه الباقر، قال الراوي: (ثم ذكّرنا المغيرة بن سعيد، وبزيعاً، والسري، وأبا الخطاب، ومُعَمَّرًا، وبشاراً الأشعري) والصحيح الشعيري (وحمزة الزبيدي، وصائد النهدي، فقال: لعنهم الله، إِنَّا لَا نَخْلُو مِنْ كَذَابٍ يَكْذِبُ عَلَيْنَا أَوْ عَاجِزِ الرَّأْيِ) وكأنه يشير إلى مَنْ لَا يَمْلِكُ حُجَّةً عَلَى كَلَامِهِ فَيَخْتَلِقُ كَلَامًا يَنْسِبُهُ إِلَى الْإِمَامِ (كفانا الله مُؤَنَّةَ كُلِّ كَذَّابٍ، وَأَذَاهُمْ اللَّهُ حَرَّ الْحَدِيدِ).

□ استقطاب كبير في العراق:

الأسماء الماضية تمثل قادة حركة الغلو على عهد الإمام الباقر «عليه السلام» ثم الإمام الصادق «عليه السلام»، وكانت حركتهم مؤثرة وناجحة، واستطاعوا أن يَسْتَقْطَبُوا جمهوراً كبيراً في العراق، لاسيما بلحاظ البُعد المكاني بينهم وبين مستقرّ الإمامين في المدينة المنورة، ومن خلال الاستعانة بالأساليب المختلفة التي كانوا يكذبون بها على الناس ويخدعونهم بها.. ولنلاحظ الرواية التالية الواردة في نفس المصدر السابق:

عن بُريد بن معاوية العَجَلِي، قال: (كان حمزةُ بنُ عمارَةَ الزُّبَيْدي لعنه الله) وهو أحد المذكورين في الخبر السابق (يقول لأصحابه: إنَّ أبا جعفر «عليه السلام» يأتيني في كل ليلة) أي في عالم الحقيقة (ولا يزال إنسان يزعم أنه قد أراه أياه.) أي وكان أصحاب الزبیدی يدعون أنه أراهم الإمام عياناً، فهل كان يخدعهم أم كانوا متواطئين معه؟ (فقدّر لي أنني لقيت أبا جعفر «عليه السلام» فحدثته بما يقول حمزة، فقال: كذب عليه لعنة الله، ما يقدرُ الشيطانُ أنْ يمثُلَ في صورة نبي ولا وصي نبي).

□ من حيل الغلاة:

ولاحظ الآن واحدة من حيل هؤلاء الكذابين على الأئمة مما كانوا يخدعون به بسطاء الناس. ففي كتاب رجال الشيخ الكشي وهو يتحدث عن أحد الغلاة المعاصرين للكاظم «عليه السلام» والرضا «عليه السلام» وهو محمد بن بشير: (وكان يقول في موسى بالربوبية، ويدعي لنفسه أنه نبي وكان عنده صورة قد عملها وأقامها شخصاً) أي مجسمة (كأنه صورة أبي الحسن «عليه السلام» في ثياب حرير قد طلاها بالأدوية وعالجها بحيل عملها فيها حتى صارت شبيهاً بصورة إنسان، وكان يطويها) وكأنها نوع من المجسمات البالونية (فإذا أراد الشعبذة نفخ فيها حتى صارت شبيهاً بصورة إنسان. وكان يطويها فإذا أراد الشعبذة نفخ فيها فأقامها، وكان يقول لأصحابه إنَّ أبا الحسن عندي، فإن أحببتُم أنْ تروه وتعلموا أنني نبيّ فهلموا أعرضه عليكم) ولعل هذا كان بعد استشهاد الإمام. وقد تتساءل كيف يمكن للناس أن يصدقوا مثل هذه السخافات؟ والجواب يكمن في الخلفية العقديّة والثقافية لأهل المنطقة، فقد كانوا من النصاري، ومثل هذا المعتقد كان جارياً عندهم في السيد المسيح، ألوهيته، قتله، ثم عودته إلى الحياة (فكان يُدخلهم البيت والصورة مطوية معه. فيقول لهم: هل ترون في البيت مُقيماً أو ترون فيه غيبي وغيركم؟ فيقولون: لا، وليس في البيت أحد. فيقول: اخرجوا. فيخرجون من البيت فيصير هو وراء الستر بينه وبينهم، ثم يقدم تلك الصورة ثم يرفع الستر بينه وبينهم. فينظرون إلى صورة قائمة وشخص كأنه شخص أبي الحسن، لا يُنكرون منه شيئاً. ويقف هو منه بالقرب فيُريهم من طريق الشعبذة) أي الخداع البصري (أنه يكلمه ويناجيه ويدنو منه كأنه يساره، ثم يغمزهم أن يتنحوا فيتنحون، ويسبل الستر بينه وبينهم، فلا يرون شيئاً).

□ مكائد المغيرة بن سعيد:

ونعود مجدداً إلى اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي، وفيه الخبر التالي الذي يبين لنا أسلوباً آخر مارسه الغلاة في الكذب والدس على الباقر «عليه السلام»، وبيان الطريق الذي من خلاله نُمَيِّز بين هذه الأكاذيب وبين ما يمكن أن يكون صادراً عن الإمام، فقد سئل يونس بن عبد الرحمن وهو من أصحاب الرضا «عليه السلام»: (يا أبا محمد، ما أشدك في الحديث وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا، فما الذي يحملك على ردّ الأحاديث؟ فقال: حدّثني هشام بن الحكم أنه سمع أبا عبد الله «عليه السلام» يقول: لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة) أي المؤكدة (أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإن المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها أبي، فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا عز وجل وسنة نبينا محمد «صلى الله عليه وآله» فإننا إذا حدّثنا قلنا: قال الله عز وجل، وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله». قال يونس: وافيت العراق فوجدت بها قطعة من أصحاب أبي جعفر «عليه السلام»، ووجدت أصحاب أبي عبد الله «عليه السلام» متوافرين، فسمعت منهم وأخذت كتبهم فعرضتها من بعد على أبي الحسن الرضا «عليه السلام»، فأنكر منها أحاديث كثيرة أن يكون من أحاديث أبي عبد الله «عليه السلام»، وقال لي: إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله «عليه السلام». لعن الله أبا الخطاب. وكذلك أصحاب أبي الخطاب يدسون هذه الأحاديث إلى يومنا هذا في كتب أصحاب أبي عبد الله «عليه السلام»، فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن، فإننا إن تحدّثنا حدّثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة).

□ وصية للإمام الباقر:

بعد هذه الجولة السريعة في الأخبار التي بيّنت لنا جانباً من التحديات والأخطار المحدقة، نتوقف للحظات مع وصيتين للإمام الباقر «عليه السلام»، هما بمثابة رسائل تمسّ واقعنا بشكل كامل.

ففي أمالي الشيخ الطوسي عن جابر قال: (دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي «عليه السلام» ونحن جماعة بعدما قضينا نسكنا، فودّعناه وقلنا له: أوصنا يا بن رسول الله. فقال: ليُعن قوئكم ضعيفكم، وليعطف غنيكم على فقيركم، ولينصَح الرجل أخاه كنصيحته لنفسه. واكتموا أسرارنا، ولا تحملوا الناس على أعناقنا، وانظروا أمرنا وما جاءكم عنا، فإن وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردّوه، وإن اشتبه الأمر عليكم فيه فقفوا عنده وردّوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح

لنا).

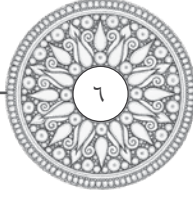
□ الوصية الثانية:

الوصية الثانية في كتاب شرح الأخبار للقاضي النعمان عن أبي جعفر محمد الباقر «عليه السلام»، أنه قال: (رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا مِنْ شِيعَتِنَا حَبَّبْنَا إِلَى النَّاسِ وَلَمْ يَبْغِضْنَا إِلَيْهِمْ. أَمَّا وَاللَّهِ، لَوْ يَرُوءُونَ مَا نَقُولُ، وَلَا يَحَرِّفُونَهُ، وَلَا يَبْدِلُونَهُ عَلَيْنَا بِرَأْيِهِمْ، مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُتَعَلَّقَ عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ) لماذا؟ لَأَنَّ كَلَامَهُمْ مُوَافِقٌ لِلْقُرْآنِ، وَلَأَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ إِلَّا زِينًا، وَلَأَنَّهُمْ مَنْبَعُ الْحِكْمَةِ (وَلَكِنَّ أَحَدَهُمْ يَسْمَعُ مَنَا الْكَلِمَةَ، فَيُنِيطُ عَشْرًا) أي يعلق ويضيف إليها عشر كلمات (ويتناولها برأيه) هذه الزيادات اللفظية التي يأتي بها الراوي والتفسيرات المغلوطة المتلازمة مع هوى النفس هي التي توقع الناس في الورطات (رَحِمَ اللَّهُ مَنْ سَمِعَ مَا يَسْمَعُ مِنْ مَكْنُونٍ سَرَّنَا، فَدَفَنَهُ فِي قَلْبِهِ. ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ، لَا يَجْعَلُ اللَّهُ مِنْ عَادَانَا وَمَنْ تَوَلَّانَا فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ) وكأنَّ العبارة الأخيرة تحذيرٌ مِنْ وَقُوعِ مَنْ يَخَالَفُ تِلْكَ التَّوَصِيَّاتِ فِي مَهْلَكَةِ الْعِدَاءِ لَهُمْ.

□ حقيقة التشيع:

إنَّ التَّشِيعَ لِأَهْلِ بَيْتِ النَّبِوَةِ وَمَوَالِيهِمْ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَوِلَايَتِهِ، وَبِالْتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَبِالْتَّمَسْكِ بِالْقِيمِ الْفَاضِلَةِ وَمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَبِالْتِّزَامِ وَصَايَاهُمْ الَّتِي حَذَّرُوا فِيهَا مِنَ الْغُلُوِّ بِشَأْنِهِمْ، وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَفْسِيرِ مَقُولَاتِهِمْ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَنَا.. وَأَنْ نَجْعَلَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ حَكْمًا فِيمَا بَلَّغَنَا عَنْهُمْ، فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ أَخَذْنَا بِهِ، وَمَا خَالَفَهُ رَدَدْنَاهُ.





الخطبة الأولى

الإمام علي «عليه السلام» يحذر من الغفلة

من خطبة لأمير المؤمنين «عليه السلام» كما في نهج البلاغة برقم ٢٣٠: (فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ) تسدّد وتوجّه مسيرة الإنسان في الاتجاه السليم (وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ) حيث سيجني الإنسان في الآخرة ثمرات التقوى (وَعِتَقُ مَنْ كُلِّ مَلَكَةٍ) خلاص وعتق للإنسان من كل ما يمكن أن يحوّله إلى عبد، من شهوة، أو إنسان، أو دنيا، أو غير ذلك (وَنَجَاةُ مَنْ كُلِّ هَلَكَةٍ. بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ) الذي يطلب رضا الله والجنة (وَيَنْجُو الْهَارِبُ) الذي يهرب من غضب الله وعقابه (وَتُنَالُ الرِّغَائِبُ. فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ) اعملوا ما دامت الفرصة قائمة بحياتكم في هذه الدنيا، لأن الموت إذا فاجأكم حال شبابكم أو كهولتكم فلن تكون هناك فرصة أخرى (وَالْتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالِدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِئَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ) أما إذا مات الإنسان رُفِعَ القلم عن كتاب أعماله إلا اللهم مَنْ يترك أثراً طيباً من ولد صالح يدعوله أو علم يُنتفع به أو صدقة جارية تجعل رصيده متنامياً وإن غادر هذه الحياة.

□ الاستفادة من القوى:

ثم ينبّه الإمام «عليه السلام» في المقطع اللاحق إلى حُسن استغلال الفترة التي يكون فيها الإنسان في قوة من جسده وعافية من صحته ونشاط من حركته، لأن المرحلة التي تليها مرحلة ضعف وتقهقر القوى، هذا إن لم يفاجئه المرض المقعد أو الموت وهو في ريعان شبابه وقوته: (وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُرًا نَاقِصًا، أَوْ مَرَضًا حَاسِبًا،

أَوْ مَوْتًا خَالِسًا، فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمٌ لَذَاتِكُمْ، وَمُكَدِّرٌ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدٌ طِبْيَاتِكُمْ. زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وَفَرَنْ غَيْرُ مَغْلُوبٍ (أَيُّ أَنَّهُ قَرِينُ الْإِنْسَانِ يَلْحَقُهُ وَلَا فُكَاكَ مِنْهُ فَإِذَا حَانَتِ اللَّحْظَةُ انْقَضَ عَلَيْهِ وَقْهَرُهُ (وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ) وَكَأَنَّ الْمَوْتَ إِنْسَانٌ يَغْتَالِكُ دُونَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَنْ يَأْخُذُ لَكَ بِالنَّارِ مِنْهُ (قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ) قَدْ وَقَعْتُمْ فِي مَصِيدَتِهِ فَمَسْأَلَةُ مَوْتِكُمْ هِيَ مَسْأَلَةُ وَقْتٍ لَا أَكْثَرَ (وَتَكْنَفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ) وَأَحَاطَتْ بِكُمْ مَصَائِبُهُ (وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ) نَصَالُ سَهَامِهِ حَادَةٌ وَطَوِيلَةُ فَلَا مَهْرَبَ مِنْهَا إِذَا أَصَابَتْكُمْ (وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطَوَاتُهُ، وَتَنَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدَوَاتُهُ) بِالْأَمْرَاضِ وَالْهَمُومِ وَضَعْفِ الْعَقْلِ وَالْجَسَدِ (وَقُلْتُ عَنْكُمْ نَبَوَاتُهُ) أَخْطَاؤُهُ (فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلْمِهِ، وَاحْتِدَامُ عُلَاهُ، وَخَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَآلِيمُ إِرْهَاقِهِ، وَدُجُو أَطْبَاقِهِ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ).

□ تصوير رائع:

ما أروع هذا التصوير! وكأن الموت موجود ضخم مرعب يسد أفق الإنسان، فتظلم الدنيا من حوله، ويُطبق عليه لتبدأ المعاناة الجسدية والروحية المأرورعاً (فَكَأَنَّ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً، فَأَسْكَتَ نَجِيَّتَكُمْ) عند الموت يتوقف الإنسان عن الكلام حتى على مستوى الصوت المنخفض (وَفَرَّقَ نَدِيَّتَكُمْ) يتفرق جمع الناس من حولكم (وَعَفَى آثَارَكُمْ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وَرَائَكُمْ، يَقْتَسِمُونَ تَرَاتِكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ، وَآخِرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ).

□ ما العمل؟

أمام هذه الحقائق المؤلمة والواضحة والحتمية، ما العمل؟ (فَعَلَيْكُمْ بِالْجَدِّ وَالْاجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُبِ وَالِاسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ، وَلَا تَغْرُنْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دَرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غَرَّتَهَا، وَافْتَنَوْا عَدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جَدَّتَهَا، وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنَهُمْ أَجْدَانًا، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا، لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلَا يَحْفَلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ. فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ غَرَارَةٌ، خَدُوعٌ مَعْطِيَةٌ، مَنْوَعٌ مَلْبَسَةٌ، نَزْوَعٌ لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرُكِّدُ بَلَاؤُهَا).

الخطبة الثانية

الإمام علي «عليه السلام» وروحية التنمية

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» أنه قال: (فضيلة السلطان عمارة البلدان).

في الاصطلاح الإسلامي يُطلق على التنمية عنوان عمارة البلدان، لأن العمارة نقيض الخراب، وبالتالي فإنَّ عمارة البلدان هي كل عمل يتم من خلاله تحقيق ما من شأنه تيسير حياة الناس وتحسين أحوالهم الاقتصادية، والصحية، والثقافية، والاجتماعية، وما إلى ذلك، وهذه هي التنمية. والنص السابق يؤكد على أمرين: الأول: أن الإسلام لا يعتني فقط بالتنمية الدينية والعبادية للفرد والمجتمع، بل ويهتم بالتنمية المرتبطة بكافة مناحي الحياة.

الثاني: أن التنمية من المقاييس الرئيسة لتقييم أداء الحكومة إيجاباً وسلباً.. فكلما زادت التنمية كلما زاد نجاح الحكومة، والعكس صحيح.

□ رسالة الإمام إلى قُرْطَة:

ويروي لنا المؤرّخ اليعقوبي في تاريخه أنَّ علياً «عليه السلام» كتب رسالة إلى عامله على فارس الصحابي قُرْطَة بن كعب الأنصاري «كان حامل راية الأنصار في صفين. ومن المفارقات أنَّ من بين أبنائه ولدين، أحدهما عمرو والآخر علي، فأما عمرو فاستشهد مع الحسين «عليه السلام»، وأما علي فكان مع عمر بن سعد في ذلك اليوم وهجم على الإمام يريد قتله فطعنه نافع بن هلال فأصابه.. فبما لمفارقات الحياة».

نعود إلى رسالة الإمام «عليه السلام» وفيها: (أما بعد، فإنَّ رجالاً من أهل الذمّة من عمّلك) أي ممن يقعون تحت سلطتك (ذكروا نهراً في أرضهم قد عفا وادّفن، وفيه لهم عمارة على المسلمين) أي من حقّهم على المسلمين أن يعمرّوا لهم ذلك النهر (فانظر أنت وهم، ثم اعمر وأصلح النهر؛ فلعمري لأنَّ يعمرّوا أحبَّ إلينا من أن

يَخْرُجُوا وَأَنْ يَعْجَزُوا أَوْ يُقْصَرُوا فِي وَاجِبٍ مِنْ صِلَاحِ الْبِلَادِ. وَالسَّلَامُ).

وهذا يعني أن الناس - في المنظور الإسلامي - سواسية في أمر التنمية، ومن مسؤوليات الدولة أن تحقق ذلك للجميع بغض النظر عن أديانهم ومعتقداتهم.

□ مسؤولية فردية أيضاً:

وفي حديث آخر يؤكد الإمام «عليه السلام» أن التنمية ليست مسؤولية الدولة لوحدها، بل هي من المسؤوليات الفردية أيضاً، قال: (إِنَّ مَعَايِشَ الْخَلْقِ خَمْسَةٌ..... وَأَمَّا وَجْهُ الْعِمَارَةِ فَقَوْلُهُ «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، فَأَعْلَمْنَا «سُبْحَانَهُ» أَنَّهُ قَدْ أَمَرَهُمْ بِالْعِمَارَةِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ سَبَباً لِمَعَايِشِهِمْ بِمَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ؛ مِنَ الْحَبِّ، وَالثَّمَرَاتِ، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ، مِمَّا جَعَلَهُ اللَّهُ مَعَايِشَ لِلْخَلْقِ).

أي أن على الإنسان استثمار الخيرات والطاقات التي أودعها الله عز وجل في هذا الوجود في مجال التنمية، وعليه فإن مقياس نجاح الفرد - أيضاً - في أدائه فيما له علاقة بالحياة الدنيا مرتبط بالتنمية التي يحققها هو لذاته، ولما، ولمن حوله كذلك.

□ استقامة في مواجهة الصعاب:

وقد تُواجه الفرد بعض الصعوبات أو الظروف التي تحول دون تحقيق طموحاته، فهل يستسلم لها؟ أمير المؤمنين خير مثال لذلك، فبعد وفاة النبي وما جرى من أحداث السقيفة وتوابعها، لم يُحِبَطْ علي «عليه السلام» ليغدو حبيس بيته، بل انطلق في مجال التنمية الزراعية وتوفير المياه لعامة الناس. وواحدة من مشاريعه أرض تُعرف باسم «ينبع» والمعروفة اليوم باسم «ينبع النخل»، وهي على بعد ١٦٠ كم تقريباً من المدينة المنورة باتجاه البحر، وفيها اليوم عدة قرى باسم عين علي وعين حسن وعين حسين، وفيها قبر الحسن المثنى بن الإمام الحسن المجتبي «عليه السلام»، وقد وصفها ياقوت الحموي في «معجم البلدان» بأنها قرية غناء لبني حسن بن علي «عليه السلام».

عن أيوب بن عطيّة الحذاء، قال: (سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ «عليه السلام» يَقُولُ: قَسَمَ نَبِيُّ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» الْفَيَّءَ فَأَصَابَ عَلِيّاً «عليه السلام» أَرْضاً، فَاحْتَفَرَ فِيهَا عَيْنًا، فَخَرَجَ مَاءٌ يَنْبَعُ فِي السَّمَاءِ كَهَيئَةِ عُنُقِ الْبَعِيرِ، فَسَمَّاها يَنْبَعُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ يُبَشِّرُ،

فَقَالَ «عليه السلام»: بَشِّرِ الْوَارِثَ، هِيَ صَدَقَةٌ بَنَّةٌ بَنَّا فِي حَاجِجِ بَيْتِ اللَّهِ، وَعَابِرِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا تُبَاعُ، وَلَا تُوهَبُ، وَلَا تُورَثُ).

وصار «عليه السلام» يعمل فيها بيده، يُصلح الأرض ويحضر الآبار ويزرع، حتى أن الصحابي أبا فضالة الأنصاري الذي استشهد لاحقاً في صفين: (خرج عائداً لعلِّي يَنْبُعُ، وكان مريضاً، فقال له: ما يُسكنك هذا المنزل؟ لو هلكت لم يَلِكْ إِلَّا الْأَعْرَابُ، أَعْرَابُ جُهَيْنَةَ، فَاحْتَمَلْ إِلَى الْمَدِينَةِ فَإِنْ أَصَابَكَ قَدَرٌ) توفيت (وَلَيْكَ أَصْحَابُكَ. فقال علي «عليه السلام»: إِنِّي لَسْتُ بِمَيِّتٍ مِنْ وَجَعِي هَذَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» عَهْدٌ إِلَيَّ أَلَّا أَمُوتَ حَتَّى أَضْرِبَ، ثُمَّ تُخَضَّبُ هَذِهِ - يَعْنِي لِحْيَتَهُ - مِنْ هَذِهِ، يَعْنِي هَامَتَهُ).

هذه الحالة من الإصرار عند علي «عليه السلام» وعدم اليأس والإحباط هي من سماته المعهودة، ففي كتاب «حلية الأولياء» للأصفهاني عن مجاهد بن جبر: (خرج علينا علي بن أبي طالب يوماً معتجراً) طريقة في ارتداء العمامة (فقال: جمعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، إذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً) طيناً جافاً (تريد بله، فأتيته فقاطعتها) اتفقت معها في مقابل (كل ذنوب) دلو (على تمر). فمددت ستة عشر ذنوباً حتى مجلت يداي) ظهرت الانتفاخات من خشونة الحبل (ثم أتيت الماء فأصببت منه، ثم أتيتها فقلت) فعلت (بكفي هكذا بين يديه... فعدت لي ستة عشر تمر. فأتيت النبي فأخبرته، فأكل معي منها) وفي رواية أخرى: (ثم غسلت يدي فذهبت بالتمر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال لي خيراً ودعا لي).

□ المشاريع الخيرية:

هذه هي روحية علي «عليه السلام» العالية وهمته في مواجهة الظروف الصعبة، لا يستنكف من العمل، وهو هو... ولا يسقط ولا يُحبط أمام الظروف العصيبة، بل ينهض في كل مرة ليبحث عن طريق جديدة يستطيع من خلالها أن يغيّر الواقع من حوله إلى ما هو أحسن.. وهذه من أهم سمات من يريد تحقيق التنمية على المستوى الفردي والعام.

ولديّ هنا ملاحظة تخصّ الأعزّاء المتبرّعين لإقامة المشاريع الخيرية الدينية، وكذلك القائمين على تأسيسها في البدان الفقيرة والمنكوبة. فلنجعل جزءاً من

إنجازاتنا الخيرية ذات الطابع الديني أن نلاحق النتائج على صعيد ما تحققه تلك المشاريع من تغيير إيجابي في واقع المستفيدين منها، لا على المستوى الديني فحسب، لاسيما بلحاظ أن من الأهداف الرئيسة للشعائر الدينية تحقيق التغيير في الإنسان إلى ما هو أفضل، لتجعل منه الإنسان الصالح المعطاء المساهم في تحقيق التنمية على الأقل في المحيط القريب منه.

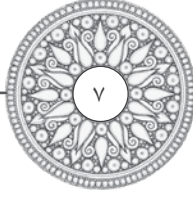
ولعل أبسط مثال لذلك أن نتساءل: كم نكون قد نجحنا في العمل الخيري عندما نقيم مشروعاً دينياً في بلد ما، وتبقى مجاري الصرف الصحي والقمامة والقاذورات مكشوفة، وتنتقل عبرها الأوبئة، وروائحها تزكم الأنوف، والبؤس يملأ المكان، دون أن تنجح تلك المشاريع في غرس روحية العمل لدى المستفيدين منها على تغيير واقعهم السلبي ثقافياً وصحياً وتربوياً واجتماعياً؟

□ العودة إلى إنسانيتنا:

التنمية على كافة الأصعدة من مسؤولية الأفراد كما هي من مسؤولية الحكومات، وإذا كانت بعض النصوص الشريفة تتحدث على المستوى الفردي أن (مَنْ تساوى يومه فهو مغبون)، بمعنى أن على الإنسان أن يسعى دائماً إلى تطوير وتنمية واقعه وقدراته وإنجازاته تقوياً وفكرياً وعبادياً وأخلاقياً وعلمياً وعملياً، فإن على الحكومات أيضاً أن تتذكر دائماً أن نجاحها الحقيقي مرهونٌ بمقدار التنمية الحقيقية التي تُجزّؤها على الأصعدة الحياتية المختلفة التي يحتاج إليها المجتمع تماماً كما روي عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام» أنه قال: (فضيلة السلطان عمارة البلدان).

□ كلمة أخيرة:

فلنُعِد التفكير بكل جدية في نظرتنا وفهمنا وطريقة تعاملنا مع عباداتنا وشعائرنَا ومساجدنا ومراكزنا الدينية إن لم نعمل على تغييرنا، وتغيير واقعنا إلى ما هو أحسن، لأن الله يريد لعباداتنا وشعائرنَا الدينية أن تعيدنا إلى إنسانيتنا التي تلوّث وتناقصت وتحوّرت، وتخرجنا من أسفل سافلين إلى أحسن تقويم الذي لا يصل إليه إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات.



الخطبة الأولى

الحياء والإيمان

مما جاء في وصايا الإمام موسى الكاظم «عليه السلام» لهشام بن الحكم: (يا هشام، الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة).

يراد بالحياء غالباً الرادع الاجتماعي الذي يمنع الإنسان عن فعل القبيح، أي أن يتحرّج الإنسان عن فعل القبيح تجنباً للتبعات الاجتماعية السلبية كالتوبيخ أو السمعة السيئة.. ويقابل ذلك التقوى التي تمثل الرادع المنطلق من الإيمان بالله «عز وجل» والرغبة في جلب رضاه أو تجنب غضبه.

□ الحياء من الله:

وهناك قسم آخر من الحياء، هو الحياء من الله «عز وجل»، بأن يتحرّج الإنسان عن فعل القبيح والمحرم انطلاقاً من الشعور العميق بنعم الله، أو بالرقابة الإلهية، وبالتالي يكون شعبة من شعب التقوى.

□ الفرق بين الحياء والخجل:

والحياء شيء، والخجل شيء آخر، لأن الحياء الارتداع عن القبيح وعن الحرام، بينما الخجل هو الامتناع عن فعل ما هو حسن لسبب نفسي كفقْدان الثقة بالنفس، أو لسوء التربية، أو لغير ذلك.

فعندما لا يستطيع الفرد أن يتبادل الحديث مع أقرانه مثلاً، أو يتلعثم عند

طلب شراء غرض من البائع في السوق أو يتجنّب ذلك ويرسل من يقوم بهذا الأمر بدلاً عنه، فهذا من الخجل لا الحياء.

□ التشجيع على الحياء:

والإمام الكاظم «عليه السلام» في المقطع السابق من الوصايا ينبّه إلى أن الله «عز وجل» يحب الحياء ويريده ويشجّع عليه، ولذا عبّر بأنه جزء من الهوية الإيمانية للفرد، على الرغم من أن ترك الفرد لذلك القبيح أو المحرم لم يكن بدافع التقوى والتقرب إلى الله، لأنّ ترك القبيح والمحرم في حدّ ذاته أمر مطلوب، ولو تحقّق بمثل الحياء.

ثم قال «عليه السلام»: (والبدء من الجفاء، والجفاء في النار). وضع الإمام الكاظم «البدء» في مقابل «الحياء»، أي أنه يتحدّث عن الفرد الذي يفقد الذوق والحس الاجتماعي بالمستوى الذي لا يبالي معه أن يكون معروفاً بقبح اللسان وفحش الكلام، ولا يبالي أن يُعاب عن حقّ على ذلك.

وصدور البذاءات بصورة مستمرة من مثل هذا الفرد دليل على اتصافه بغلظة الطبع، لأنّ الجفاء في اللغة بمعنى غلظة الطبع، وهي صفة أهل النار، لا صفة المؤمنين الصالحين، لأنّ المؤمن طيّب هيّن رؤوف رحيم عطوف.

□ المتكلمون ثلاثة أصناف:

ثم قال «عليه السلام» بانياً على الفكرة السابقة: (يا هشام، المتكلمون ثلاثة: فراجع وسالم وشاجب) أي هالك (فأما الرابع: فالذاكر لله؛ وأما السالم: فالساكت؛ وأما الشاجب: فالذي يخوض في الباطل. إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فاحشٍ بذّي قليل الحياء، لا يبالي ما قال، ولا ما قيل فيه، وكان أبو ذر «رضي الله عنه» يقول: «يا مُبتغي العلم، إنّ هذا اللسان مفتاحٌ خيرٍ ومفتاحٌ شرٍّ، فاختم على فيك كما تختم على ذهبك وورقك»).

اللهم اجعلنا من أهل التقوى والحياء، ولا تجعلنا من أهل الفحش والبدء، اللهم بصرنا بأمور ديننا ودنيانا، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنك سميع مجيب.

الخطبة الثانية

يوم الأرض.. الحق والمجزرة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْضَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَافَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ، إِلَّا تَتَفَرَّغُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِلَّا تَتَصَرَّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ «التوبة ٣٨-٤٠».

الآيات السابقة نزلت في أجواء الإعداد لغزوة تبوك التي جرت في السنة التاسعة للهجرة، والمعنى الإجمالي لها واضح، ولكن ربما نستطيع أن نستخلص منها فكرة وقاعدة عامة.

□ تبعات عدم حمل المسؤولية:

حيث يمكن القول أن الآيات السابقة تُحمّل المؤمنين مسؤولية قضاياهم العامة والكبرى، سواء أكانت مسؤولية عسكرية كما في الحالة المذكورة في الآيات السابقة، أو مسؤولية سياسية أو ثقافية أو غير ذلك. وتبيّن أنهم إن امتنعوا عن ذلك، فإنّ مآل الأمور ستكون وفق السيناريو التالي:

١. التأكيد على أنّ الله لا يعجز عن تحقيق المطلوب، كما صنع في ليلة هجرة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» حين خلّصه من بين المجتمعين حول بيته في مكة والذين استعدّوا للفتك به، فإذا به يخرج من بينهم دون أن يشعروا بذلك، ليتمكّن بعد ذلك من الوصول إلى المدينة ضمن تفاصيل نعرفها.

٢. إنزال العذاب الأليم: ﴿إِلَّا تَتَفَرَّغُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، وليس بالضرورة أن يكون العذاب الأليم في صورة ريح صرصر عاتية، أو رمي حجارة من سجيل، أو أن يجعل عاليها سافلها.. بل يمكن أن يكون بتسليط بعضهم على بعض، وأن يذيق

بَعْضُهُمْ بِأَسَ بَعْضُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ «الأنعام: ٦٥». واعتقد أن الصورة واضحة جداً.

٢. الاستبدال بقوم آخرين أكفاء، ولديهم الاستعداد لتحمل المسؤولية وتقديم التضحيات.. سواء من مجتمع آخر، أو من جيل آخر، كما في قصة النبي موسى بن عمران «عليه السلام» حين امتنع الجيل الذي عاصره عن تحمل مسؤولياته، فقد قال:

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ، قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُم غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فقط رجلان في مقابل عشرات الآلاف الذين ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ....﴾ فكانت النتيجة أن حمل المسؤولية جيلاً آخر وعذب ذلك الجيل بالتيه في الأرض ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ «المائدة: ٢٦-٢١».

□ يوم الأرض:

في الثلاثين من مارس / آذار، ومنذ اثنين وأربعين سنة، يُحيي الفلسطينيون في كل سنة ما أطلقوا عليه عنوان «يوم الأرض». الهدف من إحياء هذه الذكرى التأكيد المستمر على حقهم في أرضهم التي اغتصبها الصهاينة بمباركة ومساندة من القوى الاستكبارية. وللتأكيد أيضاً على أن تقادم الأيام لا يُسقط هذا الحق، وإن رحلت أجيال وجاءت أجيال أخرى من بعدها.. وإن راح جيل عاصر النكبة والنكسة، وجاء جيل آخر لم يعيش تلك الأيام العصيبة. فالقضية الفلسطينية يجب أن تبقى حيّة فاعلة في الضمير، والعقل، والإعلام، والسياسة، والخطاب الديني، والحركة الدبلوماسية، وفي كل مجال يمكن أن يُسهّم ولو بشكل بسيط في إبقاء هذه القضية نابضة بالحياة.

□ ظروف خاصة:

وتزداد أهمية إحياء مثل هذه الذكرى، وذكرى يوم القدس العالمي في هذا



العام، وغيرهما من المناسبات الفلسطينية لما نشهده من حركة قوية تسعى لتصفية هذه القضية، اتّضحت - بدءً - مع إعلان الإدارة الأمريكية نقل سفارتها إلى القدس المحتلة باعتبارها عاصمة «إسرائيل»، وما استتبع ذلك من نشاط سياسي، ودبلوماسي، وأمني، وإعلامي يصبّ في هذا الاتجاه.

يأتي كل هذا على الرغم من أنّ هذه الخطوة - التي لربما تتحقق بعد شهر من الآن - تمثل خرقاً صريحاً للقرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة بشأن مدينة القدس، باعتبارها أرضاً محتلة. ومن هنا، كان إحياء الفلسطينيين لذكرى يوم الأرض في غزة وغيرها وبمسيرات ضخمة تحركاً في الاتجاه الصحيح.

ولذا كانت ردّة الفعل الصهيونية عنيفة جداً، حين أطلقت العنان للقنّاصة باستهداف المحتجّين العُزّل فقتلت منهم ثمانية عشر، وأصابت غيرهم بالعشرات، سوى المئات الذين اختنقوا بالأدخنة والغازات التي نزلت على رؤوسهم بواسطة الطائرات المسيّرة عن بُعد.

□ مسيرة سلمية ووحشية صهيونية:

المسيرة - وبشهادة الجميع - كانت سلمية، وفي داخل حدود غزة، والمحتجّون كانوا أناساً عُزّل، ومع هذا ووجهوا بهذا الرد الوحشي من قبل الصهاينة، ولم يستثن قناصتهم حتى المدبرين.

هذا الرد الوحشي جاء متماهياً مع مشروع التصفية الكاملة للقضية، بما في ذلك شطب الذاكرة من خلال إماتة المناسبات، عن طريق القمع والإرهاب، وإصابة الجماهير بالإحباط المجدد من خلال استخدام «الفيتو» في مجلس الأمن ضد إدانة الكيان الصهيوني بالمجزرة التي ارتكبتها في ذكرى يوم الأرض.

□ الموقف الكويتي:

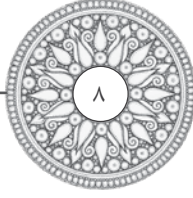
لقد أكّدت دولة الكويت - في اجتماع الجامعة العربية ومن خلال دعوتها لعقد جلسة علنية طارئة لأعضاء مجلس الأمن الدولي لبحث التداعيات في قطاع غزة - على ضرورة تحميل الاحتلال الإسرائيلي المسؤولية القانونية والسياسية والأخلاقية عن مقتل وإصابة مئات الفلسطينيين العُزّل خلال مسيرات يوم الأرض الفلسطيني، إلا أنه بالإضافة إلى استخدام الفيتو في وجه قرار الإدانة، طالعنا

القائم بأعمال مساعد الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون السياسية السيد «تاي بروك زرهون» خلال الجلسة بقوله بأنّ على قوات الأمن الإسرائيلية الالتزام بأقصى درجات ضبط النفس وعدم استخدام القوة الفتّاكة إلا كملجأً أخيراً متحدثاً عن وقوع بعض الإصابات خلال مسيرة قطاع غزّة!

□ استخفاف بالدم الفلسطيني:

إنّ هذا الاستخفاف بالدم الفلسطيني وبالقضية الفلسطينية يأتي كنتيجة طبيعية لإهمال وتناسي العالم الإسلامي والعربي للقضية الفلسطينية، والاستسلام لسياسة الرضوخ للأمر الواقع والذي يدفع باتجاه تصفية القضية في أسرع وقت ممكن، وبما يصبّ في نهاية المطاف في صالح الكيان الصهيوني. وعلينا أن نتحمّل مسؤوليتنا في مواجهة هذا المشروع، كل بحسب إمكانياته، مستذكرين قوله «عز وجل»: ﴿إِلَّا تَتَفَرَّوْا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.





الخطبة الأولى

من وصايا النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»

في أمالي الصدوق عن الكناني، أي أبو الصباح إبراهيم بن نعيم العبدي نسبة لبني عبد القيس الذين كانوا يقطنون الإحساء والقطيف وجزيرة البحرين والكويت الحالية والبصرة ونواحيها. قال النجاشي: (كان أبو عبد الله عليه السلام يسميه الميزان، لثقلته).

قال: (قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: أخبرني عن هذا القول قول من هو؟ أسأل الله الإيمان والتقوى، وأعوذ بالله من شر عاقبة الأمور، إن أشرف الحديث ذكر الله، ورأس الحكمة طاعته، وأصدق القول وأبلغ الموعظة وأحسن القصص كتاب الله، وأوثق العرى الإيمان بالله، وخير الملل ملّة إبراهيم، وأحسن السنن سنة الأنبياء، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله، وخير الزاد التقوى، وخير العلم ما نفع، وخير الهدى ما اتبع، وخير الغنى غنى النفس، وخير ما ألقى في القلب اليقين، وزينة الحديث الصدق، وزينة العلم الإحسان، وأشرف الموت قتل الشهادة، وخير الأمور خيرها عاقبة، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى، والشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره، وأكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور، وشر الرواية رواية الكذب، وشر الأمور محدثاتها، وشر العمى عمى القلب، وشر الندامة ندامة يوم القيامة، وأعظم المخطئين عند الله عز وجل لسان كذاب، وشر الكسب كسب الربا، وشر المأكّل أكل مال اليتيم ظلماً، وأحسن زينة الرجل السكينة مع الإيمان. ومن يبتغ السمعة يسمع الله به) أي يفضحه (ومن يعرف البلاء يصبر عليه) من يعرف حكمة البلاء

في الحياة وكيفية التعامل السليم مع الظروف العصيبة التي يمرّ بها الإنسان فإنه يستطيع أن يصبر ويجتاز المحنة. وينال من عند الله أيضاً ثواب الصابرين (وَمَنْ لَا يَعْرِفَهُ يُنْكِرْهُ) فيتساءل: لماذا حلّ بي كذا وكذا؟ لماذا أنا من بين الناس؟ وبالتالي فهو يستغرق في الألم والمصاب، ولا يُحسن التعامل مع الظروف العصيب، فيغرق في محنته، ولربما يلجأ إلى ما هو محرّم كتعاطي المسكرات أو المخدرات ليغيب عن الوعي.. وفي نهاية المطاف يفشل في هذا الاختبار (والريب كفر، وَمَنْ يَسْتَكْبِرْ يَضَعُهُ اللَّهُ، وَمَنْ يُطِعِ الشَّيْطَانَ يَعِصِ اللَّهُ، وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ يُعْذِبْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَشْكُرِ اللَّهَ يَزِدْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ عَلَى الرِّزْيَةِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَحَسْبُهُ اللَّهُ. لَا تُسْخَطُوا اللَّهَ بَرِضًا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا تَتَقَرَّبُوا إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ بِتَبَاعُدٍ مِنَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ شَيْءٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا أَوْ يَصْرِفُهُ بِهِ عَنْهُ السُّوءَ إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، إِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ نَجَاحٌ كُلِّ خَيْرٍ يُبْتَغَى، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ شَرٍّ يُتَّقَى، وَإِنَّ اللَّهَ يَعْصِمُ مَنْ أَطَاعَهُ، وَلَا يَعْصِمُ مِنْهُ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا يَجِدُ الْهَارِبُ مِنَ اللَّهِ مَهْرَبًا، فَإِنَّ أَمْرَ اللَّهِ نَازِلٌ بِإِذْنِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْخَلَائِقُ. وَكُلُّ مَا هُوَ أَقْرَبُ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ قال: فقال لي الصادق جعفر بن محمد «عليه السلام»: هذا قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» .

الخطبة الثانية

لبس الفرو مقلوباً

قال «عز وجل»: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ، وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاوُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ «سورة الماعون».

وقال «عز وجل»: ﴿خُذُوهُ فَعْلُوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ، فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ، وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ، لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ «الحاقة: ٢٠-٢٧».

وقال «عز وجل»: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ، وَلَمْ نَكُ نَطْعَمْ الْمَسْكِينِ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ «المدثر: ٤٢-٤٧».

وقال «عز وجل»: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُ رَقَبَةً، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ، أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ «البلد: ١١-١٦».

وقال «عز وجل»: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ «المطففين: ١-٥».

□ آيات مكية:

هذه الآيات ومثلها آيات أخرى نزلت في العهد المكي، تذكر بالإضافة إلى الصلاة والإيمان بالله وبالأخرة عناوين مكررة تقريبا من الآثام والجرائم التي يرتكبها الإنسان، ويهدد الله بالعقاب عليها في الآخرة أشد العقاب.

في ذلك الوقت، كانت أنواع المعاصي تُرتكب في مكة، الزنا وأخواتها من الفواحش، شرب الخمر، المعازف والغناء، القمار... ومع هذا نجد أن الآيات لا تتعرض للحديث عنها، بل هي تركّز على المعاصي المتعلقة بحقوق اليتامى والمساكين والعبيد والغش التجاري، مع ربط ذلك بالكفر بالآخرة.

□ وقفة جادة للتفكير:

ثم إننا لو رجعنا إلى الترتيب الزمني لنزول الآيات المتعلقة بالقمار والزنا وشرب الخمر ومخالفات الستر الشرعي للمرأة، لوجدناها قد نزلت في العهد المدني.. لماذا؟ ما هي الرسالة التي تريد هذه الآيات أن توصلها إلينا؟ ألا يحتاج الأمر إلى وقفة تفكر حول نظرتنا للمعاصي ولو على مستوى الاحتمال؟

اليوم لو تطلب من أي متدين أن يضرب لك أمثلة على المعاصي وبشكل عفوي،

فسيجيبك فوراً: الزنا، شرب الخمر، الغناء المحرّم، القمار... ولعله نادراً ما يتبادر إلى الذهن مثال أكل حقوق الناس، والغش التجاري، والظلم الاجتماعي، والعدوان على الضعفاء، وعدم مساعدة المساكين.

أنا لا أريد هنا أن أهوّن من درجة المعاصي من قبيل الزنا وشرب الخمر والغناء المحرم والقمار وأمثال ذلك، ولا أدعو إلى التساهل في الاستجابة إلى الأوامر والنواهي الإلهية.. فالمعصية معصية، والحرام حرام.. والعقوبة الشديدة مُستحقّة.

ولكن أريد أن أقول أن في تربيّتنا الدينية والأخلاقية والشرعية - كمسلمين عموماً - تركيزاً على أمور، في مقابل التهاون والتراخي في أمور أخرى يبدو أنها أكثر أهمية عند الله، وأعظم، وأخطر، أو بنفس المستوى على الأقل.

□ الخطاب الديني المعاصر:

اليوم الخطاب الديني الأخلاقي والشرعي عند المسلمين على اختلاف طوائفهم، وفي عمومه، لا يركّز على هذا الأخطر والأعظم. وباعتقادي أن هذا أثر حتى على أجندات الإسلاميين من أعضاء مجلس الأمة في أولوياتهم.

بل وحتى على أجندات التكفيريين والمتطرّفين الإسلاميين وعلى نظام عقوباتهم حين تسنّى لهم أن يحكموا في المناطق التي سيطروا عليها في الحروب الأهلية في البلاد المختلفة، فقد حكموا بادّعائهم وفق الإسلام والخلافة الإسلامية.. فمن الذين عوقبوا؟ وعلى من أقيمت الحدود؟ للأسف هناك شواهد عديدة على أن شريحة يُعتدُّ بها من المتديّنين من تأتيتهم فرصة متعلّقة بفساد مالي، أو يُطرح عليهم افتراض أن تأتيتهم مثل هذه الفرصة، فلا يتحرّجون، سواء أكان بصورة رشوة، أو المساهمة في غسيل أموال تجار المخدرات والأسلحة، أو التعدي على خزينة المال العام، وما إلى ذلك... ويجدون ألف تبرير وتبرير للإباحة.

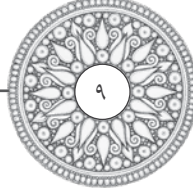
□ تناقضات لدى أهل الدين:

ومثلهم متديّنون من أهل الصلاة والصيام والصفوف الأولى في الجماعات من إذا تعلّق الأمر بحقوق الناس تهاونوا.. يأكلون حقوق الناس في الصفقات التجارية، وتنفيذ المشاريع والمقاولات، وفي المواريث، وغير ذلك. ونفس هذه

الشرائح لو عُرض على أصحابها أن يستمعوا إلى الغناء، أو أن يرتكبوا الزنا، أو أن يشتركوا في لعبة فيها شبهة قمارية، أو أن يأكلوا من طعام ما مشكوك التذكية، فإنك تجدهم في قمة التقوى، ويدخلون في أدق التفاصيل للاطمئنان إلى تجنب الحرام.. وهذا ممتاز، ولكنه غير كاف، ولا تكتمل به فقط هوية الإنسان المتدين.

على أن من المحتمل أن هذا الخلل في التربية الشرعية والأخلاقية عند المتدينين له امتداد تاريخي بعيد، يعود إلى تلاقي مصالح بعض الحكام الفاسدين مع وعاظ السلاطين، حيث تم التركيز والتشديد على بعض العناوين والتغاضي عن عناوين أخرى، بما يخدم في نهاية المطاف مصالح القوى الحاكمة الفاسدة آنذاك.

إن الظلم الاجتماعي، والغش التجاري، وأكل حقوق الناس في التعاقدات الخدمية، واستغلال الضعفاء، والفساد المالي والإداري، لا تقل قبحاً عن الزنا والاستماع إلى الغناء وشرب الخمر ولعب القمار، إن لم تكن أشد قبحاً وعقوبة أخروية. وهذا ما يمكن أن نستشفه من تركيز السور المكية على نوعية محدّدة من المعاصي والجرائم في المجتمع المكي، على الرغم من أنها لم تكن الوحيدة المنتشرة فيه حينذاك. وهذا ما يجب أن يدفعنا - في العموم - إلى إعادة النظر في خطابنا الديني الشرعي والأخلاقي، لا من حيث الأسلوب فحسب، بل ومن حيث المضمون أيضاً.. وواحدة من العناوين التي بحاجة إلى إعادة نظر وتعديل هو ما له علاقة بنظرتنا إلى المعاصي، من حيث حضور بعض مفرداتها الغائبة عن الذهنية المتديّنة، أو الحاضرة بدرجة ضعيفة من القبح لا تتحقق من خلالها التقوى عند الابتلاء بها، على الرغم من أنها - بحسب ظاهر القرآن الكريم - لا تقل سوءاً عن كثير من المعاصي التي نتجنبها، إن لم تكن أعظم وأكثر خطراً وأشدّ عقوبة في الآخرة. ولعل في التجارب العديدة التي خاضها الإسلاميون وعاشناها على مرّ السنوات السابقة ما يكفي ليكون دليلاً على وجود مثل هذا الخلل الخطير الذي عبّر أمير المؤمنين «عليه السلام» عن جانب منه بقوله: (وَلَيْسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْقُرُوقِ مَقْلُوباً).



الخطبة الأولى

الصحيفة السجادية والباطل الفكري والأخلاقي

تحدثت في أكثر من مناسبة عن أنّ لأدعية الصحيفة السجادية أبعاداً إيمانية و تربوية وأخلاقية، وأنها لا تقتصر على بُعد طلب الحوائج من الله «عز وجل» فقط. أي أنك عندما تقرأ هذه الأدعية، فإنّك ستجد فيها تعاليم ترسخ مبادئ الإيمان السليمة التي يحارب ويواجه ويُعزّي من خلالها الإمام «عليه السلام» عقيدة الإرجاء - على سبيل المثال - والتي وجد فيها الأمويون خير وسيلة لتبرير سلوكياتهم، من حيث أن الإرجاء يتلخّص في أنه لا تضر مع الإيمان سيئة.. آمن وافعل ما شئت. ولعل دعاء مكارم الأخلاق - وهو الدعاء العشرون في الصحيفة السجادية - خير مثال على ترسيخ حقيقة عدم كفاية الإيمان، وضرورة العمل الصالح بأنواعه، من عبادة، وسلوكيات اجتماعية، وآداب، وغير ذلك.

□ الابتعاد عن الذكر:

وهكذا، وحيث انتشرت بين الناس أشعار المجون والغزل والهجاء والفحش من القول، وانشغلوا بها وملأوا بها أوقات فراغهم، حتى صارت الذكر البديل عن ذكر الله سبحانه على الألسن، حارب الإمام «عليه السلام» ذلك من خلال الدعاء أيضاً، بتذكير الناس بما نسوا من تعاليم القرآن وسنة النبي «صلى الله عليه وآله» حول مسؤولية الكلمة، وعفة اللسان، وأهمية ذكر الله «عز وجل».

ونجد مثال ذلك في الدعاء الحادي عشر من الصحيفة بعنوان «دعاؤه بخواتم



الخير» وفيه: (يا مَنْ ذَكَرَهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ شَكَرَهُ فَوُزٌ لِلشَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ طَاعَتَهُ نَجَاةٌ لِلْمُطِيعِينَ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ، وَالسِّنِّتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ).

□ مخاطر أوقات الفراغ:

وبما أنَّ أوقات الفراغ من أهم مداخل الشيطان والنفس الأمارة بالسوء للاهتمام والانشغال بتلك الملهيات المدمرة للأخلاق والمشجعة على الفواحش، أتبع الإمام دعاءه بقوله: (فَإِنْ قَدَّرْتَ لَنَا فَرَاغاً مِنْ شُغْلٍ، فَاجْعَلْهُ فَرَاغَ سَلَامَةٍ، لَا تُدْرِكُنَا فِيهِ تَبَعَةٌ) بأن نملاًها بما حرمت (وَلَا تَلْحَقْنَا فِيهِ سَامَةٌ) من الأعمال التي تحبها وتثيب عليها (حَتَّى يَنْصَرَفَ عَنَّا كُتَابُ السَّيِّئَاتِ بِصَحِيفَةِ خَالِيَةٍ مِنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِنَا، وَيَتَوَلَّى كُتَابُ الْحَسَنَاتِ عَنَّا مَسْرُورِينَ بِمَا كَتَبُوا مِنْ حَسَنَاتِنَا).

وسأتحدث في الخطبة الثانية - بإذن الله «عز وجل» - عن أمثلة أخرى من الانحراف، وكيف واجهها الإمام زين العابدين «عليه السلام» في أدعته وبصورة رائعة.

الخطبة الثانية

الصحيفة السجادية والباطل السياسي

عمل الإسلام على ترسيخ مفهوم أنَّ المسؤول في السلطة خادم للناس، ووسيلة تتحقق من خلالها العدالة الاجتماعية.

ولنلاحظ ما جاء في عهد الإمام علي «عليه السلام» لما لك الأشر حيث قال له: (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، والمساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى والزمنى) أي المعاقين (فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا. واحفظ لله ما استحفظك

مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَائِفِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى، وَكُلٌّ قَدْ اسْتَرْعَيْتَ حَقَّهُ، فَلَا يَشْغَلُنَكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِ) لَا تَقُلْ إِنِّي أَنْجَزْتُ مَهْمَاتِ الْأُمُورِ وَمَشْغُولٌ بِهَا عَنِ الْأُمُورِ الْبَسِيطَةِ الَّتِي أَهْمَلْتُهَا وَأَنْ فِي هَذَا عَذْرٌ لِي (فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لَهُمْ).

ثم يوصي الإمام بتتبع أحوال مَنْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَوْ يَخَافُونَ أَوْ لَا يَرِيدُونَ الْوَصُولَ إِلَى الْمَسْئُولِينَ لِسَبَبٍ أَوْ لِأَخْرِ كَعَفَةِ النَّفْسِ أَوْ لَضَعَةِ فِي نَفْسِهِمْ: (وَتَفَقَّدَ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ، مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعَيُونَ، وَتَحْقِرُهُ الرُّجَالُ، فَضَرَّغْ لِأَوَّلِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اْعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ) أَدِّ مَسْئُولِيَّاتَكَ تَجَاهَهُمْ بَحِثْ لَوْ سَأَلَكَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ وَحَاسِبَكَ عَلَى ذَلِكَ كُنْتَ تَمْلِكُ الْعُذْرَ فِي جَوَابِكَ بَحِثْ تَقَدَّمَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّكَ تَحْمَلْتَ الْمَسْئُولِيَّةَ كَمَا يَنْبَغِي (فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرِّعْيَةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَاعْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ. وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيَتَمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السَّنِّ، مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَلَا يَنْصَبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ) مَسْئُولِيَّةٌ كَبِيرَةٌ وَفِيهَا وَجَعٌ رَأْسٌ كَثِيرٌ (وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يَخْفُفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثَّقُوا بِصَدَقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ).

وَلَا يَكْتَفِي الْإِمَامُ بِالتَّوَصِيَةِ بِتَوْظِيفٍ مِنْ يَقُومُ بِذَلِكَ، بَلْ لَا بُدَّ لِلْمَسْئُولِ بِنَفْسِهِ أَنْ يَقُومَ بِبَعْضِ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَّةِ لِيَكُونَ قَرِيباً مِنَ النَّاسِ، وَلِكِي يَعْيشَ التَّوَاضُعَ مَعَهُمْ، وَيَسْمَعَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَشَاكِلِ بِأَذْنِهِ، لِيَكُونَ تَأَثُّرُهُ أَكْبَرَ، وَانْعِكَاسُ ذَلِكَ عَلَى قَرَارَاتِهِ أَكْبَرَ: (وَاجْعَلْ لِدَوِيِّ الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تَفَرَّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجَلَّسْ لَهُمْ مَجْلِساً عَاماً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعَدَ عَنْهُمْ جَنْدُكَ وَأَعْوَانُكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يَكَلِّمَكَ مَتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعِّتٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُوْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّتٍ». ثُمَّ احْتَمَلَ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ) تَحْمَلُ كَلِمَاتِهِمُ الْقَاسِيَةَ وَوَقَاحَتِهِمْ فَإِنَّ الْحَيَاةَ الْقَاسِيَةَ وَمَرَارَةَ الْعَيْشِ وَتَرَاقِمَ الْأَلَامِ تَجَرَّؤُهُمْ عَلَى التَّهْمَةِ وَاتِّبَاعِ الظُّنُونِ وَالْكَلَامِ الْعَنِيفِ (وَنَجِّ عَنْكَ الضُّيْقَ وَالْأَنْفَ يَبْسُطُ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أُعْطِيتَ هَنِيئاً) دُونَ مَنْ وَلَا احْتِقَارَ وَلَا نَدَمَ وَبِرَحَابَةِ صَدْرِ وَشُعُورِ

بالراحة، وأما إذا كانت طلباتهم في غير محلها أو لا تستطيع تحقيقها (وامنع في إجمال وإعذار) بأن تذكر لهم الأسباب وتعتذر إليهم.

□ صورة ممسوخة:

في مقابل هذه الصورة الرائعة، نجد الصورة الممسوخة التي رسّختها الدولة الأموية ومسّخت من خلالها الشخصية الإسلامية، بتحويلهم إلى مستجدين للعتاء من السلطة، فصار المسؤولون فيها أولياء النعمة عليهم، وأصحاب الفضل عليهم، والمالكون الحقيقيون للنعم دون الله.

صورة يلخصها المروي عن النبي «صلى الله عليه وآله» والذي صحّحه الألباني في موسوعته «السلسلة الصحيحة برقم ٧٤٤ / ج ٢ / ٣٧٩»: (إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً، اتّخذوا دين الله دخلاً، وعباد الله خولاً، ومال الله عز وجل دُولاً).

وهكذا صارت قلوب الناس ومشاعرهم وألسنتهم وأيديهم متوجّهة إلى المسؤول الأموي، وبحالة من الذل والمهانة، بدلاً عن التوجّه إلى الله سبحانه. ولنلاحظ هذا المشهد حين وليّ عمر بن عبد العزيز ودخل عليه الشاعر جرير المعاصر للإمام زين العابدين «عليه السلام» فلما أوقف بعيداً قال:

إِنَّ الَّذِي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا	جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي الْإِمَامِ الْعَادِلِ
وَسِعَ الْخِلَافَةُ عَدْلُهُ وَوَفَاؤُهُ	حَتَّى ارْعَوَى وَأَقَامَ مِثْلَ الْمَائِلِ
إِنِّي لَأَرْجُو مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا	وَالنَّفْسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ

فلما مثل بين يديه قال: ويحك يا جرير! اتّق الله، ولا تقولنّ إلا حقاً. فأنشأ جرير يقول شعراً في ذكر الأرامل واليتامى من قومه، ومما قاله:

إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَفَنَا	مِنَ الْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ
إِنَّ الْخِلَافَةَ جَاءَتْهُ عَلَى قَدَرٍ	كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ
هَذِي الْأَرَامِلُ قَدْ قَضَيْتَ حَاجَتَهَا	فَمَنْ لِحَاجَةِ هَذَا الْأَرْمَلِ الذِّكْرِ

وحيث لم يكن عمر بن عبد العزيز كسواه من خلفاء آل أمية بكى، ثم قال: (يا

ابن الخطفي) لقب جده وكان شاعراً معروفاً (أمن أبناء المهاجرين أنت فنعرف لك حقهم؟ أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم؟ أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصل به قومك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنا بواحد من هؤلاء، وإنني لمن أكثر قومي مالا، وأحسنهم حالاً، ولكني أسألك ما عودتني الخلفاء أربعة آلاف درهم، وما يتبعها من كسوة وحملان. فقال له عمر: كل امرئ يلقي فعله، وأما أنا فما أرى لك في مال الله حقاً، ولكن أنتظر يخرج عطائي فأنظر ما يكفي عيالي سنة منه، فأدخره لهم، ثم إن فضل فضل صرفناه إليك).

□ من دعاء الأضحى والجمعة:

هذا النموذج من الشخصية الإسلامية المسوخة قاومه الإمام «عليه السلام» في أدعيته، فقال فيما قال في الدعاء «الثامن والأربعين» من الصحيفة السجادية، وهو دعاؤه في «الأضحى والجمعة» وهما من أعياد المسلمين ويتوقع فيهما العطايا من المسؤولين: (اللَّهُمَّ إِلَيْكَ تَعَمَّدْتُ بِحَاجَتِي، وَبِكَ أَنْزَلْتُ الْيَوْمَ فَقْرِي وَفَاقَتِي وَمَسْكَنَتِي.... وَتَوَلَّ قَضَاءَ كُلِّ حَاجَةٍ هِيَ لِي، بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهَا، وَتَيْسِيرِ ذَلِكَ عَلَيْكَ، وَبِفَقْرِي إِلَيْكَ، وَغِنَاكَ عَنِّي. فَإِنِّي لَمْ أَصَبْ خَيْرًا قَطُّ إِلَّا مِنْكَ، وَلَمْ يَصْرِفْ عَنِّي سُوءٌ قَطُّ أَحَدٌ غَيْرُكَ، وَلَا أَرْجُو لِأَمْرِ آخِرَتِي وَدُنْيَايَ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ مَنْ تَهَيَّأَ، وَتَعَبَّأَ وَأَعَدَّ وَاسْتَعَدَّ، لَوْفَادَةٍ إِلَى مَخْلُوقٍ رَجَاءَ رِفْدِهِ وَنَوَافِلِهِ، وَطَلَبَ نَيْلَهُ وَجَائِزَتَهُ، فَإِلَيْكَ يَا مَوْلَايَ كَانَتِ الْيَوْمَ تَهَيَّيْتُ وَتَعَبَّيْتُ، وَأَعْدَدَدِي وَاسْتَعْدَدَدِي، رَجَاءَ عَفْوِكَ وَرِفْدِكَ، وَطَلَبَ نَيْلِكَ وَجَائِزَتِكَ).

كما واجه الإمام «عليه السلام» الأمويين – سياسياً – من خلال هذه الأدعية، طاعناً في شرعية حكمهم، وموجّهاً الناس إلى التمسك بأصحاب الحق الشرعيين، واختار لذلك الجمعة وعرفة والأضحى، ففي هذه الأيام يُخطب في الناس، ويوجهون فيه للعلن علي «عليه السلام» والترويج لآل أمية، لذا قال «عليه السلام» في ضمن دعاائه في «يومي الأضحى والجمعة»: (اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْمَقَامَ لَخُلَفَاؤُكَ وَأَصْفِيَاؤُكَ وَمَوَاضِعُ أَمْنَائِكَ فِي الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي اخْتَصَصْتَهُمْ بِهَا، قَدْ أَبْزَوْهَا وَأَنْتَ الْمُقَدَّرُ لَذَلِكَ، لَا يُغَالِبُ أَمْرُكَ، وَلَا يَجَاوِزُ الْمُحْتَوَمُ مِنْ تَدْبِيرِكَ، كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْتَ شِئْتَ، وَلَمَّا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، غَيْرُ مَتَّهِمٍ عَلَى خَلْقِكَ، وَلَا لِإِرَادَتِكَ، حَتَّى عَادَ صَفْوَتُكَ وَخُلَفَاؤُكَ مَغْلُوبِينَ مَقْهُورِينَ مُبْتَزِينَ، يَرَوْنَ حُكْمَكَ مُبْدَلاً، وَكِتَابَكَ مُنْبُذاً، وَفَرَائِضَكَ مُحَرَّفَةً عَنْ جِهَاتٍ أَشْرَاعِكَ،

وَسَنَنْ نَبِيَّكَ مَتْرُوكَةً).

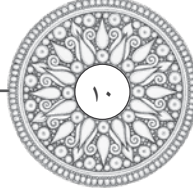
□ من دعاء يوم عرفة:

وقال في دعاء «يوم عرفة» بعد الصلوات على النبي وآله بأنواع الصلوات، وممدح أهل البيت بأنواع المدائح: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيْدَتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عِلْمًا لِعِبَادِكَ وَمَنَارًا فِي بِلَادِكَ، بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَأَفْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَذَرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِأَمْتَالِ أَمْرِهِ، وَالْإِنْتِهَاءَ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَالْأَيُّمَ يُتَقَدَّمُ مُتَقَدِّمٌ، وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ، فَهُوَ عَصْمَةُ اللَّائِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَبِهَاءُ الْعَالَمِينَ).

وبعد أن يدعو لهذا الإمام بشتى الدعوات – بعنوان أنه صاحب الحق الشرعي في القيادة الروحية والسياسية – يدعو لأتباعه تأكيداً على أهمية موالاته: (اللَّهُمَّ وَصِّلْ عَلَى أَوْلِيَائِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِمْ، الْمُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُمْ، الْمُتَّقِينَ آثَارَهُمْ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِعُرْوَتِهِمْ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِوَلَايَتِهِمْ، الْمُؤْتَمِنِينَ بِإِمَامَتِهِمْ، الْمُسْلِمِينَ لِأَمْرِهِمْ الْمُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِهِمْ، الْمُنتَظِرِينَ أَيَّامَهُمْ، الْمَادِّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُمْ، الصَّلَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ الزَّاكِيَاتِ النَّامِيَّاتِ الْغَادِيَّاتِ، الرَّائِمَاتِ. وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَرْوَاحِهِمْ، وَاجْمَعْ عَلَى التَّقْوَى أَمْرَهُمْ، وَأَصْلِحْ لَهُمْ شُؤْنَهُمْ، وَتُبْ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَخَيْرُ الْغَافِرِينَ، وَاجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلَامِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

□ بحر زاخر بالمفاهيم:

هذا أمثلة بسيطة من البحر الزاخر للصحيفة السجادية في مواجهة الباطل الفكري والسلوكي والقيمي والسياسي، حيث وظف الإمام زين العابدين «عليه السلام» من خلاله الدعاء – بكل روحانيته ومعانيه المرتبطة بالسماء وبالأخرة – لمواجهة البدع الفكرية والسلوكية والسياسية التي انتشرت بقوة في زمانه، كصورة من صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليقدم لنا من خلال صفاء الروح وروحانية الكلمة: طهارة الفكرة في الإسلام، وقيمة العمل الصالح في الحياة، وسلام المبدأ والغاية في العمل السياسي.



الخطبة الأولى

نبوءات مبعوضة

النبوءة هي الإخبار عن الشيء قبل وقته. وقد رُويت عن النبي أخبار كثيرة تتضمن نبوءات مختلفة.. بعض منها يمكن قبوله، والبعض الآخر موضوع على لسانه، والقسم الثالث موضع شك واحتمال.. ولكن أصل صدور النبوءات عنه أمر ثابت، ونقله عنه أهل بيته وبعض أصحابه. وفي خطب نهج البلاغة برقم ١٢٨: (كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَانَ وُجُوهُهُمُ الْمَجَانُّ الْمَطْرُقَةُ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالْدِّيْبَاجَ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعَتَاقَ، وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتَحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمُقْتُولِ، وَيَكُونُ الْمُفْلَتُ أَقْلَ مِنَ الْمَأْسُورِ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ. فَضَحِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ لِلرَّجُلِ - وَكَانَ كَلْبِيًّا -: يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ يَعْلَمُ غَيْبٌ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعْلَمُ مِنْ ذِي عِلْمٍ. وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَدَهُ اللَّهُ «سُبْحَانَهُ» بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسَبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ... الْآيَةُ﴾، فَيَعْلَمُ اللَّهُ «سُبْحَانَهُ» مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى) وهذا العلم سابق لحصول الحمل لا مثل السونار الطبي حتى يقول بعض الجهلة من الملحدين وأشباههم أَنَّ العلم اليوم يتحدَّى علم الله؛ لاسيما بلحاظ ما يأتي (وَقَبِيحٌ أَوْ جَمِيلٌ، وَسَخِيٌّ أَوْ بَخِيلٌ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا أَوْ فِي الْجَنَّةِ النَّبِيِّينَ مُرَافِقًا، فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمُ عِلْمِهِ اللَّهُ نَبِيِّهِ «صلى الله عليه وآله» فَعَلِمْنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضَطَّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي).

من هذه النبوءات ما هو سلبي الدلالة، ليس فيه ما يدل على زعامة أو نصر أو ما شابه ذلك، ولذا لا تجد - إلا نادراً - مَنْ يدّعي أنه صاحبها، كما ولا تجد لها تداولاً كبيراً على الألسن.

مثال ذلك ما صححه الألباني في موسوعته «السلسلة الصحيحة ٥/٥٩٣»: عن سعيد بن عمرو قال: (أتى عبدُ الله بن عمرو ابنَ الزبير، وهو جالس في الحجر) ثار عبد الله بن الزبير على الأمويين وأعلن نفسه خليفة في الحجاز، ثم حوَّصَر وأنصارُه من قِبَلِ الحجاجِ الثقفي لثمانية أشهر وهو في المسجد الحرام، حتى أصابت الناس بمكة مجاعة شديدة، ثم قُتِلَ وهو متعلِّقٌ بأستار الكعبة، وقطع رأسه، وصلب جسده منكوساً. وفي هذا النص تحذير من عبد الله بن عمرو بن العاص لابن الزبير من أن يفعل شيئاً يؤدي إلى أن يُستباح الحرم المكي بسببه (فقال: يا ابن الزبير، إِيَّاكَ وَالْإِلْحَادَ فِي حَرَمِ اللَّهِ) أي الانحراف عن جادة الإسلام بالتسبب باستباحة الحرم. وقد قال «عز وجل» في الآية ٢٥ من سورة الحج: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نَذَقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (فإني أشهد لسمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: يُجْلَى أَيُّ يَتَصَرَّفُ فِي مَكَّةَ بِمَا يَخِلُّ بِكَوْنِهَا مَنْطَقَةَ حَرَمٍ آمِنٍ، كَأَنَّ يُقَاتَلَ فِيهَا) (ويحل به رجل من قريش، لو وُزِنَتْ ذَنْبُهُ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَوُزِنَتْهَا) أي عادلتهَا. هنا ألقى ابن الزبير الكرة في ملعب ابن عمرو (قال: فانظر أن لا تكون هو يا ابن عمرو، فإنك قد قرأت الكتب، وصحبت الرسول «صلى الله عليه وآله». قال: فإني أشهدك أن هذا وجهي إلى الشام مجاهداً). أي سيخرج من مكة كي لا يشارك في أية أحداث يقع فيها قتل واستباحة لحُرمة مكة المكرمة. قال الألباني: (وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين).

ثم جاء الألباني برواية مؤيدة قال: (عن عثمان بن عفان «رضي الله عنه» قال: قال له عبد الله بن الزبير حين حُصِر: أي حين حُصِر عثمان (إن عِنْدِي نَجَائِبَ) إِبِل ذات مواصفات مميزة (قد أعددتُها لك، فهل لك أن تحوّل إلى مكة، فيأتيك مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيكَ؟ قال: لا، إني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: يُلْحَدُ بِمَكَّةَ كَبِشٌ) أي زعيم وقائد وسيد كما يقال كبش الكتيبة أي قائدها (من قريش اسمُه عبد الله، عليه مثل نصف أوزار الناس).

وهذا ما عناه الحسين «عليه السلام» كما في رواية الطبري وغيره عن رجلين من بني أسد قالوا: (خَرَجْنَا حَاجِينَ مِنَ الْكُوفَةِ فَقَدِمْنَا مَكَةَ فَدَخَلْنَا يَوْمَ التَّرْوِيَةِ فَإِذَا نَحْنُ بِالْحُسَيْنِ وَابْنِ الزَّبِيرِ قَائِمِينَ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الضُّحَى فِيمَا بَيْنَ الْحَجَرِ وَالْبَابِ، فَسَمِعْنَا ابْنَ الزَّبِيرِ وَهُوَ يَقُولُ لِلْحُسَيْنِ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَقِيمَ أَقَمْتَ فَوَلِيتَ هَذَا الْأَمْرَ، فَوَازِرْنَاكَ وَسَاعَدْنَاكَ وَنَصَحْنَاكَ وَبَايَعْنَاكَ؟ فَقَالَ الْحُسَيْنُ: إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي أَنَّ لَهَا كِبْشًا يَسْتَحِلُّ حُرْمَتَهَا يُقْتَلُ، فَمَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْكِبْشُ).

هذه نبوءة، ولكن من الواضح أنَّ لا أحد يحبُّ أن يكون صاحبها.. مثل ذلك النبوءة الخاصة بنباح كلاب الحوَّاب، وهو الحديث الذي صَحَّحه الألباني في «٨٥٣/١» عن ابن عباس قال: (قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو عند أزواجه: لَيْتَ شَعْرِي، أَيُّكُنَّ صَاحِبَةَ الْجَمَلِ الْأَدَبِ، تَخْرُجُ فَيَنْبَحُهَا كِلَابُ حَوَّابٍ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا قَتْلَى كَثِيرٌ، ثُمَّ تَتَجَوَّعُ بَعْدَ مَا كَادَتْ؟).

وفي المقابل هناك نبوءات فيها زعامة أو أحداث ذات دلالة إيجابية، لذا تجد أنَّ الأعناق تشرَّبُ عند سماعها، كلُّ يَتَمَنَّى أن يكون صاحبها، بل ولربما يدَّعيها المدَّعون زوراً، أو يتم ترتيب الأمور وتُصطنع اصطناعاً من أجل أن تنطبق عليه أو على أحد معين.. ومن ذلك القضية المهدوية والشخصيات والأحداث المرتبطة بها. وسأقوم في الخطبة الثانية بإذن الله «عز وجل» بتسليط الضوء على هذا النوع من النبوءات، ومخاطر التعامل معها بسذاجة.

الخطبة الثانية

انتحال النبوءات المهدوية

تعاهد المسلمون عبر القرون المرويات النبوية حول ظهور المهدي «عليه السلام»، باعتباره القائد الذي يُعَوِّلُ عليه في الخلاص من الظلم والجور حينما يستفحل

ويمتدّ.. ثم تمّ توظيف هذه المرويّات أحياناً لمصلحة سياسية أو ثورية بما يخدم هذا الطرف أو ذاك.

□ اسم أبيه اسم أبي:

مثلاً، في أواخر العهد الأموي، مع امتداد الظلم وشدّته، وبروز التحالف العلوي/العباسي المعارض والثائر، تم إبراز محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن المجتبي من قِبَل أبيه كقائد لهذا الحراك الثوري، وطرحه على أنّه هو المهدي المنتظر.

بالطبع أبوه عبد الله كان أكبر منه سنّاً، وأولى بالقيادة، ولكن اسم الابن هو الذي تلائم مع المرويّ حول اسم المهدي.. (اسمه اسمي).. أي: محمد.. وكان هذا التحالف بحاجة إلى تقوية دلالة الرواية، فأضيفت عبارة: (واسم أبيه اسم أبي).. أي: محمد بن عبد الله! ولكنه قُتل على يد العباسيين أنفسهم بعد أن نجحوا في إقصاء العلويين وقتلهم.

□ المهدي العباسي:

وهكذا قام الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور واسمه عبد الله، بالاستفادة من كل الزخم الروحي الخاص بالإيمان بالمهدي وانتظار دولته العادلة، وما انتشر من حديث كان يراود به محمد بن عبد الله الحسني، فلَقّب ابنه محمداً بالمهدي، وجعله الخليفة من بعده!

ومن طريف ما قرأت ما جاء في كتاب «مقاتل الطالبين» للأصفهاني عن أبي سلمة المصبحي، قال: (حدثني مولى لأبي جعفر) أي المنصور (قال: أرسلني أبو جعفر، فقال: اجلس عند المنبر فاسمع ما يقول محمد) بن عبد الله الحسني (فسمعتُه يقول: إنكم لا تشكّون أنّي أنا المهدي، وأنا هو. فأخبرتُ بذلك أبا جعفر، فقال: كذب عدوُّ الله، بل هو ابني).

ولم يكتف بذلك، بل وضع له الحديث، ففي «الجامع الصغير» للسيوطي والمتقي الهندي في «البرهان» عن عثمان بن عفان قال: (سمعتُ النبيّ «صلى الله عليه وآله» يقول: المهديُّ من وُلد العباس عمّي).

□ المهدي التومرتي:

وهكذا فعل محمد بن عبد الله ابن تومرت في القرن السادس الهجري، وهو من أمازيغ المغرب العربي، حيث بدأ يدعو إلى المهدي ويشوق الناس إليه، فلما تحقق له ذلك ادعى أنه هو المهدي المنتظر، وقال: (أنا المهدي المعصوم، أنا أحسن الناس معرفةً بالله ورسوله)، وغير نسبه الأمازيغي إلى نسب الإمام الحسين، وأوجب على الناس الاقتداء به، وتفويض الأمر إليه في كل شيء، ثم أسس دولة الموحدين التي سرعان ما انهارت واختفى بعد هزيمته في إحدى المعارك.

□ ادعاءات بالجملة:

وتوالى طوال العهود المختلفة الادعاءات بالمهدوية أو التمهيد المباشر لظهور الإمام المهدي، في الحجاز والمغرب والسودان والصومال والهند وبلاد فارس والعراق وغيرها، وانتهت كل الحركات المصاحبة لها بالفشل، أو بالإبادة، أو بانكشاف حقيقة أنها صناعة مخبراتية بحتة كما هو الحال مع القاديانية والبابية، ومن قبيل ما ظهر بعد سقوط نظام الطاغية صدام من مخلفات رجال مخبرات حربه البائد من مدعين للارتباط بالإمام المهدي «عليه السلام» والتمهيد له تحت عناوين مختلفة.

وقد ذكر صاحب مقدمة كتاب «العُرف الوُردِي في أخبار المهدي لجلال الدين السيوطي» ثمانية وثلاثين اسماً لمدعي المهدوية، أو من نسب لهم ذلك زوراً.

□ رواية بريطانية:

في سنة ١٩٨١ صدرت رواية بعنوان The Mahdi للكاتب «أ. ج. كوينيل» واسمه الحقيقي «فيليب نيكلسون»، وهو روائي بريطاني مشهور. تدور هذه الرواية الخيالية حول محاولة من مخبرات إحدى الدول لقطع الطريق على المهدي الحقيقي باصطناع مهدي مزيف تابع لها، وتجعل له سيناريو شبيه جداً بسيناريو ظهور الإمام المهدي كما جاء في الأحاديث. حيث تحضر ذلك المزيف عند الكعبة، وتجلب له أنصاراً، فيعلن دعوته بعد نهاية موسم الحج، ويقوم أنصاره المزيفون أيضاً بإعلان إيمانهم به، فتتقدم امرأة عجوز، هي أيضاً من الجوقة المخبراتية، وتطلب منه بيعة، فتقول له: إن الأنبياء السابقين كانوا يُقدّمون قرباناً فتزل نارٌ

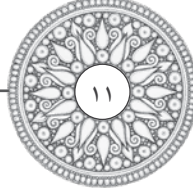
من السماء فتُحرق ذلك القربان! فيؤتى بالخروف أمام المسجد الحرام؛ وتُرسل أشعة من قمر صناعي ليُحرق بها القربان.. ويؤمن به الناس، لينطلق المهدي المزيف بعد ذلك لينفذ الأجندة المخابراتية الموكولة به.

□ الحذر في التعامل:

ومن هنا فإنَّ المهم جداً أن نتعامل بحذر مع المرويَّات المتعلّقة بالقضية المهدوية، سواء في شخصه «عليه السلام» أو في أنصاره والأحداث المتعلّقة بظهوره، مع الابتعاد عن إسقاط النصوص الواردة في هذا المجال على الواقع بطريقة متكلفة، كما حصل قبل سنتين بخصوص داعش، وهو ما تحدّث عنه في حينه، وبيّنت الأخطاء الفادحة التي وقع فيها مَنْ رَوَّج إلى كونهم أصحاب الرايات السود، والإخبار عن قرب عصر الظهور اعتماداً على ذلك.

ولنضع بالحسبان أن الله عز وجل إذا شاء للإمام المهدي «عليه السلام» بالظهور فإنَّ ذلك سيكون واضحاً وضوح الشمس في كبد السماء، وبالحجج والأدلة والآيات البيّنات، لا لبس فيه ولا غموض، ولن يظهر على الطريقة المخابراتية، وبالحيل وإثارة الفتن بين المؤمنين، ولن يكون أمر التمهيدي له على يد أناس عُرفوا بالجهل، أو بالارتباط بجهات مشبوهة، أو من خلال التحليلات المغلوطة التي يُقدّمها مراهقو وسائل التواصل الاجتماعي





الخطبة الأولى في ذكر المكايل والموازين

ذكر الشريف الرضي في نهج البلاغة خطبة برقم ١٢٩، وهي ليست خطبة كاملة بل مقطع من خطبة أطول، لأن الغاية الأولى للشريف كانت الإتيان بالمقاطع ذات الدلالة البلاغية. وقد اعتبر السيد صادق الموسوي صاحب كتاب «تمام نهج البلاغة» أن هذا المقطع جزء من خطبة مذكورة في قسم الحكم من نهج البلاغة برقم ١٣١ أولها: (وقد سمع رجلاً يذم الدنيا).

ولكن الشريف الرضي عندما ذكر هذا المقطع من الخطبة عنوانه كالتالي: (ومن خطبة له «عليه السلام» في ذكر المكايل والموازين)، وليس في المقطع ولا في الحكمة ١٣١ ما له علاقة مباشرة بالموازين والمكايل.

لذا يبدو لي أن هذا المقطع لا علاقة له بتلك الحكمة، وأن الشريف الرضي اقتطعه من خطبة بعد أن شاهد أو لاحظ أمير المؤمنين «عليه السلام» شيئاً يخص الغش في التجارة، فتألم وصار يعظ مبيناً خسة النفس حين تقدم على الحرام من خلال الغش والتلاعب التجاري.. فما قيمة الكسب للدنيا عموماً حين يعلم الإنسان ما ينتظره من حساب دقيق، فكيف بالكسب الحرام وهو يعلم ما ينتظره من عقاب شديد؟

قال «عليه السلام»: (عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمَلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ) ضيوف (مُؤَجَّلُونَ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ) مطالبون بتأدية الدين، لن يكون وجودكم فيها نهاية

المطاف، بل سَتَّالِبُونَ بتقديم كشف حساب عما قدَّمتموه وكيف حفظتم الأمانة (أَجَلٌ مَّنْقُوصٌ) فكل يوم يمرّ بكم نقصان في أعماركم، (وَعَمَلٌ مَّحْفُوظٌ) لا يغيب عن الله مثقال ذرة منه وعلى الإنسان رقباء مسجلون (فَرَبٌّ دَائِبٌ مُّضِيعٌ، وَرَبٌّ كَادِحٌ خَاسِرٌ) فهو مجتهد يُتَعَبُ نفسه في الكسب ليل نهار، نسي آخرته، وغفل عن الحسّاب، وجعل كل غايته من عمله الدنيا وحب جمع المال.. لذا فإنه لن يجد في مقابل كل هذا التعب نتيجة في الآخرة، فتغدو موازينه الأخروية خفيفة، وإذا به من الخاسرين.

(وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزِدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالًا، وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا. فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَّتْ عُدَّتُهُ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمَكَّتْ فَرِيستُهُ) أمكنته الفريسة من نفسها، والفريسة هنا هو الإنسان (أَضْرَبَ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شَتَّتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تَبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يَكَايِدُ فَقْرًا؟ أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا؟ أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفَرًّا؟) اعتبر أن بخله في إخراج حق الله الواجب والمندوب وسيلة للثراء (أَوْ مَتَمَرِّدًا) بالكسب الحرام بالتلاعب والغش ونقص المكايل والموازين في عالم التجارة (كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَن سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقَرًّا) ثقلًا وصعوبة في السمع أو صمم.

(أَيِّنَ أَخْيَارِكُمْ وَصَلَحَاؤُكُمْ؟ وَأَيِّنَ أَحْرَارِكُمْ وَسَمَحَاؤُكُمْ؟ وَأَيِّنَ الْمُتَوَرَّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ؟ وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟) أين المتقون الذين ينزهون أنفسهم ويعفون عن الحرام والقبائح وموارد الفساد في حركتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية (أَلَيْسَ قَدْ ظَلَعْنَا) ارتحلوا (جَمِيعًا عَن هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْغَصَّةِ؟ وَهَلْ خَلَفْتُمْ إِلَّا فِي حُنَالَةٍ لَا تَلْتَقِي بِذِمَّتِهِمُ الشَّفَتَانِ) فهم لا يستحقون أن يذكروا حتى بالذم (اسْتَصْغَارًا لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَابًا عَن ذِكْرِهِمْ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكَرَ مُغَيِّرٍ، وَلَا زَاجِرَ مُزْدَجِرٍ، أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تَجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟ هِيَئَاتِ لَا يُجَدِّعُ اللَّهُ عَن جَنَّتِهِ، وَلَا تُتَالِ مَرَضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ اللَّهُ الْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ النَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ).

الخطبة الثانية

الموازين القسط

قال «عز وجل»: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ «الأنبياء: ٤٧».

استعمل القرآن الكريم كلمة «الميزان» في موارد عديدة إلا أن المتتبع لهذه الموارد يلاحظ أن الله حين يتحدث عن ضرورة التعامل المنصف والعدل في عالم التجارة والاجتماع والسياسة وأمثال ذلك فإنه يستعمل الكلمة بصيغة المفرد، كما في قوله «عز وجل»: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ «الأنعام: ١٥٢».

وكما في قوله «عز وجل»: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ «هود: ٨٥».

وفي المقابل فإنه عندما يستعمل هذه الكلمة في ما له علاقة بالحساب الآخروي فإنه يستعملها دائماً بصيغة الجمع، وذلك كما في الآية التي بدأت بها، وكذلك في الآيات التالية:

قال «عز وجل»: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يِظْلَمُونَ﴾ «الأعراف: ٨-٩».

وقال «عز وجل»: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ «المؤمنون: ١٠٢-١٠٣».

وقال «عز وجل»: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ﴾ «القارعة: ٦-٩»... فما هو السر في ذلك؟

من المحتمل أن المسألة لها علاقة بأنواع أعمال الإنسان، فميزان للعبادة، وميزان للأخلاق، وميزان للعطاء المالي، وميزان للعطاء البدني، وهكذا... هذا

احتمال... ولكن هناك احتمال آخر له علاقة مباشرة بالعدل الإلهي.. ولتوضيح ذلك لابد من مقدمات:

□ المقدمة الأولى:

أن التعبير بالموازين - في القرآن - بالنسبة إلى الحساب الأخروي لا يرتبط بمجموع الناس، بل بكل فرد على حدة.. كل فرد له موازين.. ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾.

□ المقدمة الثانية:

أننا مطالبون بالعدل وبالقسط، وقد ذكرتُ من قبل الفرق بينهما.. فالعدل أن تُعطي للناس حقوقهم ابتداءً، وحينها تكون عادلاً.. أما إذا قلنا «أنت مُقسط» فهذا يعني أنك رفعت الظلم بعد وقوعه، ورددت الحق لأصحابه.

□ المقدمة الثالثة:

الناس يتعاملون في ما بينهم في المجالات المختلفة على أساس الظاهر، وبحسب العادة لا يأخذون بعين الاعتبار الكثير من العوامل التي تؤثر في مواقفهم وقراراتهم وردود أفعالهم.. فإذا سَعُوا نحو تحقيق العدالة أو القسط، واعتمدوا على الظاهر والعوامل الظاهرية فسيكون مقبولاً منهم.. ومن هنا جاء التعبير بالميزان.. أي بصيغة المفرد.

أما بالنسبة إلى الله «عز وجل»، عالم الغيب والشهادة، فالأمر مختلف تماماً. فالله حين يحاسب الناس في الآخرة فإنه ينظر إلى كل العوامل الظاهرية والخفية التي أثرت في ما ارتكبه الإنسان في حياته... ومن هنا جاء التعبير بالموازين.. أي بصيغة الجمع.

□ التفاوت بين الناس:

كل إنسان يولد بمميزات وصفات تختلف حتى عن أخيه التوأم، ولهذه المميزات والصفات الخاصة بكل فرد تأثير على تصرفاته وردود أفعاله.

مثلاً.. يولد الإنسان ويحمل معه جينات تجعله سريع الغضب والانفعال.. ويولد الآخر ويحمل معه جينات تجعله هاديء الطبع بارد المزاج.

الله - الذي لا يظلم الناس شيئاً - هل يمكن أن يحاسب هذين الفردين بصورة مماثلة فيما لو صدر عنهما رد فعل متماثل في لحظة غضب أو انفعال؟

هل يمكن أن يحاسب الله «عز وجل» الشاب الذي أخطأ فزنى كما يحاسب الرجل كبير السن المتقدم في العمر إن أخطأ وزنى؟ أليس في قول النبي «صلى الله عليه وآله»: (إن الله يبغيض الشيخ) أي كبير السن (الزاني)، وفي قوله «صلى الله عليه وآله»: (ثَلَاثَةٌ لَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ)، دلالة على الفرق بين مرتكب الزنى إن كان كبيراً في السن وبين الشاب لو فعل ذلك؟

بالطبع هذا لا يعني أن الشاب معفي من العقوبة، ولكن الموازين الإلهية لا تساوي بينهما.. فلنعفوان الشباب وشدة القوة الغريزية مدخلة مؤثرة في الأمر، على خلاف الرجل كبير السن. وهكذا الأمر بالنسبة إلى من يقع في المحذور وهو يعيش في مجتمع ممثليء بالإثارة الغريزية، بينما يعيش الآخر في مجتمع محافظ تندر فيه مثل تلك الإثارات.. هل يتساويان؟

□ تفاوت الظروف:

ومثل ذلك، الفرق بين من تتوافر لديه القدرة على الحصول على المعلومة، ومن يصعب عليه الحصول عليها.. والفرق بين من اطلع على الثقافات المختلفة، ومن عاش في مجتمع منغلق ثقافياً وأحادي الفكر.. والفرق بين من يمتلك سعة من الوقت للبحث والمطالعة، ومن ضغطت عليه ظروف كسب الرزق فلم تعطه فرصة لذلك.. والفرق بين من ولد في أسرة مؤمنة متدينة، ومن ولد في بيئة فاسدة فاسقة.. إلخ الصور والفرضيات التي تمتليء بها الحياة.

□ تفاوت أحوال الفرد:

ثم إن الفرد الواحد تختلف ظروفه وقدراته من مرحلة إلى أخرى، ومن عمر إلى آخر، ومن مكان إلى آخر؛ ولا يمكن أن يكون ما صدر عنه في ذلك الظرف، أو في تلك المرحلة، أو في ذلك السن، هو بذات القيمة عندما يصدر عنه في ظرف أو مرحلة أو سن مختلف... هنا نفهم معنى الموازين في الآخرة.. فالعدل الإلهي يستدعي هذه الدقة.

□ توقف:

وإذا كان أمر الحساب في الآخرة يتميز بهذه الدقة على مستوى الأخذ بعين الاعتبار كل العوامل المؤثرة في أفعال الناس وتروكهم كما يدل على ذلك قوله «عز وجل»: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ وقوله «عز وجل»: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾، فإن هذا يقودنا إلى أنه ليس من حقنا الحكم على الناس في مصائرهم الآخروية.. فالموازين لا يعلمها إلا الله.

□ دقة الحساب:

ومن العدل الإلهي أن تكون كل العوامل الوراثية والبيئية والتربوية والظاهرة والخفية التي تدخلت في كل فعل أو ردة فعل صدرت عن الفرد دوراً في حسابه وتقييم عمله.. وغير خاف أن لا أحد يملك الإحاطة بكل تلك التفاصيل سواء «عز وجل»، وكما قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس).. (كفى بالمرء شغلاً بمعائبه عن معائب الناس).. (كفى بالمرء غباوة أن ينظر من عيوب الناس ما خفي عليه من عيوبه).

وفي المقابل، فليس من حق أحد أن يحتج على ما جاء بخصوص العقوبات الآخروية بعد أننا بأن الله هو العدل، وأنه لا يحساب الناس إلا بالموازين القسط، وقد قال «عز وجل»: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.





الخطبة الأولى

خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» في استقبال رمضان

عن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: إنَّ رسولَ الله «صلى الله عليه وآله» خطبنا ذاتَ يوم فقال: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللَّهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ. شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ، وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيَّامِ، وَلَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ. هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَاةِ اللَّهِ، وَجُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَةِ اللَّهِ. أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ، وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ، وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ، وَدَعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَابٌ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ بَنِيَّاتٍ صَادِقَةٍ، وَقُلُوبَ طَاهِرَةٍ، أَنْ يُوفِّقَكُمْ لَصِيَامِهِ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ غُفْرَانِ اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ. وَاذْكُرُوا بِجُوعِكُمْ وَعَطَشِكُمْ فِيهِ، جُوعَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَعَطَشَهُ. وَتَصَدَّقُوا عَلَى فَقَرَائِكُمْ وَمَسَاكِينِكُمْ، وَوَقِّرُوا كِبَارَكُمْ، وَارْحَمُوا صِغَارَكُمْ، وَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ، وَاحْفَظُوا أَسْنَتَكُمْ، وَغَضُّوا عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ أَبْصَارَكُمْ، وَعَمَّا لَا يَحِلُّ الاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ أَسْمَاعَكُمْ. وَتَحَنَّنُوا عَلَى آيَتَامِ النَّاسِ يَتَحَنَّنْ عَلَى آيَتَامِكُمْ، وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ، وَارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ بِالْدُّعَاءِ فِي أَوْقَاتِ صَلَاتِكُمْ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ السَّاعَاتِ، يَنْظُرُ اللَّهُ «عز وجل» فِيهَا بِالرَّحْمَةِ إِلَى عِبَادِهِ، يُجِيبُهُمْ إِذَا نَاجَوْهُ، وَيُلَبِّيهِمْ إِذَا نَادَوْهُ، وَيُعْطِيهِمْ إِذَا سَأَلُوهُ، وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِذَا دَعَوْهُ. أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَنْفُسَكُمْ مَرْهُونَةٌ بِأَعْمَالِكُمْ، فَكُفُّوا بِاسْتِغْفَارِكُمْ، وَظَهِّرُوا كَثْقِيلَهُ مِنْ أَوْزَارِكُمْ، فَخَفُّوا عَنْهَا بِطَوْلِ سُجُودِكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَقْسَمَ بِعِزَّتِهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ الْمُصْلِينَ وَالسَّاجِدِينَ، وَأَنْ لَا يَرَوْعَهُمُ بِالنَّارِ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ فَطَرَ مِنْكُمْ صَائِمًا مُؤْمِنًا فِي هَذَا الشَّهْرِ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عِتْقُ نَسَمَةٍ، وَمَغْفِرَةٌ لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ.

قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَلَيْسَ كُلُّنَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ «صلى الله عليه وآله»: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشَرْبَةِ مَاءٍ. أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ حَسَنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خَلَقَهُ، كَانَ لَهُ جَوَازٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزُلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ، وَمَنْ خَفَفَ فِي هَذَا الشَّهْرِ عَمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، خَفَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِسَابَهُ، وَمَنْ كَفَّ فِيهِ شَرُّهُ، كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ غَضَبُهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ أَكْرَمَ فِيهِ يَتِيمًا، أَكْرَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ وَصَلَ فِيهِ رَحِمَهُ وَصَلَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ قَطَعَ فِيهِ رَحِمَهُ قَطَعَ اللَّهُ عَنْهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَمَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِصَلَاةٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَدَّى فِيهِ فَرَضًا كَانَ لَهُ ثَوَابٌ مِنْ أَدَى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الشُّهُورِ، وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ، ثَقَّلَ اللَّهُ مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخَفُّ الْمَوَازِينُ، وَمَنْ تَلَا فِيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ. أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مُفْتَحَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يَفْلَقَهَا عَنْكُمْ، وَأَبْوَابَ النَّارِ مَغْلَقَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يَفْتَحَهَا عَلَيْكُمْ، وَالشَّيَاطِينُ مَغْلُولَةٌ، فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُسَلِّطَهَا عَلَيْكُمْ. قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ «عليه السلام»: فَقَمْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ! أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ: الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ «عز وجل».

الخطبة الثانية

مخاطر نقض العهود والمواثيق

قال «عز وجل»: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ «الرعد: ٢٠».

وقال «عز وجل»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ «المائدة: ١».

وقال «عز وجل»: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ «الإسراء: ٣٤».

لدينا هنا ثلاثة مصطلحات: ميثاق وعقد وعهد، وبينها شيء من الاختلاف في المعنى.

□ معنى العهد:

فالعهد التزام من طرف واحد بأمر ما، كأن يتعهد شخص بأن لا يشرب السجائر بعد اليوم، أو بأن يتعهد التلميذ بأن لا يُشَاغِب في الفصل.

□ معنى العقد:

بينما يُمثِّل العقد التقاء إرادتين أو أكثر على إنشاء رابطة إلزامية على أمر أو أمور محدَّدة، كالعقود التجارية من بيع وإجارة وأمثالهما.. وكالعقود الاجتماعية من قبيل عقد النكاح.. وكالاتفاقيات السياسية والأمنية والعسكرية وغيرها.

□ معنى الميثاق:

أما الميثاق فهو العهد والالتزام من طرف واحد مع التخليط والتشديد من خلال القَسَم أو غيره، كما في قوله «عز وجل»: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا...﴾ «البقرة: ٨٣»... أو العقد والالتزام من طرفين مع التخليط والتشديد من خلال القَسَم أو غيره، كما في قوله «عز وجل»: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ «النساء: ٩٠».

وفي الاصطلاح المعاصر تُستعمل كلمة «معاهدة»، وهي في الحقيقة عبارة عن عقد أو ميثاق مرتبط بعقد، لأنها التزام من طرفين أو أكثر بأمر أو أمور محدَّدة، وهذا هو مدلول صيغة «مفاعلة» التي تعني التفاعل من طرفين أو أكثر.

والوفاء بالعهود والعقود والمواثيق مما لا غنى عنه أبداً – على مستوى الفرد والمجتمع – ومن دونه تنهار العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية وغيرها، لتُصبح الحياة الإنسانية المشتركة جحيماً لا يُطاق.

والفطرة الإنسانية تدعو للالتزام والوفاء بها، ولذا صاغت الأمم القوانين والدساتير والأعراف الوضعية بين الناس، وهذه من الرحمات الإلهية... كما أن من رحمة الله أيضاً بعباده أن يبيِّن ضرورة ذلك وشدُّد بشأنه في رسالات الأنبياء وفي الكتب السماوية إمعاناً في استحكامه.

وحيث يَعتمد البعض إلى نقض العهد أو العقد أو الميثاق عند تغيّر موازين القوى، بما يعتبره مبرراً لإلغاء ما تمَّ الاتفاق عليه من طرف واحد، لذا فقد شدَّد

الله على المسلمين عدم نقض العهود والاتفاقيات الأمنية حين تغيّرت موازين القوى لصالحهم بعد فتح مكة، وتحقّق النصر في حنين والطائف، ثم دخول الناس في دين الله أفواجاً.

فقد كان من السهل حينذاك التهام الأطراف الضعيفة من المشركين المعاهدين والقضاء عليهم إن لم يدخلوا في الإسلام جبراً؛ إلا أن الله نهى عن ذلك احتراماً والتزاماً بالعهد ما دامت أن تلك الأطراف لم تنقضه بصورة أو بأخرى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ «التوبة: ٤».

□ التزام النبي بالمعاهدة:

في صلح الحديبية اضطر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى قبول البند القاضي بأنه (مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْهُمْ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيٍّ رَدَّهُ مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ. وأنه مَنْ أَتَى قَرِيشًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّهُ)، فقد كان المسلمون بأمر الحاجة إلى مثل هذه المعاهدة بينهم وبين قريش، وقد أصرت قريش على ذلك البند، فقبله.

وبعد مدة هرب من مكة أبو بصير، واسمه عتبة بن أسيد، وكان مسلماً مستضعفاً فيها، ولجأ إلى المدينة، ولحقه رجالان من قريش، فطلباه من النبي، فسلمه التزاماً بالعهد، واحتج على ذلك بعض الصحابة، أن كيف يسلم النبي مسلماً إلى المشركين وقد يقتلونه أو يعذبونه، ولكن النبي بين لهم التزامه بالمعاهدة، حتى إذا كان في بعض الطريق احتال أبو بصير على الرجلين وهرب منهما ولجأ إلى المدينة من جديد وقال: (يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك. قد ردّدتني إليهم، ثم نجاني الله منهم). وكأنه يحاول إيجاد مخرج شرعي للنبي بتفسير بند المعاهدة بهذه الطريقة. رفض النبي «صلى الله عليه وآله» تبريره، وبقي ملتزماً بالمعاهدة، فهرب أبو بصير إلى الصحراء إلى أن نقضت قريش المعاهدة بعد فترة قصيرة، وانجرت الأمور إلى فتح مكة.

□ العدل والوفاء أولاً:

لاحظ حرمة العهود والعقود والمواثيق عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ووجوب الوفاء بها، سواء انتفع بها أم جلبت ضرراً، فإن رعاية العدل الأهم وأهم من رعاية

آية منفعة خاصة أو شخصية، ولذا قال «عز وجل»: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ «المائدة: ٢». نعم، لو نقض أحد الطرفين عهده، فللطرف الآخر حينئذ حرية نقضه: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَا بَيْتَهُ تَابَ عَلَيْهِمۡ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ «البقرة: ١٩٤».

□ افتراءات غابرييل:

في أثناء الحملة الانتخابية للرئاسة الأمريكية، ظهرت الإعلامية المعادية للإسلام «بريجيت غابرييل» لتتحدى بأنها ستهدم الإسلام في خمس دقائق، وقالت في ضمن كلامها أنّ النبي «صلى الله عليه وآله» علم المسلمين مبدأ الغدر في المعاهدات، وضربت صلح الحديبية مثلاً على ذلك. ثم أضافت أن إيران وقعت معاهدة مع الولايات المتحدة مدتها عشر سنوات كما وقع النبي مع المشركين معاهدة لعشر سنوات وغدر بهم في سنتين.. وأنّ إيران ستفعل مثل ذلك!

□ الانسحاب الأمريكي من النووي الإيراني:

وها هي الأيام تدور، ليتفاجأ العالم ويهتزّ بالقرار الأمريكي أحادي الجانب بالانسحاب من اتفاق فيينا لمجموعة ١+٥ حول البرنامج النووي لإيران، والذي تمّ التوصل إليه قبل ثلاث سنوات تقريباً، وبعد مفاوضات شاقة وتفصيلية دامت اثنين وعشرين شهراً.. ويأتي هذا القرار المطلق إلى حدّ كبير ليقرّع في المنطقة من جديد طبول الحرب والقتل والدمار واستنزاف الموارد وهدم البنى التحتية، بعد أن كدنا نرى تباشير الأمن والسلام ولملمة الجراحات والبدء في مرحلة إعادة البناء والإعمار في العراق وسوريا وغيرهما من دول المنطقة.. واليد الصهيونية كما لا يخفى غير بعيدة عما يجري، وهي الرابح الأكبر من ذلك كله. وممّا يُعَوَّل عليه لنزع فتيل الحرب أو التخفيف من حدّة الأزمة قيام بعض الأطراف الحكيمة بدورها في هذا الإطار، كما تجلّى ذلك في موقف دولة الكويت وسلطنة عمان قبل يومين، الأمر الذي يستدعي عدم المجاملة على حساب المصالح الكبرى ودرء المخاطر العظمى في ما لو تمّ جرّ المنطقة إلى أتون حرب جديدة لا يعلم آثارها التدميرية على المدى الواسع إقليمياً وعالمياً إلا الله «عز وجل».



الخطبة الأولى

المكارم العشر - القسم الأول

روى الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: (المكارم عشر) والمكارم هي معالي الأخلاق وكمالاتها (فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن، فإنها تكون في الرجل ولا تكون في ولده، وتكون في الولد ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في الحر).

ولماذا قد تكون في شخص ولا تكون في آخر؟ قد يكون للبعد الوراثي دور في ذلك، وقد يكون للتربية دور، وللبيئة دور، وللتوفيقات الإلهية دور، كما قد يكون لوعي الإنسان لأهمية هذه الأخلاقيات والأبعاد الإنسانية الرفيعة دور.

قد تجد الأب وصولاً للرحم إلى أبعد الحدود، حُباً لأسرته، وغيره عليهم، والتزاماً بأمر الله، بينما تجد ولده قطوعاً للرحم، إذ لا يشعر بأيّة مسؤولية تجاه أحد من أسرته وأقربائه. وقد تجد الأب كذباً لا يتورّع عن ذلك، بينما تجد ابنه حريصاً على أن يكون صادقاً في كل كلمة يُطلقها.. لماذا؟ لأنه يعي قبح الكذب وأثاره السلبية وحرمة ومبغوضيته عند الله «عز وجل».

ومن هنا ينبغي على الإنسان أن يبحث في نفسه عن مدى تخلّقه بهذه المكارم، وأن لا يعوّل على مديح الناس لأبائه لاتّصافهم بهذه المكرمة أو تلك.. لأن هذا لا يمثل الضمانة لتخلّقه والتزامه هو بها.. ففعل الزمان يمرُّ به غافلاً فإذا هو قد ابتعد كثيراً، وصارت عودته صعبة.

□ الإمام مع المنذر:

وفي نهج البلاغة مثال على ذلك حين كتب الإمام علي «عليه السلام» إلى المنذر بن الجارود العبدي وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله: (أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلَاحَ أَيْبِكَ غَرَنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ أَنْفِياداً، وَلَا تَبْقِي لِأَخْرَتِكَ عِتَاداً، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ أَخْرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ. وَلَيْتَن كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا، لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشَسَعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يَنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يَعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَةٍ. فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

□ المكرمة الأولى:

(قيل: وما هن؟ قال: صدق اليأس) أي صدق اليأس عمّا في أيدي الناس، حيث يعيش الإنسان الإحساس العميق والصادق والواعي بأن حاجاته بيد الله وأن قضاء أموره بيده «عز وجل» لا بيد الناس، حينها يعيش عزة النفس، وفي الحديث: (رَأَيْتُ الْخَيْرَ كُلَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ فِي قِطْعِ الطَّمْعِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ).

الإنسان قد تستعبده حاجاته، فيخضع لهذا الإنسان، ويدلّ نفسه لآخر.. يمدح هذا طمعاً.. ويدم الآخرين جلباً لرضاه.. ينافق ويكذب ويتزلف طمعاً في شيء من مال هذا، أو لكسب شيء عن طريق سلطة الآخر، وأمثال ذلك. مثل هذا النموذج يخسر نفسه أولاً، ويجعلها أسيرة للآخرين، لأنه قرأ الأمور بشكل خاطيء إذ تصوّر أن حاجاته موجودة عند هذا الإنسان، وأنه لا يستطيع الوصول إليها إلا من خلاله.

عندها، يخضع له، وقد تتحوّل حالة الخضوع إلى ما يُشبه العبادَة. وبهذا ينفصل الإنسان عن حقيقة التّوحيد، لأن من حقيقة التّوحيد أن تؤمن بأن الأمور كلّها بيد الله، وقد قال «عز وجل»: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ «النحل: ٥٣». أما هذا النموذج فقد تعلقت آماله بإنسان مثله. من حقيقة التّوحيد أن تؤمن بأن الرزق بيد الله «عز وجل»، وليس بيد أحد، وأن القلوب بيد الله كذلك: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ «الأنفال: ٦٣»، وكما في الدعاء: (يا مقلب القلوب).

وعندما ييأس الإنسان المؤمن مما في أيدي الناس فإنه سيتوجّه إلى الله «عز وجل»، ليجعل له من بعد العسر يسراً، ويطلب منه أن يقضي له حاجاته،

ويسهل عليه أموره، ويفتح قلوب الناس عليه.

□ مع دعاء التفزع إلى الله:

وقد بين الإمام زين العابدين «عليه السلام» هذه الحقيقة الإيمانية في دعائه «مُتَفَرِّغاً إِلَى اللَّهِ «عز وجل»: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَخْلَصْتُ بِانْقِطَاعِي إِلَيْكَ، وَأَقْبَلْتُ بِكُلِّي عَلَيْكَ، وَصَرَفْتُ وَجْهِي عَمَّنْ يَحْتَاجُ إِلَى رِفْدِكَ، وَقَلْبْتُ مَسْأَلَتِي عَمَّنْ لَمْ يَسْتَعْنِ عَنْ فَضْلِكَ، وَرَأَيْتُ أَنْ طَلَبَ الْمُحْتَاجُ إِلَى الْمُحْتَاجِ سَفَهُ مِنْ رَأْيِهِ وَضَلَّةً مِنْ عَقْلِهِ، فَكَمْ قَدْ رَأَيْتُ يَا إِلَهِي مِنْ أَنَاسٍ طَلَبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِكَ فَذَلُّوا، وَرَأَمُوا الثَّرَوَةَ مِنْ سِوَاكَ فَافْتَقَرُوا، وَحَاوَلُوا الِارْتِفَاعَ فَاتَّضَعُوا، فَصَحَّ بِمُعَايِنَةِ أَمْثَالِهِمْ حَازِمٌ وَقَفَهُ اعْتِبَارُهُ وَأَرَشَدَهُ إِلَى طَرِيقِ صَوَابِهِ بِاخْتِبَارِهِ، فَأَنْتَ يَا مَوْلَايَ دُونَ كُلِّ مَسْئُولٍ مَوْضِعُ مَسْأَلَتِي، وَدُونَ كُلِّ مَطْلُوبٍ إِلَيْهِ وَلِيٌّ حَاجَتِي. أَنْتَ الْمَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتِي لَا يَشْرُكَكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلَا يَتَفَقُّ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي، وَلَا يَنْظُمُهُ وَإِيَّاكَ نِدَائِي..). ولنا وقفة أخرى بإذن الله لتتمة شرح هذا الحديث.

الخطبة الثانية

من هو العدو؟

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ «المائدة: ٥٢».

هل مررنا في الأسبوع الماضي يوم «النكبة» أم يوم «الاستقلال الإسرائيلي والاحتفال بالذكرى السبعين لإعلان دولة إسرائيل»؟

قد يبدو السؤال غريباً للوهلة الأولى، ولكن من يتابع الإعلام العربي، والأحداث

التي مرّت خلال الأيام القليلة الماضي، ولاسيما في أجواء نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، يُدرك أنّ هذا السؤال في محله، ولا بد أن يُطرح ويُجاب عليه بوضوح.

□ نقل السفارة الأمريكية:

أمريكا نفّذت وعدّها، بل واستعجلت بنقل سفارتها إلى القدس، غير عابئة بكل الاحتجاجات والأصوات الرافضة على مدى الأشهر الستة الماضية منذ الإعلان عن نيتها القيام بذلك.

وتزامن ذلك مع يوم النكبة بالنسبة إلى العرب، ويوم الاستقلال بالنسبة إلى الإسرائيليين! ومع ارتكاب الصهاينة لأكثر من مَجزرة داخل قطاع غزة، بحقّ المتظاهرين والمحتجّين العُزّل خلال الأسابيع الماضية، وكان آخرها ستين شهيداً وثلاثة آلاف مصاب في يوم واحد، منهم ٥٤ حالة موت سريري، و٧٩ سيدة، ٢٥٥ طفلاً ونحو ١٢٥٩ مصاباً بالرصاص الحي!

فكيف كانت ردود الفعل في الأوساط العربية؟ لأول مرة وبشكل واضح وصريح، يبرّر بعض العرب إعلامياً حقّ اليهود في القدس.. ويشارك بعض العرب - وعلى ضفاف النيل - في احتفال الصهاينة بما يسمّونه يوم الاستقلال.. ويدعو بعض العرب لاستغلال الفرصة التاريخية بما يُسمّى صفقة القرن! الصفقة التي لا يُراد منها سوى تصفية القضية الفلسطينية.

□ اختلال المعايير:

جزءٌ من المشكلة اليوم ما ذكرته في مناسبة سابقة، وهو اختلال معايير تشخيص العدو، عن عمد أو عن جهل.

في البدء صار البعض يوجّه إلى أنّ الكيان الصهيوني ما عاد هو العدو الأول والرئيس للامة العربية.. ثم تقدّمت خطوة وصار البعض يروّج إلى أنّ هذا الكيان ما عاد عدوّاً، بل هو في ما يرتكبه من جرائم قتل، واعتقالات، واحتلال، وبناء مستوطنات، وتدمير لأحياء فلسطينية، وتغيير لهويّة مدُن.. في مقام الدفاع عن النفس!

وهكذا أصبحت مسألة تشخيص من هو العدو مسألة ضبابية - على الأقل - عند

شريعة واسعة من الجماهير، في الوقت الذي حَسَمَتْ فيه شريعة أخرى أمرها،
فنزعت صفة العدو عن الصهاينة... وهذا مكمّن الخطر.

□ حيرة ومفاجأة:

لاحظ أهمية تشخيص العدو في الآية التالية التي تتحدث عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ «المنافقون: ٤».

فالمسلمون صاروا - في فترة ما - في حيرة من أمرهم في كيفية التعامل مع هذه الشريعة التي تعيش بينهم، وتصلي وتصوم معهم، ولكنها شاذة عنهم في القرارات المصيرية، وفي المنعطفات الحادة، وفي طريقة تعاملها مع الأوامر النبوية، وفي ولائها للمشركين واليهود المحاربين.

في غزوة بدر لم تشارك هذه الشريعة في الحرب، وصارت تشيع بين المسلمين أن قريشاً ستبيد المسلمين المقاتلين لا محالة، بمن فيهم رسول الله «صلى الله عليه وآله». وصدقهم كثير من المسلمين، ولذا كانت المفاجأة كبيرة بالنسبة إلى أهل المدينة حين جاء البشير بانتصار المسلمين، ولم يصدقوه!

وفي أحد والخندق انسحب المنافقون في اللحظات الحاسمة وقبل المواجهة، وهم قرابة ثلث جيش المسلمين، وصاروا يبتثون الإشاعات، وتأمروا مع اليهود في أكثر من مشهد، وأشعلوا أكثر من فتنة في مجتمع المدينة، ثم أسسوا مسجداً ضاراً ليكون غطاءً لمؤامراتهم.

□ صورة ضبابية:

إلا أن أواصر النسب، والمصاهرة، والصداقات الممتدة في الزمن، علاوة على الظاهر «الإسلامي» الذي حافظوا عليه، جعل الصورة غائمة وضبابية عند البعض. ولذا جاءت هذه السورة لتسلط الضوء على أهم ملامح هذه الشريعة الخطيرة، ثم بيّنت بكل وضوح أنهم العدو وما هو الموقف منهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

□ تشخيص العدو:

عندما تُشخّصُ العدوُّ يتّضح هدفُك، ومشارك، وآلياتُ المواجهة معه.. حينها تكون لك رؤية، وتعمل عن بصيرة.. والأمة التي تفقد الرؤية والبصيرة ستخطئ في الطريق، ولربما ينتهي بها المطاف أن تقع في أحضان العدو.

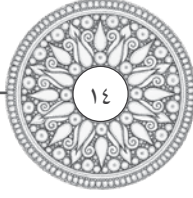
هذا التشخيص يجب أن ينعكس في وسائل الإعلام، وفي مناهج التربية، وفي خطابات المسؤولين، وفي عظات علماء الدين، وفي بيانات ومواقف السياسيين.. أما إذا غاب ذلك، حينها تُصبح الأمة بلا هدف.

□ القدس في القلوب:

إنَّ يوم النكبة يجب أن يبقى يوم النكبة، ومَن يروّج لعنوان يوم الاستقلال الإسرائيلي، ويشارك في إحيائه، ويبرّر الاحتلال الصهيوني للمدن والأراضي الفلسطينية، ويشرعن المجازر التي ترتكبها آلة الحرب الإسرائيلية بحق العُزّل من أبناء غزّة والضفّة، إنما يرتكب جريمة بحق الأمة في حاضرها ومستقبلها. وهكذا.. يجب أن يبقى الكيان الصهيوني هو العدو الأول للأمة بلا تمييع ولا تلاعب في الكلمات والمصطلحات.. ويجب أن نبقى مساندين وداعمين للقضية الفلسطينية.. ويجب أن تبقى القدس - شرفيها وغربيها - في قلوب العرب والمسلمين رمزا للقضية مهما سعى البعض أن يضيّع هذه الحقيقة.

□ الموقف الكويتي:

وحسناً فعلت دولة الكويت في تحرّكها وبيانها الصادر في مجلس الأمن الدولي بحق الجرائم الصهيونية الأخيرة، كما ونشد على يد مجلس الأمة لإصداره بيان الإدانة لمجازر الاحتلال الإسرائيلي ولنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، مع تأكيده على أنَّ القدس عاصمة فلسطين لا غير، ورفضه الأطروحات والمبادرات التي تدعو إلى تكريس الاحتلال الصهيوني. فلسطين قضيتنا الأولى، وستبقى كذلك.. والكيان الصهيوني عدونا الأول، وسيبقى كذلك، والباطل ليس له من مصير إلا الزوال: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.



الخطبة الأولى

المكارم العشر - القسم الثاني

روى الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: (المكارم عشر، فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن، فإنها تكون في الرجل ولا تكون في ولده، وتكون في الولد ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في الحر. قيل: وما هن؟ قال: صدق اليأس، وصدق اللسان، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وإقراء الضيف، وإطعام السائل، والمكافأة على الصنایع، والتذمُّ للجار، والتذمُّ للصاحب، ورأسهن الحياء). تحدثت في الأسبوع الماضي عن العنصر الأول من المكارم العشر، وأتحدث اليوم عن سائر العناصر.

(وصدق اللسان، وأداء الأمانة) فالإنسان الكذوب الذي لا عهد له ولا أمانة يسقط من الاعتبار في كل الأعراف، حتى في الوسط الفاسد والمجرم.. وهذا واضح لا يحتاج إلى دليل وإثبات.

(وصلة الرحم) بكل ما للصلة من معنى شامل لا يقتصر على الزيارة والسؤال عن الأحوال، فالإنسان عدة دوائر اجتماعية يتفاعل معها، تبدأ في إطار أسرته الصغيرة ثم الأرحام ثم الجيران ثم المجتمع الكبير بكل فئاته، بما في ذلك المحتاجين. وفي هذه المكرمة مساهمة في بناء الدائرة الثانية للعلاقات الاجتماعية بعد الدائرة الأولى المتمثلة في الأسرة الصغيرة.

(وإقراء الضيف) ومع اتساع الدائرة الاجتماعية تتسع صور المكارم، ومنها



إكرام الضيف فقيراً كان أم ثرياً، قريباً كان أم غريباً، مسلماً كان أم غير مسلم، فالأمر في حد ذاته ممدوح.

(وإطعامُ السائل) وهناك اليوم صور عديدة للإطعام، كبنك الطعام وتوفير ثلاجات خاصة لمثل ذلك في بعض الأسواق المركزية، ومن المناسب تشجيع مثل هذه المشاريع وتطويرها. مع حُسن اختيار الطعام، فأحياناً كثيرة يتم توزيع أطعمة كمالية، بينما يمكن بهذه المبالغ سد جوعة المحتاجين.

(والمكافأة على الصنایع) مادياً ومعنوياً، فإذا أحسن شخص إلى آخر، فيحسُن أن يجازيه بإحسانه، وأن يردَّ إليه معروفه، كما قال «عز وجل»: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ «الرحمن: ٦٠».

(والتذمُّمُ للجار، والتذمُّمُ للصاحب) وهذه من الدوائر الاجتماعية.. الجيرة.. والصحبة.. أن تحفظ ذمام وحُرمة كلٍّ من جاورك وصاحبك، وتبالغ في ذلك رعاية وإحاطة، فلا إيذاء ولا إساءة، مع حفظ الحقوق، واحترام العلاقة، والصبر على الخطأ، والمبادرة للإصلاح، والمساعدة، والمشاركة في الأحزان والأفراح.. إلخ. (ورأسهن الحياء) أي أن تكون الإنسان الذي يمنعه حيأؤه من أن يتصرف التصرفات التي قد يُعاب عليها في المجتمع، مما نهى الله عنها، وتمجَّها الأنفس. بهذه المكارم ينسجم الإنسان مع نفسه وفطرته، وبها ترتفع مكانته في أعين الناس، وبها ينال رضوان الله ومحبته.

الخطبة الثانية

قراءة في صلح الإمام الحسن

لماذا صالح الإمام الحسن «عليه السلام» ؟ لماذا لم يصرَّ على القتال والمواجهة

ولو أدّى ذلك إلى استشهاد؟ هل للعناصر الشخصية والنفسية دور في اختلاف موقفي الحسن والحسين «عليهما السلام»؟

□ تصحيح السؤال:

أعتقد أن من الخطأ أن نسأل: لماذا صالح الإمام الحسن «عليه السلام»، فقد صالح النبي «صلى الله عليه وآله» المشركين من قبل، كما صالح أمير المؤمنين «عليه السلام».. ولربما الأنسب أن نتساءل: لماذا سلّم الإمام الحسن الحكم لغيره؟ لماذا تنازل عن حقه في الحكم ليصير في يد الأمويين؟ هذا هو السؤال. مَنْ أحب أن يطّلع على الإجابة التفصيلية لهذا التساؤل فأنصح بقرأة كتاب «صلح الحسن» للمرحوم العلامة الشيخ راضي آل ياسين. وما سأقوم به هو مجرد عرض لأفكار رئيسة حول الموضوع بما يجيب عن بعض الأسئلة ذات العلاقة إجمالاً.

١. الفوارق الشخصية:

لا شك أن لكل إنسان عناصره الشخصية، العقلية والنفسية والجسمانية الخاصة به، وأن هذه العناصر تؤثر في قراراته وأفعاله وتروكه؛ والأنبياء والأئمة «عليهم السلام» ليسوا استثناءً من ذلك، فلا يوجد نبي هو نسخة طبق الأصل من نبي آخر.. ولا إمام هو نسخة طبق الأصل من إمام آخر. ولكن هل هذا يعني أن الحسين لو كان في موقع الإمامة بدلاً من الحسن لكان أخذ قراراً عدم الموافقة على بنود الصلح بناءً على عناصره النفسية كالشجاعة والجُرأة التي تميّز بها في مقابل ما تميّز به الحسن من مهابة وحلم كما في بعض الروايات - على فرض صحتها - أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (أما حسنٌ فله هيبتي وسؤددي، وأما حسين فله جرأتي وجودي)؟

الأمري في ذاته محتمل، فالنبي موسى «عليه السلام» طلب من الله سبحانه مساندة أخيه هارون عندما أمره بالذهاب إلى فرعون.. لماذا؟ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ، وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ «الشعراء: ١٢-١٣».

وهذا يعني أن في هارون «عليه السلام» من السمات الشخصية ما يختلف به عن موسى «عليه السلام»، ومن بينها سعة الصدر.

ونجد الله «عز وجل» يذكر أخوين بصفتين مختلفتين، أمّا الأكبر

إسماعيل «عليه السلام» فيصفه بما سيميّز به من حلم: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ «الصفات: ١٠١»، وأما الآخر، إسحاق، فيصفه بما سيميّز به من ذكاء وعلم: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ «الذاريات: ٢٨».

وهكذا تعامل النبي موسى مع صناعة وعبادة العجل الذهبي بطريقة مختلفة عن تلك التي تعامل معها النبي هارون «عليه السلام»: ﴿... وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ «الأعراف: ١٥٠» وفي موضع آخر: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي، قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي.... وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ «طه: ٩٢-٩٧».

ظروف وموقعية وطبيعة كل فرد - ولو كان من الأنبياء - تختلف.

إلا أن دراسة المعطيات التاريخية لا تساعد على تصوّر أن الحسين «عليه السلام» ما كان ليقبل بذلك الصلح لو كان في مكان أخيه، وأنه كان سيقاقل إلى الآخر.

ومما يؤيد ذلك ما جاء في بعض المصادر ومن بينها كتاب (الأخبار الطوال) للدينوري حول التحركات التي قام بها بعض أهل الكوفة لتغيير موقف الإمام الحسن بعد الصلح وبعد أن كشف معاوية عن نواياه، وفشلهم في ذلك.

يقول الرواة: (ثم خرجنا من عنده، ودخلنا على الحسين، فأخبرناه بما رد علينا، فقال: صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم جليساً من أحلاس بيته) أي ملازماً لبيته، كناية عن عدم الثورة (ما دام هذا الإنسان حياً).

ثم إن الإمام الحسين «عليه السلام» حافظ على موقفه هذا لعشر سنوات طوال عهد معاوية... ففي نفس المصدر أن أهل الكوفة كتبوا للحسين بعد استشهاد الحسن يعلنون له استعدادهم للخروج فكتب إليهم: (أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفقه وسدّده فيما يأتي، وأما أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حياً).

٢. الحرب أولاً:

ثم إن الإمام لم يبادر لتسليم الحكم لمعاوية ضمن الصلح منذ بداية

استلامه للحكم، بل الظروف هي التي استدعت أن يقوم بذلك. فبعد استشهاد علي «عليه السلام» والتي جاءت في ظروف دعوته للتعبئة العامة لخوض حرب جديدة مع معاوية، عباً الحسن «عليه السلام» الناس، وخرج إلى معسكره، وحصل الانقلاب عليه وهو في المعسكر. والكلام طويل في تفاصيل ذلك الانقلاب والخذلان من أقرب الناس إليه ومن رؤساء القبائل والعشائر المشاركة في عسكره، والذي تم من خلال: أ. شراء الذمم، ولاسيما ذمم القيادات والشخصيات النافذة.

ب. نشر الإشاعات، تارة أن الحسن يكاتب معاوية على الصلح، فلم تقتلون أنفسكم؟ وأخرى أن معاوية اشترى من القيادات من يقتل الإمام ليسلمه له، وثالثة أن معاوية قد دس من يغتاله.

ج. اضطراب معسكر الإمام بسبب بعض هذه الإشاعات إلى الحد الذي دفع الكثيرين لنهب المعسكر أو تركه.

د. تعرض الجراح بن سنان الأسدي لاغتيال الإمام وإصابته في فخذه إصابة بليغة اشتدت به العلة بسببها.

وأمر عديدة ليس هذا مجال التفصيل فيها، ولكن ملخص الصورة أن:

أ. طبيعة تركيبة جيش الإمام.

ب. الأساليب التي اعتمدها معاوية ونجح من خلالها في تفتيت جيش الإمام وبث الفرقة فيه وتأليه على قيادته.

ج. خوف الإمام «عليه السلام» على الثلة الباقية من المؤمنين أن تفنى في حرب غير متكافئة.

كل هذه العوامل دفعته إلى قبول ذلك الصلح الذي يتضمن تنازله عن الحكم مؤقتاً. ولكي نعي معنى التنازل المؤقت ننقل إلى النقطة الثالثة والتي نعرض من خلالها مضمون الصلح.

٣. مضمون المعاهدة:

جاء في معاهدة الصلح: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن

بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان: صالحه على أن يُسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله «صلى الله عليه وآله» وسيرة الخلفاء الصالحين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً) هنا روايتان، إحداهما «بل يكون الأمر بعده للحسن ثم لأخيه الحسين»، والأخرى: «بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين» (وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمَنهم وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء وبما أعطى الله من نفسه، وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» غائلة سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق).

فعلى الروايتين لا شيء من البنود يتضمّن استمرار الحكم في البيت الأموي، بل إما عودة الحكم لأحد الإمامين «عليهما السلام»، أو جعلها شورى بين المسلمين.. وهل كانت لتصل بالشورى إلى يزيد؟ لا أحد يتصوّر ويتقبّل ذلك، لما عُرِف عنه من لهوه واهتماماته وعناصر شخصيته.

٤. الحفاظ على الثلة المؤمنة:

صرّح الإمام الحسن «عليه السلام» لاحقاً بأن من أهم الأسباب التي دفعته لقبول التنازل عن الحكم مؤقتاً خوفه على الثلة المؤمنة الباقية من أن تَفنى، والذي يعني أن الجوَّ سيصبح كله أمويّاً.

ومن أمثلة ذلك قوله: (لستُ مُدلاًّ للمؤمنين، ولكني مُعزُّهم، ما أردتُ بمُصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل، عندما رأيتُ تباطؤَ أصحابي ونُكولهم عن القتال).

وقوله لأحد الخوارج: (ويحك أيها الخارجي، لا تقص، فإن الذي أحوجني إلى ما فعلتُ قتلُكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهاءكم متاعي، وإنكم لما سرتُم إلى صِفّين، كان دينُكم أمامَ دنيّاكم، وقد أصبحتم اليوم ودنيّاكم أمامَ دينكم. ويحك أيها الخارجي، إني رأيتُ أهل الكوفة قوماً لا يوثق بهم، وما اغترَّ بهم إلا من ذلّ، وليس أحدٌ منهم يوافق رأيَ الآخر، ولقد لقي أبي منهم أموراً صعبة، وشدائد مُرّة، وهي أسرع البلاد خراباً، وأهلها هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً).

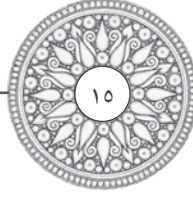
□ دراسة من خلال الواقع:

إن تنازل الإمام الحسن «عليه السلام» عن الحكم ضمن الصلح كان تنازلاً مؤقتاً، ولم يكن حالة ضعف أو حالة هروب من الشهادة.

لقد أراد الإمام بذلك أن يفسح المجال للناس ليدرسوا الأمور من خلال الواقع البديل الذي سيتبلور تدريجياً من خلال انتقال الحكم إلى معاوية، فالواقع الإسلامي سيتغير بشكل كبير، وحينها ستتحرك المعارضة من خلال ردّة الفعل على هذا الواقع الذي عايشوه وعانوا منه، بعد أن كانوا فقط يسمعون التحذيرات منه في كلمات الإمام علي، ولن تكون حركتهم هذه المرة طاعةً فقط لأوامر القيادة واختياراتها.. وهذا سينمي المعارضة وقواعدها، ولربما يسمح المستقبل بالحركة من جديد.. وهكذا كان، إذ لم تمض سنون على ذلك إلا وكانت هناك قاعدة شعبية تنتقد، وتعارض.

ثم جاءت انطلاقة الحسين «عليه السلام» بعد موت معاوية لتمثّل الصدمة التي أراد من خلالها أن يهزّ الواقع هزةً عنيفةً من الأعماق، ممّا غير المعادلة على الأرض، وبدأت دولة آل أمية تفقد شرعيّتها لتتآكل تدريجياً من الداخل وتنهك أمام الثورات والانشقاقات التي واجهتها. لقد صالح الحسن من واقع المسؤولية، وثار الحسين من واقع المسؤولية، كل بحسب الظروف والمعطيات التي فرضت هذه الصورة أو تلك.





الخطبة الأولى

الخير في القرآن الكريم

جاء ذكر عنوان الخير في القرآن الكريم في موارد عديدة، وإذا رجعت إلى الأصل اللغوي للكلمة وجدت مثلاً في كتاب «مقاييس اللغة» أن أصل الكلمة من «الميل».. الصحة، والمال، والمعرفة، والقوة، والجاه، والنعيم، وأمثال ذلك، كلها من الخير.. لماذا؟ لأن الإنسان يميل إليها.

وكما أن هناك شراً مادياً، وشراً معنوياً، وشراً فكرياً؛ وشراً صادراً عن الإنسان، وشراً صادراً عن الطبيعة... هكذا الخير، يشمل كل هذه التنوعات. ومن هنا نجد أن القرآن الكريم استعمل هذه الكلمة في موارد مختلفة لها علاقة بهذه التنوعات، وذلك من قبيل:

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الروحي، والمعنوي، والأخلاقي، كالإصلاح، والتجانب، وما يؤلف القلوب، وما يهدي الناس، وما يصلح سلوكياتهم، وأمثال ذلك ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ «آل عمران: ١٠٤».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ كمساعدة المحتاج، ورعاية اليتيم، والإنفاق في سبيل الله ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ «الحج: ٧٧».

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ كفور ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ، وَأَنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ من المال والملك والملذات ﴿لَشَدِيدٌ﴾ «العاديات: ٦-٨».

□ اختبار إلهي:



ثم يأتي القرآن ليحذرننا من أن وجود الخير بأيدينا مما أنعم الله به علينا يمثل نوعاً من الاختبار لنا أيضاً، وبالتالي فهو مسؤولية نحاسب عليها.. سواء أكان الخير من نعم المال، أو الصحة، أو العلم، أو الذرية، أو الجمال، أو القوة، أو المحبوبة عند الناس، أو المنصب، أو المهارات، أو غير ذلك: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ «الأنبياء: ٣٥». على أن لا ننسى أن المعطي الحقيقي والأصيل للخير بكل تنوعاته هو الله سبحانه و«عز وجل».

وهذا يستدعي أن تتعلّق قلوبنا وآمالنا بالله كي نحصل على الخير، وأن ندعوه في ليلنا ونهارنا: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «آل عمران: ٢٦».

□ الخير في ليلة القدر:

وعندما يرزقنا الله «عز وجل» في كل عام بليلة تساوي عمر الإنسان كله، ويقدم لنا من خلالها فرصة العمر بأن نتوب من ذنوبنا، وأن يحقق لنا طلباتنا، وأن نساهم من خلالها في تحديد صورة القادم من أيامنا إلى عام مُقبِل، فهذا من الخير الذي لا يماثله خير.

وهذا يستدعي منا أن نعرف لهذه الليلة حُرمتها وقيمتها، وأن نكون فيها كما يحبّ الله «عز وجل» أن نكون فيها، بالعمل الصالح، والصلاة النافلة، وتلاوة القرآن، والدعاء، وذكر الله.. والشقي من يضيع هذه الفرصة العظيمة.

على أن يلتفت الأعزاء إلى أن هذه الليلة تبدأ من الغروب، وتستمر إلى الفجر، لا أنها تبدأ من حيث تبدأ برامج الإحياء في المساجد قبيل منتصف الليل، وإلا نكون قد ضيعنا من ليلتنا المحدودة هذه قرابة الأربع ساعات هي من أثنى ساعات حياتنا.

الخطبة الثانية

الخير في كلمات أمير المؤمنين



لأمير المؤمنين علي «عليه السلام» حديث متنوع أيضاً عن الخير، وما يهمني هنا هو معنى الخير عند علي «عليه السلام» على صعيد العلاقات الإنسانية، على أنه ليس بالضرورة أن تستعمل هذه الكلمة في النص، بل يكفي أن تكون بعض مصاديق الخير مذكورة فيه.

□ أولاً، شمولية الخير:

حيث تستحكم المادة وتستحوذ على الإنسان حتى في تقييمه لنفسه وللآخرين، لتكون هي معيار النجاح والفشل، والفوز والخسارة، والسعادة والشقاء، ولتختصر الخير في المادة فقط، يؤكد «عليه السلام» أن مفهوم الخير من جهة أشمل من ذلك، ومن جهة أخرى فإن بعض عناوين الخير ومفرداته غير المادية مقدمة رتبة على مفردات وعناوين الخير المادي.

ففي قسم الحكم من نهج البلاغة أنه: (سُئِلَ عَنِ الْخَيْرِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ: لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ).

والمباهاة هنا ليست بمعنى الترفع على الناس والتكبر، بل بالمعنى التالي: (فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمْدَتَ اللَّهِ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ، وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِلرَّجُلَيْنِ، رَجُلٍ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَهُوَ يَتَذَكَّرُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَرَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ).

□ ثانياً، خصلة تجرّ أخرى:

خصلة الخير لا توجد وحيدة في الإنسان، فإذا كانت أخواتها كوامن، فلربما نحتاج إلى ما يبعثها من النفس ويحفّزها للفاعلية، ولذا قال: (إذا كان في رجل خلّة رائقة فانظروا أخواتها).

□ ثالثاً، اكتساب خصال الخير:

خلال الخير يمكن اكتسابها أيضاً بواسطة الأجواء التي يعيشها الإنسان، تماماً كما أن خلال الشر تُكتسب بذلك، قال: (جالس أهل الخير تكن منهم.. اطلبوا

الخير وأهله).

□ رابعاً، كن عند حسن ظنهم:

قد يظن بك الناس خيراً في أمر ما.. على المستوى الأخلاقي، أو العبادي، أو المعرفي أو السلوكي أو غير ذلك.. ولكنك تعلم من نفسك أنك لست كذلك.. فليكن حسن ظنهم بك دافعاً لأن تكون كما ظنوا بك: (وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خِيراً فَصَدَّقْ ظَنَّهُ).

□ خامساً، التهرب من المسؤولية:

هناك نموذج من الناس يتهرب من مسؤولية ما يتنعم به من خير، ويلقي بها على عاتق الآخرين.. الآخرون لديهم مال أيضاً لينفقوه على المحتاجين.. لماذا أنا؟ الآخرون لديهم وقت فراغ للمساعدة.. لماذا أنا؟ بادر لفعل الخير، فما لديك من خير إنما هو فئنة واختبار.. ولربما تفقده في يوم ما وتتحسر على الفرص التي فاتتك لنيل الثواب. قال «عليه السلام»: (افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً. فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ، وَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي، فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ) أي تسلب التوفيق أو القدرة على فعل الخير فعلاً وواقعاً (إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلًا فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ). وقال «عليه السلام» في مورد آخر: (الْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرْصَ الْخَيْرِ).

□ سادساً، المبادرة والتلقائية:

بادر إلى الخير.. وليكن فعل الخير عندك تلقائياً كلما وجدت له مورداً.. سواء أكان الخير مالاً أو إرشاداً أو نصيحة أو علماً أو مساعدة بقوتك الجسدية أو غير ذلك. لا تنتظر السؤال والطلب، فالطلب انكسار للطالب، فإذا بادرت لفعل الخير قبل الطلب حققت أمرين، الأول، أنك ساعدت صاحب الحاجة، والثاني أنك حفظت له شيئاً من كرامته، ولم تدفعه إلى الشعور بذل الطلب. قال «عليه السلام»: (للكرام فضيلة المبادرة إلى فعل المعروف وإسداء الصنائع).

□ سابعاً، مراعاة شعور الآخرين:

ومن الفكرة السابقة تتفرع هذه الفكرة، إذ أن من كمال فعل الخير مراعاة شعور المحتاج. يقول الحارث الهمداني: (سامرتُ أمير المؤمنين «صلوات الله عليه»

فقلت: يا أمير المؤمنين عرضت لي حاجة، قال: فرأيتني لها أهلاً؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: جزاك الله عني خيراً، ثم قام إلى السراج فأغشاها وجلس ثم قال: إنما أغشيت السراج لئلا أرى ذل حاجتك في وجهك، فتكلم، فإني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: الحوائجُ أمانةٌ من الله في صدور العباد، فمن كتمها كُتبت له عبادة) وكأن الله يريد للإنسان أن يحفظ كرامته ولا يذل نفسه لأحد بطلب ما استطاع (ومن أفشاها) فسأل حاجته من الناس (كان حقاً على من سمعها أن يعينه).

□ ثامناً، فاعل الخير أحوج:

وإمعاناً في حفظ كرامة المحتاج، وإغلاق احتمالات فتح باب الاحتقار والمن والتكسب من خلال فعل الخير، يؤكد الإمام «عليه السلام» على أن العامل للخير هو الأحوج إليه، قال: (أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه).

□ تاسعاً، حسن الظن:

اجعل الخير لا الشر هو منبع أفعال الآخرين.. لا تُفسّر أفعال الآخرين على أنها انطلقت بدوافع سلبية أو عن سوء قصد؛ وبذا تبني جسور الثقة بينك وبينهم، وبالثقة تعمر العلاقات. قال: (لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملاً).

□ عاشراً، لا تستكثر:

لا تستكثر فعل الخير الذي تأتي به، فإنه يبقى قليلاً في حجم ما أعطاك الله، والاكتفاء بهذا القليل إنكار لقدرتك العظيمة على العطاء. قال «عليه السلام» في وصف المتقين: (ولا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مُشفقون).

□ شهر الخير:

إنَّ شهرَ رمضانَ شهرُ الخير والبركة والرحمة، وقد أثنى الله «عز وجل» على الذين يُسارعون في الخيرات، فكيف إذا كان الخير صادراً في شهر رمضان

الذي تتضاعف فيه الحسنات... ولنتذكر قوله «عز وجل»: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) .. فلنكن أولياء الله، لا أولياء الشيطان.

□ قائد الخير:

لقد وصف الإمام زين العابدين «عليه السلام» رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه قائدُ الخير إذ قال: (اللَّهُمَّ فَضِّلْ عَلَى مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَى وَحْيِكَ، وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيِّكَ مِنْ عِبَادِكَ، إِمَامَ الرَّحْمَةِ وَقَائِدَ الْخَيْرِ وَمِفْتَاحَ الْبَرَكَاتِ) فلنكن من قادة الخير على صعيد العطاء المائي والجسدي والعلمي والأخلاقي والتربوي، اتباعاً لسنته، واهتداءً بهديه، ولنبادر إلى كل ما هو خير (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَوَفِّقْنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا، وَلَيْلَتِنَا هَذِهِ، وَفِي جَمِيعِ أَيَّامِنَا، لاسْتِعْمَالِ الْخَيْرِ، وَهَجْرَانِ الشَّرِّ، وَشُكْرِ النُّعْمِ) إنك سميع مجيب.





الخطبة الأولى

مشاعر وداع شهر رمضان

في دعاء وداع شهر رمضان للإمام زين العابدين «عليه السلام» في الصحيفة السجادية، نتوقف مع هذه المقاطع الرائعة والتي تعبّر عن مشاعر الصائم الحقيقي الذي تفاعل مع هذا الشهر الكريم كزائر عظيم يحمل الكثير من العطايا، ولكنه سرعان ما يغادر.. فلا بد والحال هذه من أن يستفيد من تلك العطايا ما أمكن، وأن لا يُضيّع منها شيء ما أمكن.

قال «عليه السلام» شاكرًا الله «عز وجل» على عظيم نعمته في الهداية: (هَدَيْتَنَا لِدِينِكَ الَّذِي اصْطَفَيْتَ، وَمِلَّتِكَ الَّتِي ارْتَضَيْتَ، وَسَبِيلِكَ الَّذِي سَهَّلْتَ، وَبَصَّرْتَنَا الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ، وَالْوَصُولَ إِلَى كِرَامَتِكَ).

والاهتداء إلى هذا الدين يحمّل الإنسان مسئولية أداء الوظائف الملقاة على عاتقه، وهذه الوظائف تقابلها الرحمات الإلهية العظيمة. ولذا قال: (اللهم وأنت جعلت من صفايا تلك الوظائف) والصفايا هي الأفضل بين أقرانها (وخصائص تلك الفروض) الفروض المميزة وذوات القيمة العليا (شهر رمضان الذي اختصّته من سائر الشهور، وتخيّرتّه من جميع الأزمنة والدهور، وآثرتّه على كل أوقات السنة بما أنزلت فيه من القرآن والنور، وضاعفت فيه من الإيمان، وفرضت فيه من الصيام، ورغبت فيه من القيام، وأجلّلت فيه من ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر).

□ امتياز إلهي:



وقد منّ الله على أمة محمد «صلى الله عليه وآله» أن خصّها بصيام هذا الشهر، وبعطايا هذا الشهر، وهو ما يستدعي من المسلم أن يفخر بهذا الامتياز الإلهي.

تخيّل لو أن مسؤولاً كبيراً قال لك: لقد اخترتك من بين كل الناس لتقوم بهذه المهمة الخاصة.. إذ وجدتكَ كفواً لذلك، وسأجزل لك العطاء عند تنفيذك المهمة.. أليس من حقك أن تشعر بالفخر والاعتزاز، وأن تتباهى بأنك كنت الأثير عنده من بين أقرانك، وأنه رأى فيك من الصفات ما أهلك دون سواك للقيام بالمسؤولية المختارة؟

لذا قال «عليه السلام»: (ثم آثرتنا به على سائر الأمم، واصطفيتنا بفضله دون أهل الملل، فصمنا بأمرِكَ نهاره، وقمنا بعونِكَ ليله، متعرّضين) أي طالبين وساعين (بصيامه وقيامه لما عرّضتنا له من رحمتِكَ، وتسبّبنا إليه من مَثُوبَتِكَ. وأنت المليء بما رُغِبَ فيه إليك، الجواد بما سُئِلتَ من فضلك، القريبُ إلى مَنْ حاول قُربَكَ).

□ نظرة الفراق:

وكيف هي نظرُتنا إلى هذا الضيف بعد أن عايشناه طوال الأيام الماضية، ونهلنا من رحماته؟ (وقد أقام فينا هذا الشهرُ مقامَ حَمْد، وصَحِبنا صُحبة مَبْرور، وأربَحنا أفضلَ أرباح العالمين).

(ثم قد فارقنا عند تمام وقته وانقطاع مدته، ووفاء عَدده. فنحن مودّعوه وداع مَنْ عَزَّ فِرَاقُه علينا، وغمنا وأوحشنا انصرافه عنا، ولزِمنا له الذمامَ المحفوظ والحرمةَ المرعية والحقُّ المقضي).

لاشك أن مَنْ كان بعيداً عن الله في أيام هذا الشهر، وإن صام امتناعاً عن الطعام والشراب، لا يفهم معنى هذه الكلمات، وهذه الأحاسيس التي ذكرها الإمام، وهذه اللوعة لفراق هذا الضيف العزيز، ولعله يتصوّر أنها نوع من كلمات المجاملة أو التظاهر أو استدرار الرحمة الإلهية؛ والواقع أنها مشاعر حقيقية عاشها كل مَنْ عرف القيمة الروحية والأخروية والعطاءات غير المحدودة لهذا الشهر المبارك.

□ السلام على شهر الله الأكبر:



(فَنَحْنُ قَائِلُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ اللَّهِ الْأَكْبَرِ، وَيَا عِيدَ أَوْلِيَائِهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَكْرَمَ مَصْحُوبٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَيَا خَيْرَ شَهْرٍ فِي الْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ قَرُبَتْ فِيهِ الْأُمَالُ، وَنُشِرَتْ فِيهِ الْأَعْمَالُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِينٍ جَلَّ قَدْرُهُ مَوْجُوداً، وَأَفْجَعَ فَقْدُهُ مَفْقُوداً، وَمَرْجُوُّ أَلَمِ فِرَاقِهِ.... اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَوْفَ عِقَابِ الْوَعِيدِ، وَشَوْقَ ثَوَابِ الْمَوْعُودِ.... اللَّهُمَّ تَجَاوَزْ عَنْ آبَائِنَا وَأُمَهَاتِنَا وَأَهْلِ دِينِنَا جَمِيعاً، مَنْ سَلَفَ مِنْهُمْ وَمَنْ غَبَرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ).

الخطبة الثانية

فلسطين.. بين التطفيف والنفاق السياسي

قال «عز وجل»: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ «المطففين: ١-٣».

في عالم التجارة، عندما لا يلتزم التاجر بنفس المعيار في شرائه وبيعه، فإنه يكون من المطففين.. إذا اشترى استوفى حقه بمكيال كامل، وإذا باع استعمل مكيالاً آخر يخس عن طريقه حق المشتري ويغشه به.. ولذا يقال: فلان التاجر يكيل بمكيالين.. هذا هو التطفيف.

وقد استعمل العرب مصطلح «الكيل بمكيالين» في دائرة أوسع من الدائرة التجارية، لتشمل كل حالة نجد فيها ازدواجية في المعايير..

ولذا فكما يوجد تطفيف تجاري، هناك تطفيف سياسي، وتطفيف اجتماعي، وتطفيف ثقافي، وتطفيف إداري، وتطفيف قضائي.. إلخ، وكلها من صور الظلم وبخس حق الآخر.

□ تعريف ازدواجية المعايير:

في عام ١٩١٢ تم تعريف مصطلح الكيل بمكيالين أو ازدواجية المعايير / المعايير المزدوجة - بحسب التعبير المعاصر - في صياغته السياسية الحديثة كالتالي: (مجموعة من المبادئ التي تتضمن أحكاماً مختلفة لمجموعة من الناس بالمقارنة مع مجموعة أخرى).

وبتعبير آخر، هناك معايير، يُحكم من خلالها على قضية أو تصرف ما بحكم معين، إذا كان طرفها مجموعة من الناس؛ بينما إذا صار المعني بها مجموعة أخرى من الناس، غابت تلك المعايير، ليتغير الحكم بالتبع.. وهذا من التطفيف.

□ ظلم وتحيّز وتمييز:

وإذا أردنا أن نستبعد النظرة الدينية لهذا النوع من التطفيف، فإنّ الفقه القانوني الحديث يعتبر أن: جميع الأطراف يجب أن تقف على قدم المساواة أمام القانون. ولذا فإن ازدواجية المعايير ممارسة للظلم.

وكذلك فإن ازدواجية المعايير انتهاك لمبدأ الحياد، والذي يقوم على أساس افتراض أن نفس المعايير ينبغي أن تُطبّق على جميع الناس.

كما أن ازدواجية المعايير تُمثّل نوعاً من التحيّز في القانون السياسي؛ والتحيّز على أساس الطبقة الاجتماعية، أو العرق، أو الجنس، أو الدين، أو الجنسية، يمثّل نوعاً من أنواع التمييز.. وهو أمر مجرّم في القانون الدولي.

وقد يجتمع النفاق السياسي مع هذه الازدواجية والكيل بمكيالين، حين يدّعي طرف أنه ملتزم بمعايير معيّنة، ويطالب المجتمع الدولي بالتزامها، بينما يستبطن ويمارس التمييز، وتغيب تلك المعايير في مواقفه متى ما كان الأمر يخصّ طرفاً ما، وهذا من أقبح صور الممارسة السياسية.

□ من أبرز الضحايا:

والقضية الفلسطينية اليوم من أبرز ضحايا هذه الازدواجية في المعايير والنفاق السياسي مجتمعين معاً.

يُطرد الشعب الفلسطيني في غالبية من وطنه وأرضه، ويُحرّم من ممتلكاته.. ثم يُضغط عليه دولياً ليدخل في مساومات وبدائل وبمنطق إن تقبل فذاك، وإلا فلا

شيء لك عندنا.

ثم يتطوّر الأمر إلى التفاوضي عن حق العودة وإهماله في ضمن جريمة «صفقة القرن» التي يُروّج لها من قبل الإدارة الأمريكية الحالية.

يا ترى.. لو كان الأمر لا يخص الشعب الفلسطيني، وليس طرفه المعتدي اليهود الصهاينة، هل كانت المسألة لتتم بهذه الصورة؟

□ حل الدولتين:

ويتم الحديث طوال السنوات الماضية عن حلّ الدولتين.. وأنها الوصفة السحرية التي تحمل معها الحلّ للقضية الفلسطينية.. ويتم الضغط الدولي على الأطراف الفلسطينية والإقليمية للقبول بذلك، والدخول في مفاوضات يُطلق عليها أنها مفاوضات سلام.

وفي عملية عسرة وُلد مَسْخٌ أطلقوا عليه ظلماً اسم (الدولة الفلسطينية)، ولكنه في واقع الحال وجودٌ ليس له تعريف لا من الناحية القانونية ولا السياسية.. لا شكلاً ولا مضموناً.. لا حدوداً ولا سيادة.. لا حقّ دفاع عن النفس ولا قراراً مستقلاً.

□ مولود مسخ:

وحتى هذا المولود المسخ صار يُستجَدَى استجداءً من الصهاينة، ويُمَنُّ به على الفلسطينيين من حين إلى آخر ويُهَدَّدون بإلغائه من الأساس، ويمارس عن طريقه كل صور الابتزاز القبيح.

يا ترى.. لو كان الأمر لا يخص الشعب الفلسطيني، وليس طرفه المعتدي اليهود الصهاينة، هل كانت المسألة لتتم بهذه الصورة؟

□ جرائم وصمت:

يُمسي المجتمع الدولي ويُصبح على أنباء الجرائم والاعتداءات الصهيونية المتكررة على الإنسان.. على الأرض.. على الممتلكات.. لم يسلم الرضيع.. ولا الشيخ.. ولا المرأة.. ولا الطواقم الطبية.. ولا الإعلامية.. ولا مجموعات السلام الدولية.. ولا مؤسسات الأمم المتحدة.. ثم يكون أقصى ما يصدر عن كبار مسؤولي

الأمم المتحدة بهذا الشأن مطالبة «إسرائيل» بضبط النفس وعدم استعمال القوة المفرطة!

□ ورقة التوت الدولية:

وحتى ورقة التوت هذه التي تحاول الأمم المتحدة أن تستر بها عورتها حين تتعامل مع القضية الفلسطينية، تدخل في مساومات القوى الكبرى، حيث لا بد من إدانة الفلسطينيين وتهديدهم لأنهم دافعوا عن أنفسهم، أو خرجوا في مظاهرات سلمية عند الحواجز الكهربائية والشائكة التي يحتجزهم خلفها الصهاينة. فحق الدفاع عن النفس والتظاهر السلمي مسموح لكل أحد.. إلا ضد الصهاينة!

يا ترى.. لو كان الأمر لا يخص الشعب الفلسطيني، وليس طرفه المعتدي اليهود الصهاينة، هل كانت المسألة لتتم بهذه الصورة؟

□ انتكاسة عربية وصمود كويتي:

والذي يؤلم اليوم أكثر من أي شيء، أن كثيراً من الأطراف العربية بما في ذلك النخب المثقفة والأحزاب السياسية ورجال الدين باتت تردّد مقولات إعلامية وسياسية لا تستهدف سوى القضاء على القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني، وتصريح عن مللها وسأمها من استمرارية هذه القضية، وأنه لا بد من الانتهاء منها بأية صورة، وطّئ صفحاتها، دون إبداء أي اهتمام بحجم الظلم الذي سيقع بحق فلسطين والشعب الفلسطيني، بل وباتت تحمّل الفلسطينيين مسؤولية الجرائم الإسرائيلية التي يستحي المجتمع الدولي من إنكارها ولا يجد مهرباً من التنديد بها. وهذه الأطراف العربية – وهي تمارس الازدواجية السياسية والكيل بمكيالين – ما عادت تشعر بالحاجة إلى النفاق السياسي الذي لربما كانت تستترّ به في أوقات ماضية، ليبرز دور دولة الكويت الصامد في مجلس الأمن، وفي اجتماعات الاتحاد البرلماني الدولي، وكأنها تغرد خارج السرب!

□ لا تستوحشوا !

ولكن، لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله.. كما قال أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد نجحت الدبلوماسية الكويتية في أن تسقط مشروع القرار الذي تقدمت به المندوبة الأمريكية في مجلس الأمن والذي لم يجد له مؤيداً سوى



صاحبته، وكشفت من خلال الفيتو الأمريكي لثاني مرة على مشروع القرار الذي قدّمته الكويت لتوفير الحماية الدولية للفلسطينيين عن التطفيف السياسي الذي تمارسه الإدارة الأمريكية بحق القضية الفلسطينية العادلة.. حتى قيل في مقام اللوم للكويت: (إن ما أقدمتم عليه لم تقم به دول عربية كبيرة، ولم تُظهر الموقف الذي أظهرتموه).. متناسين أنه لطالما كانت الكويت كبيرة في مواقفها، وإن كانت صغيرة في مساحتها.

□ منبر يوم القدس:

ويبقى يومُ القدس العالمي منبراً من المنابر التي يجب أن نحافظ عليها في تحمّلنا لجزء من المسؤولية تجاه قضايانا الكبرى، إحقاقاً للحق، وانتصاراً للعدل، وإرضاءً للضمير، وتقرباً إلى الله «عز وجل».





الخطبة الأولى

من دعاء يوم الأضحى والعيد

جاء في دعاء الإمام زين العابدين «عليه السلام» في يوم الأضحى ويوم الجمعة:
 (اللَّهُمَّ هَذَا يَوْمٌ مُبَارَكٌ مَيِّمٌ، وَالْمُسْلِمُونَ فِيهِ مُجْتَمِعُونَ فِي أَقْطَارِ أَرْضِكَ، يَشْهَدُ السَّائِلُ مِنْهُمْ وَالطَّالِبُ وَالرَّاعِبُ وَالرَّاهِبُ، وَأَنْتَ النَّاطِرُ فِي حَوَائِجِهِمْ، فَاسْأَلْكَ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ وَهُوَ أَنْ مَا سَأَلْتُكَ عَلَيْكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاسْأَلْكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا بِأَنَّ لَكَ الْمُلْكُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، مَهْمَا قَسَمْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ خَيْرٍ أَوْ عَافِيَةٍ أَوْ بَرَكَاتٍ أَوْ هُدًى، أَوْ عَمَلٍ بِطَاعَتِكَ أَوْ خَيْرٍ تَمُنُّ بِهِ عَلَيْهِمْ، تَهْدِيهِمْ بِهِ إِلَيْكَ، أَوْ تَرْفَعَ لَهُمْ عِنْدَكَ دَرَجَةً أَوْ تُعْطِيَهُمْ بِهِ خَيْرًا مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاسْأَلْكَ اللَّهُمَّ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَحَبِيبِكَ وَصَفْوَتِكَ وَخِيَارَاتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ الْأَبْرَارِ الطَّاهِرِينَ الْأَخْيَارِ، صَلَاةً لَا يَقْوَى عَلَى إِحْصَائِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَأَنْ تَشْرِكَنَا فِي صَلَاحٍ مِنْ دَعَاكَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَلَهُمْ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. اللَّهُمَّ إِلَيْكَ تَعَمَّدْتُ بِحَاجَتِي، وَبِكَ أَنْزَلْتُ الْيَوْمَ فَقْرِي وَفَاقَتِي وَمَسْكِنَتِي، وَإِنِّي بِمَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ أَوْثِقُ مِنْ بَعْمَلِي، وَلِمَغْفِرَتِكَ وَرَحْمَتِكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي. فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَتَوَلَّ قَضَاءَ كُلِّ حَاجَةٍ هِيَ لِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهَا، وَتَيْسِيرِ ذَلِكَ عَلَيْكَ، وَبِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ، وَغِنَاكَ عَنِّي، فَإِنِّي لَمْ أَصِبْ خَيْرًا قَطُّ إِلَّا مِنْكَ، وَلَمْ يَصْرِفْ عَنِّي سُوءًا قَطُّ أَحَدٌ غَيْرُكَ، وَلَا أَرْجُو لِمَرِّ آخِرَتِي وَدُنْيَايَ سِوَاكَ. يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

الخطبة الثانية

مكتسبات شهر رمضان، أمانة

الحس الاجتماعي كان قوياً في شهر رمضان.. التراحم، والتزاور، والتصالح، والابتعاد عن الغيبة والنميمة، وتقديم المساعدة المالية للمحتاجين، وأمثال ذلك، كلها كانت فاعلة... وهذه من بركات شهر رمضان وغايات صيامه.

هذا الحس الاجتماعي يُراد له أن يبقى فاعلاً ما بعد الشهر. فهذا الشهر كان بمثابة برنامج تدريبي على ذلك.. استشعرنا من خلاله جمال وحُسن أن نعيش السلام الروحي مع النفس، ومع الآخرين، وبما حقق لنا الراحة النفسية في هذا الإطار. ومن المنطقي أن يكرّر الإنسان التجربة الإيجابية ويحافظ عليها وينمّيها، وأن لا يعود إلى الوراء؛ وهي تجربة متناغمة مع أجواء الجنة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ «الحجر: ٤٥-٤٨». والنَّصَب والتعب لا يقتصر على بذل الجهد في العمل، أو من خلال المرض مثلاً، بل يشمل نصب الحقد والحسد والنميمة والقلق وأمثال ذلك أيضاً.

فلنتفكر قليلاً بعد أن مضى هذا الشهر الكريم في مكاسبنا التي لا تقتصر على الثواب ومحو السيئات، بل في التغيير الإيجابي الذي تحقّق في جانب منه في ما يمسّ أخلاقنا وسلوكياتنا وأفكارنا ومشاعرنا، لنحافظ عليها وننمّيها، بما يحقّق لنا ولمجتمعاتنا الأمن والسلام والطمأنينة والقوة في الحياة، وليكامل بها صورة التقوى التي أراد الله أن تكون الغاية الكبرى للصيام في هذا الشهر العظيم.

اللَّهُمَّ اسْلَخْنَا بِإِسْلَاحِ هَذَا الشَّهْرِ مِنْ خَطَايَانَا، وَأَخْرِجْنَا بِخُرُوجِهِ مِنْ سَيِّئَاتِنَا وَاجْعَلْنَا مِنْ أَسْعَدِ أَهْلِهِ بِهِ وَأَجْزَلِهِمْ قِسْماً فِيهِ وَأَوْفَرِهِمْ حَظّاً مِنْهُ... يا رب العالمين.



الخطبة الأولى

نجاسة الأرض أم جرح القلوب؟

في رواية أنه: (بال أعرابي في المسجد) وفي بعض الروايات أنه قصد ناحية في المسجد (فقام الناس إليه ليقعوا فيه) بالسب والشتم والزجر (فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: دعوه) وفي رواية أخرى: «لا تُزَرِّموه» أي لا تقطعوا عليه بوله، لأنه قد يتضرر، يتألم (وأريقوا على بوله سَجَلاً من ماء - أو ذَنوباً من ماء -) أي دلواً من ماء لتطهير الموقع المتنجس (فإنما بُعِثَ ميسرين ولم تُبْعَثوا معسرين). ثم دعا النبي «صلى الله عليه وآله» الأعرابي فقال: (إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيء من الأذى أو القذر، إنما هي للصلاة وقراءة القرآن).

بكل هدوء وحكمة، عالج النبي «صلى الله عليه وآله» الموقف، دون أن يُلْحِق بهذا الأعرابي الجاهل للأحكام الشرعية الأذى، وتم تطهير الموضع الذي تنجس وكان شيئاً لم يكن.

وفي رواية أخرى أنه: (كان يُؤْتَى بالصبي الصغير ليدعوه بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره، فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه، فيقول: لا تزرموه الصبي بوله، فيدعه حتى يقضي بوله، ثم يفرغ من دعائه له وتسميته، ويبلغ سرور أهله فيه، لئلا يروا أنه تأذى ببوله، فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده). فالقماش المتنجس يمكن تطهيره، ولكن هل يمكن إصلاح القلب المجروح؟ قد يصعب ذلك أحياناً، ولربما يبقى الجرح طوال العمر.

□ في موسم الحج:

أتذكر أنه في سنوات مضت، وخلال موسم الحج، أثار البعض إشكالية وقوف الحجاج من مقلدي سماحة المرجع السيد السيستاني في نفس اليوم الذي يقف فيه سائر المسلمين ومقلدي سائر مراجع الدين، بحيث صار البعض يتصل ويبعث رسائل نصية عبر الهاتف، بل ودار بعضهم على حملات الحج ليقولوا للناس أن حجكم في هذا العام باطل وما إلى ذلك من آثار تستتبع البطلان.

وللأسف، لم يشعر هؤلاء المتكلمون بأنهم يُفسدون فرحة الحجاج في أداء مناسكهم، بعد أن أنفقوا أموالهم وأنعبوا أجسادهم وهجروا أهليهم وراحتهم تقرّباً إلى الله «عز وجل»، في الوقت الذي لم يُفت فيه نفس السيد السيستاني ببطلان حجهم، بل كانت المسألة احتياطية، وطلب من مقلّديه الرجوع فيها إلى مرجع تقليد آخر، علماً بأن الغالبية العظمى من المراجع المعاصرين بين مفت بوجوب متابعة سائر المسلمين في تحديد يوم الوقوف بعرفات، أو جواز ذلك على الأقل، وصحة الحج وإجزائه حتى مع العلم بوجود خطأ في تحديد يوم الوقوف.

بعض هؤلاء الحجاج أنفق ما جمعه على مدى أشهر ولربما سنين من أجل أن يحج، وبعضهم قد لا تواتيه الفرصة مجدداً للحج بلحاظ نظام القرعة في بلاده، أو لضيق ذات يده أو غير ذلك. ولذا كان من المفترض بهؤلاء الإخوة أن يترثوا ويتحقّقوا وينطلقوا في موقفهم من مشاعر الإخوة الإيمانية وأدابها، وأن لا يعيشوا هواجسهم الشخصية ليُربكوا بها أولئك الحجاج، علماً بأنه لم تكن من مسؤوليتهم الشرعية أيضاً أن يفعلوا ما فعلوه.

□ الموقف من العيد:

وقد عشنا خلال الأيام الماضية التي أعقبت عيد الفطر المبارك إثارة سلبية - وللأسف الشديد - مماثلة لهذه الحالة، ولها علاقة بمن أفطروا يوم الجمعة. ما جرى هو أن عديداً من علماء المناطق التي تتحد معنا في الأفق، وعدداً من مجالس علمائهم أيضاً أعلنوا في ليلة الجمعة بعد مناقشة الشهود والتأكد من صحة شهاداتهم، ثبوت هلال شهر شوال بناءً على الرؤية بالعين المجردة في مناطقهم.

ومن اطمأن في الكويت وخارجها إلى هذه النتيجة أفطر، ومن لم يطمئن بقي

صائماً.. ولكل عذره وحجته التي يقدمها بين يدي الله «عز وجل». وقد مرّت بنا حالة مشابهة لذلك قبل سنوات، وتم الاتصال بالمرجعية وقيل لهم آنذاك كل يعمل بحسب اطمئنانه.. فما الذي تغيّر اليوم؟

إلا أن بعض المؤمنين - وللأسف الشديد - صاروا يلاحقون الذين أفطروا يوم الجمعة بالرسائل والاتصالات الهاتفية وغير ذلك، مشككين في إفطارهم، ويكزمونهم بضرورة القضاء والكفارة التوبة.. إلخ القائمة، مفسدين على الناس فرحة العيد، وباعثين في نفوسهم الشكوك والظنون.

أعزائي، ثبوت الشهر من عدمه تكليف شخصي. في منهاج الصالحين للسيد السيستاني مسألة ١٠٤٣: (لا تخص حجية البينة - شهادة العدلين - بالقيام عند الحاكم، بل كل من علم بشهادتها عوّل عليها، ولكن يُعتبر عدم العلم أو الاطمئنان باشتباهها) ثم تذكر المسألة أمثلة على موارد الاشتباه التي تُسقط الشهادة عن الحجية. وبالتالي فإنّ الذين اطمأنوا إلى ثبوت الهلال من خلال بيانات أولئك العلماء العارفين بالأحكام والمتنبّئين في النتائج التي توصّلوا إليها، فقد عملوا بتكليفهم، ولا داعي للتشكيك في قرارهم.

ثم هل من مسؤوليتنا أن نلاحق الناس ونفسد عليهم عيدهم بالاستفتاءات الموجهة بطريقة خاصة وبالإثارة عبر وسائل التواصل الاجتماعي؟ اعمل أنت بما تطمئن إليه وليعمل الآخرون وفق اطمئنانهم، وتخلّق بأخلاق رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مراعاة مشاعر الناس، فلو وقع وقع خطأ في تحديد العيد أمكن إصلاح ذلك، ولكن هل يصلح جرح القلوب؟

ونتطلّع إلى اليوم الذي يمتلك فيه هؤلاء الإخوة الأعزاء نفس الحماسة التي أبدوها هنا، ليوظّفوها في ملاحقة القضايا التي تمسّ دين الناس في العمق في فكرهم، وفي أخلاقهم، وفي سلوكياتهم؛ أو التي تمسّ مشاكلهم الاجتماعية والثقافية، سواءً بالتنوع، أو بتطوير وسائل التبليغ، أو بالنزول إلى ساحات العمل بكل طاقاتهم.. هداانا الله وإياهم.

الخطبة الثانية

أسياد العالم يتلاعبون بالعقول

قال «عز وجل»: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ، فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ «الزخرف: ٥١-٥٤».

بعث النبي موسى «عليه السلام» ليهدي فرعون وقومه، وليخرجهم من ظلمات الشرك، والفساد، والباطل، والظلم وعبادة الأفراد والمخلوقات، والطبقية، إلى نور التوحيد، والصلاح، والعدل، والمساواة، والحق، والتحرر من عبودية الإنسان للإنسان، إلى عبودية الله وحده. إلا أن فرعون حاول أن يلتفت على هذه الدعوة المتناغمة مع الفطرة البشرية باستخفاف عقول الناس، معتبراً أن القيمة كل القيمة في المادة، وأنه يتفوق على موسى في هذا الجانب، مما يجعله أكرم وأعظم شأنًا منه، والنتيجة أن الحق معه لا مع موسى!

بمثل هذا الطرح الذي عرضته الآيات، وخلط فيه فرعون العاطفة بالمفاهيم المغلوطة، نجح هذا الطاغية.. وصدّقه الناس وانحازوا إليه، وعادوا موسى وحاربوه! هذه التجربة الفرعونية مستمرة إلى اليوم.

□ استراتيجيات أسياد العالم:

للمفكر الأمريكي نعوم تشومسكي قراءة لأسلوب من يُطلق عليهم اسم «أسياد العالم» في التحكم عن طريق التلاعب في عقول الجماهير والتأثير النفسي فيهم من خلال الوسائل الإعلامية.. وقسمها إلى ١٠ استراتيجيات، اخترت من بينها الخمسة التالية:

١. استراتيجية الإلهاء: حافظوا على تحويل انتباه الرأي العام بعيداً عن المشاكل الاجتماعية الحقيقية، وألهوهم بمسائل تافهة لا أهمية لها. أبقوا الجمهور

مشغولاً، مشغولاً، مشغولاً دون أن يكون لديه أي وقت للتفكير، فقط عليه العودة إلى المزرعة - أي مصدر رزقه أو مأواه - مع غيره من الحيوانات الأخرى.. وتشومسكي بهذا - يوحى إلى تركيزهم على البعد الحيواني المادي في الإنسان، وإشغاله عن البعد القيمي في كيانه ووجوده وحياته.

٢. اخلق المشكلة ووفر الحل: وذلك لتمرير قرارات معينة قد لا تحظى بالقبول الشعبي إلا في حضور الأزمة التي قد تجعل الناس أنفسهم يطالبون باتخاذ تلك القرارات لحلها! مثلاً: دع العنف ينتشر، حينها سيطالب الجمهور السلطة باتخاذ إجراءات وقوانين وسياسات أمنية تحد من حريته.. أو اخلق أزمة اقتصادية للقبول بحل ضروري، يجعل الناس يغيضون الطرف عن حقوقهم الاجتماعية وتردي الخدمات العامة باعتبار أن ذلك الحل شرٌّ لابد منه.

٣. استصغر عقول الجماهير وخاطبهم كأنهم أطفال: إذا تمّ التوجه إلى شخص ما كما لو أنه لم يتجاوز بعد الثانية عشرة من عمره، فإنه يتم الإيحاء له بأنه فعلاً كذلك؛ وبسبب قابليته للتأثر، من المحتمل، إذن، أن تكون إجابته التلقائية أو ردُّ فعله مفرّغة من أيّ حس نقدي كما لو أنه صادر فعلاً عن طفل ذي اثني عشر سنة.

٤. استخدم الجانب العاطفي بدلاً من الجانب التأملي: وهو أسلوب تقليدي كلاسيكي للقفز على التحليل المنطقي والحس النقدي للأفراد، فاستخدام الجانب العاطفي يفتح المجال للعقل الباطني اللاواعي لغرس الأفكار والرغبات والمخاوف والقلق والحض على القيام بسلوكيات معينة.

٥. حوّل التمرد إلى شعور ذاتي بالذنب: بسبب قصور التفكير وضعف القدرات وقلة الجهود المبذولة، فينغمس الناس في الشعور بالتدني الذاتي الذي يؤدي لحالة من الاكتئاب تحبط أي محاولة للفعل.

□ تطبيق الاستراتيجيات في الملف الفلسطيني:

الإعلام الصهيوني ومن يواليه ويدور في فلكه يوظف هذه الاستراتيجيات بشكل كبير في ما له علاقة بالقضية الفلسطينية.

ولو أخذنا المفردة الثالثة منها على سبيل المثال، فنسجد أن الاستخفاف

بالعقول في شأن القضية الفلسطينية لا يتوقف.. قبل أربعة أشهر تقريباً، كشفت منظمة التحرير الفلسطينية أن الولايات المتحدة ستعرض على الفلسطينيين بناءً قدس جديدة! وكأنها تقول: دعوا القدس الحالية، فهي قديمة وفيها مشاكل كثيرة، وتعرقل عملية السلام.. دعوها ونحن نبدلكم بقدس أخرى خاصة بكم.. جديدة وتُبنى على أحدث طراز. لاحظ إلى أي درجة يتم استخفاف العقل الفلسطيني والعربي والعالمي!

□ الدور المشبوه لبعض الإعلاميين العرب:

اليوم برز بعض الإعلاميين العرب بطرح آخر مضوا من خلاله في استخفاف العقل إلى أبعد الحدود، حيث أنسوا الناس حقيقة أبعاد القضية الفلسطينية، وصوّروا مشكلتنا طوال السنوات الماضية مع الصهاينة وكأنها مقصورة على عدم التمكن من الصلاة في المسجد الأقصى.

وحيث تمكن بعض هؤلاء الإعلاميين العرب من الذهاب إلى القدس مكرراً والصلاة في المسجد الأقصى في تجربة «اندهشوا» فيها من شدة «الاحترام والترحيب» الإسرائيلي بهم.. لذا فإنَّ حلَّ المسألة الفلسطينية - بحسبهم - مسألة وقت لا أكثر، معتبرين أننا كنا نعيش وهم «العدو الإسرائيلي»، وأن الإسرائيليين في واقعهم ليسوا كما صوّرهم الإعلام العربي خلال عقود مضت.

ولنفترض الآن سيناريو قيام سلطات الاحتلال الإسرائيلي بالترحيب بكل المسلمين للقدوم إلى القدس والصلاة في المسجد الأقصى وزيارة المقامات والمشاهد فيها وفي بعض المناطق المجاورة، وأنها استقبلتهم بكل ترحاب وكرم ضيافة واحترام وتقدير.. يا ترى هل ستكون بذلك قد انتهت مشكلتنا مع الكيان الصهيوني الغاصب، وتم إغلاق ملف القضية الفلسطينية؟

□ تقزيم القضية:

نعم، إلى هذا الحد يحاول بعض الإعلاميين العرب اليوم استخفاف عقولنا، والتحايل على ذاكرتنا، والتلاعب في الكلمات والمفاهيم، والضرب على وتر المشاعر الدينية السطحية من أجل تمرير مشروع التطبيع مع الكيان الصهيوني ضمن حمى التسويق لجريمة صفقة القرن. وما الوعد الأمريكي ببناء قدسٍ بديلة للعرب إذا

تخلّوا عن مدينتهم المقدسة، وما تقزيم القضية الفلسطينية لتكون بحجم إمكانية أداء الصلاة في المسجد الأقصى وزيارة المشاهد المقدسية إلا مثال من أمثلة التلاعب بالعقول وتسطيحها وتجهيل الناس حول قضاياهم الكبرى مما بات يُضخ بكثافة في الإعلام العربي لتمرير صفقة القرن وتهيئة الجماهير لقبول التطبيع مع الكيان الصهيوني، مع التركيز على منطقة الخليج العربي التي يرى الصهاينة في أمل الوصول إليها بطريقة أو بأخرى حلماً كبيراً يحقق لهم الكثير من المصالح الاستراتيجية والاقتصادية والأمنية والسياسية والاستخباراتية، ومسؤوليتنا أن نواجه هذا التجهيل والتسطيح بالتوعية المستمرة، واستحضار الحقوق التاريخية للفلسطينيين، والتاريخ الإجرامي الحافل للصهاينة بحقهم وبحق كل من عانى منهم طوال العقود الماضية.





الخطبة الأولى

الإنسان والأخلاق

في الصحيفة السجادية وتحت عنوان: (وكان من دعائه «عليه السلام» في مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال) قال الإمام زين العابدين «عليه السلام»: (اللَّهُمَّ لَا تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إِلَّا أَصْلَحْتُهَا، وَلَا عَائِبَةً أُؤَنَّبُ بِهَا إِلَّا حَسَنْتُهَا، وَلَا أَكْرُومَةً فِي نَاقِصَةٍ إِلَّا أَتَمَمْتُهَا).

للأخلاق ومكارمه موقعية خاصة في تعاليم الإسلام، وموضوعة من موضوعات الرسالة السماوية: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ «آل عمران: ١٦٤».

فعملية التزكية تشمل بعث القيم الأخلاقية في النفوس، وترسيخها، ومكاملتها، وتوضيح المبهمات منها. وبها يكتمل الإيمان، فعنه «صلى الله عليه وآله»: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)، وبها يرتفع مقام الإنسان عند ربه، فعن النبي «صلى الله عليه وآله»: (أحبُّ عبادِ الله إلى الله أحسنهم خلقاً).

□ الأخلاق فطرية أم مكتسبة؟

القيم الأخلاقية فطرية تولد مع الإنسان، ولكنها بمرور الزمان وتأثير العوامل المختلفة كالتربية والبيئة وضغط الرغبات الشخصية وغير ذلك، تخبو، وتضعف، وتختفي، وتتبدل، وتصبح معاملها غير واضحة.



الرسالات السماوية تعيد إليها الحياة، وبريقها الضائع، وتُكاملها، وتحفّز على التمسك بها، وتُبَيِّن أبعادها الدنيوية والأخروية، ليتحقق من خلال ذلك تكامل الإنسان كفرد، وليتحقق للمجتمع في العلاقات البينية المختلفة شيء من الاستقرار والأمن.

ويقدّم الإمام زين العابدين بعد ذلك المقطع السابق مجموعة من القيم الأخلاقية الإيجابية التي ترتقي بالإنسان في سلوكياته الاجتماعية، وتعمل على توطيد الأمن في المجتمع إن التزم بها الآخرون: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَلِّئِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ فِي بَسْطِ الْعَدْلِ وَكَظْمِ الْغِيْظِ وَأَطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسِتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيْكَ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ السَّيْرِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطَيْبِ الْمَخَالِقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وَإِيْثَارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ التَّعْبِيرِ وَالْإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحَقِّ وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ، وَاسْتِقْلَالَ الْخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفَعَلِي، وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفَعَلِي).

ومع وضوح الموقعية المتميز للأخلاق في تصوراتنا، وجمال الصورة التي ترسمها، إلا أن في البين من صار يتحدث بمنطق آخر يتعارض مع ما قدّمت.. وهو ما سأبيّنه عنه في الخطبة الثانية بإذن الله «عز وجل».

الخطبة الثانية

هل الأخلاق نسبية ومتغيرة؟

من بين القضايا والأفكار التي يطرحها بعض الملحدّين وأشباه الملحدّين، مسألة نسبية الأخلاق وعدم ثباتها.. ولكي يتوضّح مفهوم النسبية وعدم الثبات، أقدم الأمثلة التالية.

تقف أمام القاضي في قضية ما كشاهد، فتشهد بالحقيقة، فيدخل المتهم

بسبب شهادتك السجن... فملك هذا ذو بُعد أخلاقي مرتبط بالصدق والكذب.. صدقك في هذا الموقف أمر حسن بالنسبة إليك، وقبيح بالنسبة إلى المتهم.

وتقف أمام القاضي في قضية أخرى كشاهد، فتشهد كاذباً، وتنقذ أباك من السجن.. يستحسن أبوك وأقرباؤك هذا الكذب.. أي أنّ حسنَ الصدق والكذب أمر نسبي.

تتعرض للتهديد من قبل عدو، فتكذب وتستعمل التقيّة لتنقذ نفسك وأسرّتك.. أليس في التقيّة والكذب في هذا الموقف دلالة على نسبية القيم الأخلاقية؟ وهكذا، تجد أنّ الأخذ بالثأر كان أمراً مقبولاً في زمن ما، بل مفخرة من المفاخر، وهو اليوم قبيح في كثير من المجتمعات.. وحسن في بعضها، ولو على نطاق ضيق.

إذاً – يقول أصحاب هذه المقولة – لا وجود لقيم أخلاقية ثابتة، بل الأخلاق متغيرة بحسب الزمان والمكان، وتتغير الظروف أيضاً.. كما أنها نسبية في الحسن والقبح، لأن الأخلاق – بحسبهم – من صنع الإنسان، وهي ترتبط أيضاً بمصالحه الفردية. ومثل الصدق، بر الوالدين والأمانة والشجاعة والكرم والوفاء والعدل والتعاون.. إلخ.

ولربما صنع مجتمع ما قيمه الخاصة به.. فلا يصح حينئذ أن نفرض هذه القيم على مجتمع آخر، كما لا يصح أن نطالب ذلك المجتمع بالتخلي عن القيم الأخلاقية التي صنعها لنفسه. ففي بعض المجتمعات من القبيح أن تعانق وتقبل رجلاً على وجنتيه عند تحيته، بينما يُعتبر ذلك من الأمور الحسنة والدالة على حرارة الترحيب به. وبمرور الزمان أو تبدل الظروف، قد يغير نفس هذا المجتمع بعضاً من هذه القيم التي اختارها، لأنها أيضاً ليست ثابتة.

□ مقولة قديمة متجددة:

هذه الرؤية التي تبناها بعض الملاحدة برزت في القرن العشرين، ولكن لها أصول في الفلسفة اليونانية، ونوقشت في أطر دينية وفلسفية واجتماعية عديدة.

والحديث عنها ليس ترفاً فكرياً، بل هي مسألة حساسة تؤثر على السلوك الإنساني، لأن بإمكاننا أن أفعل ما أشاء وسيكون موصوفاً بالحسن ما دام أنه في مصلحتي، ولم أتضرر قانونياً، لضعف الرقابة أو التطبيق أو لانعدام القانون.. ولو

بلغ الأمر قتل الأبرياء، ونهب الأموال، والغش التجاري وما إلى ذلك.

هذا، بالإضافة إلى تأثيرها على مصير الإنسان في الآخرة بحسب معتقدنا كمسلمين، لأن الإنسان محاسب على أفعاله كما هو محاسب على إيمانه.

□ الأخلاق مطلقة وثابتة:

إسلامياً، نحن نعتقد أن القيم الأخلاقية مطلقة وثابتة، لأنها نابعة من الفطرة الإنسانية، والفطرة طبيعة ثابتة لا تتغير ولا تتأثر بالزمان والمكان والظروف المتغيرة.. فكيف نفسّر إذاً ما سبق؟

١. الأخلاق لا تقيم من خلال المنظور الفردي والمصالح الفردية، لأن أكثر القيم الأخلاقية مرتبط بالآخر وبالمجتمع وبالإنسانية وبالبيئة أيضاً.

٢. هناك خلط بين الأخلاق والآداب، ولا بد من أن نفرّق بينهما. فالتعامل الحسن مع الآخرين قيمة أخلاقية إيجابية، وأما التقبيل والمعانقة والمصافحة وأمثال ذلك فمن الآداب. وكلامنا عن القيم الأخلاقية لا عن الآداب والعادات والتقاليد، فالأولى ثابتة، والثانية قابلة للتغيير بتغير الزمان والمكان والظروف.

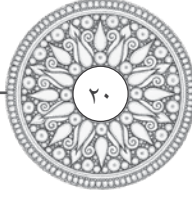
٣. هناك خلط أيضاً ما بين نسبية الأخلاق وتقديم الأولى عند التعارض.. فعند اللجوء إلى الكذب تقيّة لدفع ضرر محتمل من عدو، تكون مخيراً بين قبيحين، الأول هو الكذب، والثاني هو التسبب في قتل إنسان مثلاً.. وأحدهما أشد ضرراً من الآخر.. ولذا فقد اخترت الأقل ضرراً. في هذا الموقف لم يتحوّل الكذب إلى قيمة أخلاقية إيجابية، ولا الصدق إلى قيمة أخلاقية سلبية، بل يبقى الكذب قبيحاً ولكنه أقل ضرراً وقبحاً من التسبب في قتل إنسان بريء. ولذا فإنه بمجرد زوال الظرف الطارئ وتعود الأوضاع إلى طبيعتها لن تمتدح على الكذب. شهادة الزور والظلم المترتب عليه فعل أخلاقي قبيح على كل حال، ولو كان لتبرئة قريب لي بالباطل.. فكون المتهم أبي أو أخي لا يحوّل شهادة الزور والظلم إلى فعل أخلاقي حسن، ولن يكون مبرراً مقبولاً للكذب. وعندما أكون بين خيارين، البر والعدالة، كان تطبيق العدالة أولى من أي عنوان آخر، والذي يرشدني إلى معرفة الأولى قد يكون عقلي أنا، ولربما الحكماء من الناس، ولربما من خلال القرآن الكريم. ومن هنا ندرك أهمية مثل قوله «عز وجل»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ

شُهِدَاءُ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أُولَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿النساء: ١٢٥﴾.

٤. تحقيق العدالة بالاقتصاص من القاتل فعل ذو بُعد أخلاقي حسن، مارسته بعض المجتمعات في صورة الأخذ بالثأر على المستوى الشخصي، فكان حسناً وممدوحاً.. ونظّمته مجتمعات أخرى ضمن تشريعات قانونية وبوسائل محددة، فصار الأخذ بالثأر على المستوى الشخصي قبيحاً لتعارضه مع التنظيم القانوني، ولاحتمالية الوقوع في فوضى إجرائية من قبيل الإسراف في القتل: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ «الإسراء: ٣٣». ولن يكون الفعل الصادر عن الفرد ممدوحاً عندما يعيش التمرد على التشريعات القانونية المنظمة لسلوكيات الأفراد تجاه بعضهم البعض، حتى لو تصوّر هذا الفرد أنه يُحسّن صنعا عندما قيّم الأمور من منظور فردي، بينما المسألة لا ترتبط به فقط، بل وبالأخرين وبالمجتمع.

□ الأخلاق مطلقة وثابتة:

إن القيم الأخلاقية كالصدق والأمانة والعدالة وبر الوالدين وصلة الأرحام والشجاعة وحسن التعامل مع الناس قيمٌ مطلقةٌ وثابتة، غير متبدّلة بتبدّل الزمان والمكان والظروف، وهي فطرية من صنع الله «عز وجل»، لتكون وسيلة لهداية الإنسان في هذه الحياة وتقويم سلوكه وتحقيق غاية من غايات وجوده: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ «الحجرات: ١٢». كما أنها لا تُقيّم من خلال المنظور الفردي وبما يرتبط بي أنا فقط من منافع ومضار. وما دعوة الملحدين وأشباه الملحدين إلى القول بنسبية الأخلاق وعدم ثباتها إلا مدخلا لإقحام البشرية في حالة من الفوضى السلوكية على كافة المستويات الاجتماعية والسياسية والثقافية والقانونية والأمنية والاقتصادية، وعودة إلى التخلف في السلوك الاجتماعي، علاوة على ما سيطرت على ذلك من مفاصد لا يعلم مداها إلا الله «عز وجل».



الخطبة الأولى

الرفق في عالم التجارة

عن أبي جعفر الفزاري قال: (دعا أبو عبد الله «عليه السلام» مولى له يقال له: مصادف، فأعطاه ألف دينار وقال له: تجهّز حتى تخرج إلى مصر، فإن عيالي) أي من هم تحت مسؤوليته في النفقة (قد كثروا. قال: فتجهّز بمتاع) أي بضاعة من المدينة المنورة (وخرج مع التجار إلى مصر، فلما دنوا من مصر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر، فسألوهم عن المتاع الذي معهم، ما حاله في المدينة؟) أي استفسروا منهم عن مدى حاجة السوق في تلك المدينة المصرية إلى هذه البضاعة (وكان متاع العامة) أي مما يحتاج إليه عموم الناس من المواد الغذائية أو غيرها (فأخبروهم أنه ليس بمصر منه شيء) وبالتالي فإن تلك السوق بحاجة ماسة إلى بضاعتهم (فتحالفوا وتعاهدوا) أي تجار القافلة التي يرافقها مصادف (على أن لا يُنقصوا متاعهم من ربح دينار ديناراً) أي أن يكون الربح بنسبة ١٠٠٪ من كل شيء (فلما قبضوا أموالهم انصرفوا إلى المدينة، فدخل مصادف على أبي عبد الله «عليه السلام» ومعه كيسان، في كل واحد ألف دينار فقال: جُعِلَتْ فداك، هذا رأس المال، وهذا الآخر ربح) ومن الواضح أن مصادف كان فرحاً جداً بنتيجة التجارة هذه، وتوقع أن يفرح الإمام أيضاً، ولكنه كان مخطئاً في ذلك (فقال: إن هذا الربح كثير) وغير متوقع ولا من العادة أن يكون كذلك، فما السر في ذلك؟ فسأله: (ولكن ما صنعتم في المتاع؟ فحدّثه كيف صنعوا وكيف تحالفوا، فقال: سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألاّ تبيعوهم إلا بربح الدينار ديناراً ١؟) بالطبع اليوم البعض يراعي هذا الأمر في عالم

التجارة ولكن إذا كان الطرف الآخر من مذهبه فقط، أما إذا كان من مذهب آخر فلا يرحمه، وحتى بعض النصوص الفقهية للأسف تحدد ذلك بالرفق بالمؤمن فقط، أي من أتباع المذهب، فلا يشمل كل المسلمين، وهذا الأمر يحتاج إلى إعادة نظر (ثم أخذ أحد الكيسين فقال: هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في هذا الربح، ثم قال: يا مصادف، مجالدة السيوف أهون من طلب الحلال).

يجب أن نلتفت أنه لا يوجد في التشريع الإسلامي ما يحرم الحصول على ربح ١٠٠٪، وبالتالي فإن الربح الذي حققه مصادف ما كان حراماً، ولكن الإمام الصادق «عليه السلام» في موقفه أخذ بعين الاعتبار عدة أمور:

١. اعتبر ذلك ربحاً فاحشاً لا بركة فيه، لأنه جاء على حساب حاجة عامة الناس الضرورية وبما لا يتلاءم مع مواردهم المالية.

٢. الإسلام يريد من التجار أن يرفقوا بحال الناس في حاجاتهم الأساسية والضرورية، وخصوصاً في ساعات العسرة والحاجة.

٣. لم يحبذ الإمام الاتفاق والتعاقد والتحالف الذي تم بين التجار وعلى حساب عامة الناس، وبما يؤثر في توفر تلك الموارد، أو بما يؤدي إلى ارتفاع أسعارها بشكل يخالف الرفق بعامة الناس، ويجعل كل الناس مجبورين على الشراء بسعر مرتفع ومحدد لا مجال للحصول على أقل منه.

وهذه رسالة إلى التجار وأصحاب رؤوس الأموال في عالم التجارة والصناعة تتضمن دعوة للرفق في حركة تنمية المال، لتحل البركة في الأرباح، وليكون طلب الرزق عملاً مرضياً عند الله «عز وجل».



الخطبة الثانية الكويت أمام تحد خطير

تحدث القرآن الكريم في الآيتين ١٦٤ و ١٦٥ من سورة الأعراف عن قصة أصحاب السبت، وقسمت الآيات موقف أهل تلك القرية من الانحراف الذي بدأ يظهر فيها على يد بعض الأهالي بالتحايل على التشريع الإلهي بخصوص تحريم الصيد أيام السبت، وذلك إلى فئات ثلاث:

الفئة الأولى: مخالفو التشريع.

الفئة الثانية: الساكتون السليبون.

الفئة الثالثة: الناهون عن المنكر والباطل.

أما الفئة الأولى فأمرهم واضح، والقصة مبنية على فعلهم المخالف للتشريع والموقف منه، أما موقف الفئة الثانية فيتضح من قوله «عز وجل»: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؟ وكان جواب الفئة الثالثة: ﴿قَالُوا مَعذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي إنما نفع ذلك أداء للمسؤولية، كي نكون معذورين أمام الله سبحانه في مواجهة هذا الانحراف.

وكانت النتيجة أن الله «عز وجل» عاقب الفئة الأولى المخالفة، والفئة الثانية الساكتة والسلبية، وكتب النجاة للناهين عن المنكر فقط: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزِّ بَيْتٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

وبالتالي، فإن هذه الآيات تؤكد على ضرورة تحمل الناس مسؤولياتهم في مواجهة الباطل والانحراف والمنكر والفساد، وأن الساكت عن ذلك مشارك بنحو ما في ما يجري، ويتحمل بذلك جزء من المسؤولية. وأما كيفية المواجهة والتصدي وتحمل المسؤولية فتعتمد على الظروف والإمكانات وغير ذلك.

الكويت اليوم أمام تحدٍ سياسي وأمني كبير يرتبط بموقفها المبدئي من

القضية الفلسطينية.. فخلال الأشهر الماضية ازداد هذا الموقف وضوحاً ونصاعةً وقوةً لاسيما حين شغلت مقعداً في مجلس الأمن، وحين تصدّت للعريضة الصهيونية في الاتحاد البرلماني الدولي.

ومن هنا، ومع السعي الحثيث لتمرير جريمة صفقة القرن، ومع نقل السفارة الأمريكية إلى القدس، جاء هذا الموقف الكويتي الرسمي والشعبي معاً، والمستمر في هذا الاتجاه إلى هذا اليوم وعلى الرغم من كل الضغوط الممارسة ضدها، ليمثل إنجازاً مهماً وحساساً في نفس الوقت. هذا الإنجاز دفع بالمتظاهرين في الأراضي الفلسطينية وفي مواجهة القوات الصهيونية إلى رفع العلم الكويتي بكل اعتزاز، شكراً وافتخاراً بهذه المواقف. بالطبع هناك بعض الأقلام المحلية والأصوات الإعلامية النشاز التي صارت في المقابل تروج بقوة وبشكل غير مسبوق لضرورة تطبيع الكويت مع الصهاينة. وهي بذات ترتكب جريمة بحق الوطن، وتضرر بالسياسة الخارجية الكويتية، وتعمل ضد القضية المركزية للأمة.. وهي لا تمثل الموقفين الرسمي والشعبي بأي حال.. ونسأل الله أن لا نكتشف في يوم ما أن هناك من يقف وراء هذه الأقلام والأصوات النشاز ويوجهها.

نجد بعض ملامح هذا التحدي الكبير الذي تواجهه الكويت اليوم في مقال نُشر خلال هذا الأسبوع في صحيفة «نيويورك بوست» الأمريكية تحت عنوان: «الأفضل للكويت أن تمضي مع البرنامج أو أن تكون على استعداد لمواجهة غضب ترامب».

كاتب المقال من مجموعات الضغط اليمينية في الولايات المتحدة، ومضمون المقال بمثابة رسالة تحريضية على الموقف الكويتي المبدئي في مواجهة المشروع الصهيوني للتغلغل إلى الخليج، وفرض نوع من التطبيع مع الصهاينة.

اعتبر كاتب المقال أن هذا الموقف الكويتي يمثل عقبة جديدة، وجاء فيه: (كان سفير الكويت لدى الأمم المتحدة قد انتقد إسرائيل هذا الشهر متهماً الدولة العبرية بنشر ترسانة واسعة ومطورة من الأسلحة ضد شعب غير مسلح.. وبطيعة الحال، هذا استثناء ملحوظ لنمط دول الخليج العربية في الآونة الأخيرة التي زادت من تواصلها مع إسرائيل).

وبعد أن ضرب الكاتبان أمثلة على حالات من التقارب الإسرائيلي العربي قالوا:

(ولا تزال الكويت تقاوم هذا الاتجاه بشدة. وهي الدولة العربية الخليجية المحافظة التي لا تزال تتخبط في الإدانة المنهجية لإسرائيل). ثم ضمّن الكاتبان المقال تهديداً مبطناً للكويت باتهامها برعاية الإرهاب الدولي! وأضافا: (ازدادت معارضة الكويت لإسرائيل منذ أن أصبحت عضواً غير دائماً في مجلس الأمن الدولي. وقد أعاقَت الكويت الجهود الأمريكية... كما أوقفت إدانة الولايات المتحدة لهجمات حماس ضد إسرائيل من غزة). واختتما كلامهما بتهديد الكويت بأن موقفها هذا لن يمر بلا حساب، لأنه بمثابة تحدٍّ للولايات المتحدة.

□ المسؤولية الوطنية:

إنّ في الأفق مؤشرات عديدة تدل على أن الكويت قد تكون مُقبلةً على وضع استثنائي، الأمر الذي يُحمّل القوى والشخصيات والجمعيات الوطنية وعلماء الدين وعامة الناس مسؤولية دعم الموقف الرسمي لدولة الكويت في التصدي لمشروع التطبيع مع الكيان الصهيوني، والقضاء على القضية الفلسطينية من خلال جريمة صفقة القرن التي اقترب موعد الإعلان عنها، ويُراد من خلالها تقسيم موقف الدول إلى فسطاطين: مَنْ لم يكن معنا فهو عدوُّنا، في صورة مقاربة إلى ما عشناه في بداية هذا القرن حين تم تقسيم العالم إلى محور الخير ومحور الشر، لينتهي بنا المطاف إلى كل هذه الفوضى العارمة التي يشهدها العالم اليوم، وإلى كل هذه الحروب والجرائم التي ارتكبت بحق الإنسانية خلال قرابة العقدين من الزمان. ولتلتفت القوى والشخصيات والجمعيات الوطنية والدينية إلى أولويتها اليوم في رص الصفوف وتوحيد الكلمة تجاه قضية تشترك جميعها في كونها على الأقل من قضايانا المركزية والكبرى، إن لم تكن على رأس تلك القائمة، وإلى ضرورة أن ينعكس الموقف الشعبي الموحد بالترفع أولاً على جراحات النزاعات الطائفية والحزبية والفئوية والشخصية، ومن خلال زخم إعلامي وعلى شبكات التواصل الاجتماعي ثانياً، ليجد الموقف الرسمي السند الكبير الذي يمكن الاعتماد عليه في مواجهة التطبيع والقضاء على القضية الفلسطينية.. وإن لم نفعَل ذلك فلا نلومنا إلا أنفسنا حين يأتي يومٌ نشهد فيه ما لا نتمناه. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.



الخطبة الأولى

التسبيح بحمد الله

كثيراً ما نجد في القرآن الكريم اقتران التسبيح بحمد الله في ما يصدر عن الإنسان، كما في قوله «عز وجل»: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ «الذاريات: ٣٩»، وعن غير الإنسان كما في قوله «عز وجل»: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ «غافر: ٢٥»، وفي قوله «عز وجل»: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ «الرعد: ١٣»، وفي قوله «عز وجل»: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ «الإسراء: ٤٤».

كما أننا في الصلاة نكرر هذا المصطلح في الركوع والسجود بقولنا: «سبحان ربي العظيم وبحمده، سبحان ربي الأعلى وبحمده».. فما معنى التسبيح بحمد الله؟ وكيف تسبح الموجودات غير العاقلة بحمد الله؟

قال العلامة الطباطبائي في تفسير الآية الأولى: (أي نزهه متلبساً بحمده والثناء عليه). أي في حال كونك تحمد الله وتُثني عليه، نزهه الله عن كل ما لا يليق به، من الشريك والزوجة والولد والظلم والجهل والمحدودية والموت والنوم والتعب والضعف والعبث والتخيلات البشرية حول ذاته... إلخ، ليعيش الإنسان في هذا الذكر المزدوج مزيحاً من التنزيه والثناء.

ويبدو أن لهذا الذكر المزدوج تأثيراً نفسياً كبيراً، حين يأتي به الإنسان عن وعي وإدراك، وله طاقة دافعة لتجاوز الصعاب، ويُستعان به في الشدائد، لما ترسخه

في النفس من معاني عظمة الله، والطمأنينة الروحية لارتباطك بهذا العظيم، والتوجيه نحو الإيجابيات والنعم.

ويمكن أن يُستدل على ذلك بقوله «عز وجل» موجّهاً حبيبه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يعاني الأمرين من عناد المشركين وجحودهم وطفيانهم: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ «طه: ١٣٠».

أما كيف تسبح المخلوقات غير العاقلة وتحمد الله، فهناك أكثر من اتجاه تفسيري، ومن بينها:

١. التعبير مجازي.. فكل موجود يكشف من خلال حاجته ونقصه وضعفه عن تنزّه خالقه عن الحاجة والنقص، وأنّه لو قدّر لهذه المخلوقات غير العاقلة أن تتطق لحمدت الله على نعمه التي أنعم بها عليها. فالتسبيح والحمد قد يكونان عن طريق الكلمة بمدلولها ومعناها، وقد يكونان بالوجود، حيث يجد الإنسان في كل شيء تجسيدا لتسبيح الله، والثناء عليه، بما يدل عليه من معاني المنّة والعظمة والتتزيه له.

٢. التعبير حقيقي... فما من موجود مخلوق إلا وهو يشعر بنفسه بعض الشعور، ولكنها تتفاوت كما وكيفاً، ومن هنا قال «عز وجل» في وصف حال أعدائه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لَٰجُلُودِهِمْ لَمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ «فصلت: ٢٠-٢١»، فهذا النطق دليل على وجود ذلك الشعور، وإن لم نستطع نحن أن ندرك ذلك. وبالتالي فإن كل الموجودات تشعر بعظمة الله ومنه، وتعبّر بطريقة ما عن كمال الله وتتزيه عن الشريك وعن كل ما لا يليق به، والامتنان لنعمه... وهذا هو تسبيحها بحمد الله.

وسواء أكانت تلك الموجودات تسبح الله بحمده بنحو من الشعور، أو بدلالة وجودها، فإن الإنسان بعقله وشعوره ولسانه وقدراته مطّالب بأن ينطق بهذا التسبيح والحمد، وأن يعيش معانيهما، ليتزوّد بهما في الليل والنهار بقوة الارتباط بالله والتوكّل عليه.

الخطبة الثانية



لا راحة لحسود

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ «المائدة: ٢٧-٣٠».

تحكي هذه الآيات قصة أول حالة حسد في تاريخ ذرية آدم وحواء.. لتصدق بذلك هواجس الملائكة حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ «البقرة: ٣٠».

وقبل الحديث عن الحسد نتوقف قليلاً عند التساؤل التالي: بما أنه تبين أن الملائكة كانوا مُحَقِّقِينَ في هواجسهم، فلماذا إذاً خلق الله الإنسان وهو الذي يعلم مسبقاً ما يمكن أن يحدث؟

الإجابة السريعة على ذلك أنه قد تكون هناك بعض المفاصد في ما يحدث في هذا الوجود، سواء أكانت من الحوادث الطبيعية، كالزلازل والبراكين، أو في فعل الكائن المختار كالإنسان؛ إلا أننا يجب أن لا نغفل عن المصالح الكامنة فيها، والحاصلة منها. فاستمرارية الكرة الأرضية بوضعها الحالي واستمرار الحياة عليها بحاجة ماسة إلى هذه البراكين والزلازل.. وهذا أكثر أهمية من التأثيرات السلبية التي تجري عند وقوعها. وهكذا فإنَّ الخيرَ الكامنَ في الوجود الإنساني أكبرُ من الشرِّ في وجوده.

في النظام الكوني لا تجد خيراً إلاَّ ومعه شرٌّ.. كما لا تجد شراً إلاَّ وهناك خير في داخله.. فإذا غلب جانبُ الخير على الشرِّ، كانت الأفضلية في الوجود على العدم.. أما لو تغلب الشر على الخير كانت الأفضلية للعدم على الوجود.

ونعود إلى أصل الموضوع، والمرتبط بالحسد.. ولا نتكلم هنا عن العين.. بل عن

تمني زوال النعمة ممن يمتلكها، أو التمني مع فعل ما من شأنه زوالها، كما فعل قابيل، فبقتله لأخيه تجلّى حسده في أبشع صورة.. فلماذا الحسد؟ وما منشؤه؟

١. البعض يقول أن ردّة الفعل الطبيعية والتي ينبغي أن نتوقعها من الإنسان عندما يشاهدُ الثراء الذي يرفض به البعض، أن يشعر بالحسد، لا الاحترام!! بالطبع نحن كأتباع للمدرسة الإسلامية لا نستطيع أن نوافق على ذلك، لأننا إذا قلنا بطبيعية أن نحسد الآخرين في مثل هذه الحالات، فإن هذا يعني أن الحسد ينبع من الفطرة الإنسانية، بينما نحن نعتقد أن الله خلق الإنسان على فطرة سليمة، والعوامل التربوية والبيئية ومتغيرات الحياة هي التي تغيّر في هذه الفطرة، وتدفع بالإنسان إلى الشرور.. والحسد واحدة منها. نعم، ما نستطيع أن نقوله هو أن هذا هو التقدير الطبيعي لحال الإنسان حين يتخلّى عن التقوى، ويغيب عقله وضميره، ويستسلم لأهوائه وللأننا المتضخّمة في وجوده.

قدّم المحلل النفسي «سافيريو توماسيلا» مؤلف كتاب «كيف أتصالح مع ذاتي؟» صورة بديعة للحالة النفسية للحسود، قال: (الأمر هنا يتعلق بإدمان التملك. إنه مثل بئر بلا قعر، يتمنى صاحبها لو يضع فيها كلّ شيء وأي شيء تقع عليه عينه، لكنه مهما وضع فيها لا تمتليء أبداً، حتى يصل إلى درجة أن يفقد كل شيء معناه، وحيث لا يبقى مكانٌ للجوانب الروحية). وقريب من هذا الكلام تعبير النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» حيث قال: (لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب).

٢. يعود الحسد في كثير من حالاته إلى سوء فهم لطبيعة الفروقات بين الناس وفلسفتها، كما قال الله: ﴿أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُجْرًا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ «الزخرف: ٣٢». أي أن وجود الفروقات بين الناس من أجل أن تتوزع المهام والوظائف بينهم الناس لتتكامل صورة الحياة من خلال ذلك.

٣. يمكن أن يعود الحسد إلى سوء تقدير حال الآخرين، حين نتغافل عن الصعوبات التي يواجهونها ونركّز على جانب التمتع، ونتناسى ما نتقاسمه جميعنا في هذه الحياة من مشتركات.

٤. نسيان الآخرة والتركيز على هذه الحياة من العوامل المهمة في بروز الحسد، فهذه الحياة في نهاية المطاف حياة عابرة لا تعدو أن تكون مجازاً لحياة أخرى.

□ سبل التخلص من الحسد:

إن الذي يعيش الحسد بصورة متكررة بحاجة إلى أن:

١. يفهم ما قدّمت من فلسفة الحياة والفروقات فيها.

٢. يعزّز الثقة بالله سبحانه ويتقديره للأمور، أي أن يعيش حُسن الظن بالله وأن يعيش القناعة. والتسبيح بحمد الله عن وعي من وسائل تحقيق ذلك.

٣. يقوّي ثقته بنفسه وبقدراته، وينمّي الإيجابيات التي يمتلكها ويوظّفها في الاتجاه الصحيح، ويركّز على نقاط القوة التي يمتلكها، والنعم الكثيرة التي يرفل فيها ويتناساها.

٤. يعكس اتجاه اهتمامه وحبّه لذاته، فإذا كان الإنسان الحاسد ينطلق في ذلك من حبه لنفسه، فإن اتجاهه نحو الحسد خطأ، لأن الحسد يضر به ولا يعود عليه بالنفع الحقيقي، أما الاتجاه الصحيح المتناغم مع حبه لذاته فيكون بالطمأنينة والراحة النفسية، لأنه لا راحة لحسود، حتى قال علي «عليه السلام»: (ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحسود، نفس دائم وهم لازم وقلب هائم).

وهكذا يطلّ علينا من جديد الوجه القبيح لتطرف «الأناء»، كسبب رئيس من أسباب شقاء الإنسان في الدنيا قبل الآخرة، الأمر الذي يستدعي بمن يهتّم لمصيره ومستقبله أن يعالج موطن الخلل هذا، وأن يُطفئ النار المتقدة قبل أن تُحرق صاحبها تماماً، ولعل من أفضل السبل لتحقيق ذلك أن يعمّق الإنسان إحساسه بآلام الآخرين وحاجاتهم وأوضاعهم المأساوية، وما أكثرها في عالم اليوم، وما أيسر الوصول إليها في هذا العصر، وأن يمارس العطاء قولاً وفعلاً وإنفاقاً على المحرومين، ليعيش راحة النفس في رحاب العطاء، بدلاً من أن يستسلم لنار الحسد التي سرعان ما ستحرق كل وجوده، غير مأسوف عليه



الخطبة الأولى

سرّ جاذبية الإمام الرضا

نبارك لكم قرب حلول ذكرى مولد الثامن من أنوار الولاية والإمامة الإمام علي بن موسى الرضا «عليه السلام»، وإذ نستحضر هذه الذكرى المباركة، نتوقف قليلاً مع ما ذكره محمد بن حبان التميمي، المتوفى سنة ٣٥٤ هـ، «الملقب بالإمام العلامة الحافظ، المحدث، القاضي، شيخ خراسان، ومن أهم أئمة علم الحديث والجرح والتعديل عند أهل السنة» في كتابه «الثقات» برقم «١٤٤١» حيث قال في شأنه: (.... من سادات أهل البيت وعقلائهم وأجلة الهاشميين ونبلائهم.... ومات علي بن موسى الرضا بطوس من شربة سقاه إياها المأمون فمات من ساعته، وذلك في يوم السبت آخر يوم سنة ثلاث ومائتين، وقبره بسناباد خارج النوقان مشهور يزار بجانب قبر الرشيد، قد زرته مراراً كثيرة، وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس، فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه، ودعوت الله إزالتها عني إلا استجيب لي، وزالت عني تلك الشدة. وهذا شيء جربته مراراً، فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته «صلى الله عليه»، وسلم الله عليه وعليهم أجمعين).

وهناك كلمات عديدة صدرت بحق الإمام الرضا من قبل كبار علماء المسلمين وشخصياتهم.. فما سرّ هذه الجاذبية في شخصية الإمام لينال هذا الثناء والتعظيم والوصف الرائع من المعاصرين واللاحقين؟ فاعلم وحده لا يكون دافعاً لذلك.. ولا النسب في نفسه.. ولا الجاه.



ولست هنا بصدد استقصاء كل العوامل والأسباب، ولكن أذكر من بينها:

١. تواضع الإمام:

فتواضع أصحاب المقامات العالية في العلم أو الواجهة أو المنصب أو غير ذلك من أهم عوامل جذب القلوب وارتفاع قيمة الفرد لدى الآخرين. وفي الحديث النبوي: (مَنْ تواضع لله رفعه الله).

يروى أحد الذين رافقوا الإمام «عليه السلام» من المدينة إلى مرو حين استدعاه المأمون العباسي أنه «عليه السلام»: (دعا يوماً بمائدة له، فجمعَ عليها مواليه من السودان) أي ذوي البشرة السوداء (وغيرهم، فقلت: جُعِلت فداك، لو عَزَلت لهؤلاء مائدة. فقال: مه، إنَّ الربَّ تبارك و «عز وجل» واحد، والأم واحدة، والأب واحد، والجزء بالأعمال).

٢. مصداقية الإمام:

فظاھر كباطنه.. مشكلة البعض أنهم يتظاهرون باحترام وتقدير الآخرين، ولكن بمجرد أن ينفُض المجلس يعودون إلى طبيعتهم الأولى، ويُظهرون الاحتقار أو مَكْنون صدورهم بما يخالف ذلك الظاهر. أمثال هؤلاء ينكشفون، وتسقط أقتعتهم.. ولذا لا يمكن أن يجذبوا الآخرين إليهم.

للأسف في كثير من مؤتمرات ولقاءات التقريب بين المسلمين، أو بين المسلمين والكتبيين، تشهد - أئنا تلفت - الابتسامات والاحترامات وكلمات التقدير والإعجاب والثناء... إلا أنه بمجرد انتهاء المؤتمر يذهب هذا كله أدراج الرياح.. لماذا؟ لأنه لا مصداقية لكثير مما يدور في أجواء تلك المؤتمرات واللقاءات، ولا يمكن لمثل هذه المشاريع أن تتجح إلا إذا طُهرت النفوس من الضغائن والاحتقار والاستخفاف والعقد النفسية.

٣. طهارة القلب ولين الجانب:

هذا القلب النابض بمحبة الناس كان يفيض بالخير، على مستوى المشاعر، وعلى مستوى الكلمة، وعلى مستوى الفعل.. فكان على خطى جده رسول الله «صلى الله عليه وآله» حيث كشف الله سبحانه في الآية التالية سرّاً من أسرار

الجازبية النبوية.. قال «عز وجل»: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ «آل عمران: ١٥٩».

ونحن بدورنا إن أردنا أن نمتلك الجاذبية الحقيقية التي تُقَرِّبُ الناسَ إلينا وتُقَرِّبُنَا من الناس على المستوى الفردي، فعلينا بالتواضع والمصادقية في العلاقات الاجتماعية، وطهارة القلب ولين الجانب... ولنا وقفة في الخطبة الثانية - بإذن الله «عز وجل» - نتحدث فيها عن وصية للإمام الرضا «عليه السلام» يبين فيها الوسيلة المثلى التي من خلالها نعرض مدرسة أهل البيت «عليهم السلام» بصورة جذابة تستهوي إليها القلوب كما هو شأنها.

الخطبة الثانية

كيف نحیی أمر أهل البيت ؟

في كتابي معاني الأخبار، وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» عن أبي الصلت الهروي قال: (سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا «عليه السلام» يقول: رحم الله عبداً أحيا أمرنا. فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لا تبعونا).

نتوقف مع هذا الخبر الذي يمكن أن نستفيد منه عدة أمور:

١. المدرسة الإمامية الاثنا عشرية مدرسة دعوة ورسالة، يُراد لها أن تعرض للناس وتبين لهم أصالتها ووجهها الحضاري، وتُعرف الناس بالحقيقة الوضّاءة للعترة من أهل البيت، ولدورهم الرسالي والعلمي والإنساني.

وهي ليست مدرسة باطنية منغلقة على ذاتها كما هو الحال في بعض المدارس الأخرى.. وفي كلمة (لا تبعونا) دلالة واضحة على ذلك.

٢. هذه الدعوة يجب أن تكون بالحسنى، بدلالة قوله (محاسن كلامنا).
محاسن كلامهم لا يعني أن في كلامهم ما هو مساويء وفيه ما هو محاسن..
بل ما هو حسن وما هو أحسن.. وفي القرآن الكريم تعبير مشابه لذلك حيث
قال «عز وجل» بشأن النبي موسى «عليه السلام»: ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مُوعِظَةٌ وَتَفْصِيلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ
الْفَاسِقِينَ﴾ «الأعراف: ١٤٥».

فالإمام الرضا «عليه السلام» يدعو إلى اختيار ما هو الأحسن من بين كلامهم
والأكثر جاذبية للعقلاء من حيث انسجامه مع القرآن ومع العقل، ومن حيث
فائدته العملية، ومن حيث الحكمة التي يتضمنها.. وهذا الأسلوب في العرض
سيكون موجبا لانجذاب الناس إليهم. وهذه الوصية الرضوية في نفسها تتناغم
مع قوله «عز وجل»: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ﴾ «النحل: ١٢٥».

□ مراعاة الآخرين:

وعليه، فإننا لا نوافق على كلام البعض بأن من حقنا أن نقول ما نشاء ونفعل
ما نشاء، ولو أساء ذلك إلى مشاعر الآخرين، ولو أدى ذلك إلى نفورهم منا
ومن مذهبنا، وأنه ليس من مسؤوليتنا ولا من شأننا أن نراعي الآخرين.. فمثل
هذا المنطق لا يتوافق مع العقل، ولا مع توجيهات القرآن الكريم، ولا وصايا أهل
البيت «عليه السلام»، ومنها هذه الوصية الرضوية.

لاحظ كلام العلامة الطباطبائي في تفسير: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ «الأنعام: ١٠٨» حيث قال: (والآية تذكر أدبا دينيا
تُصان به كرامة مقدسات المجتمع الديني، وتتوقى ساحتها أن يتلوّث بدرن الإهانة
والإزراء بشنيع القول والسب والشتم والسخرية ونحوها، فإن الانسان مغرور على
الدفاع عن كرامة ما يقدره، والمقابلة في التعدي على من يحسبه متعديا إلى
نفسه) تسب مقدساتي؟ إذا فأنت تسبني أنا شخصيا (وربما حملته الغضب على
الهجر والسب لما له) أي للآخر (عنده أعلى منزلة العزة والكرامة).

أي أن السب أو الإهانة أو التحقير أو الاستهزاء بمقدسات الآخرين

وبالشخصيات المحترمة لديهم، سواء أكانوا من الخلفاء أو أئمة المذاهب أو غيرهم، يتنافى مع وصية الإمام الرضا «عليه السلام»، بل وقد يؤدي إلى أن نكون من عوامل إماتة أهل البيت.. بينما المطلوب أن نحیی أمرهم.

واللعن للأفراد لا يبتعد عن هذا أيضاً.. نعم اللعن للظالمين والفاستدين وعناوين أخرى مبغوضة قد يكون مقبولة.. أما اللعن للأفراد بأعيانهم فهو يوقعنا في نفس المحذور السابق. كما أن كثرة اللعن على اللسان، ولو للعناوين المبغوضة، وبشكل مستمر ودائم لا ينسجم وأخلاقيات الشخصية المؤمنة التي ينبغي أن تكون شخصية جذابة كما هو المفترض.. فالناس لا ينسجمون مع صاحب اللسان كثير اللعن.. ولذا مُدح النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه لم يكن لعناً.

ولا يقتصر الأمر على المقابلة بالمثل، بل ويؤدي إلى منع الآخر من الإقبال عليك.. فأنت لا تستطيع أن تدخل عقول الآخرين إن كانت قلوبهم مؤصدة في وجهك. وهذا ما دفع المرجع الراحل السيد حسين البروجردي إلى أن يدعو إلى الاهتمام بحديث الثقلين على وجه الخصوص ونشره، وإلى التركيز على نشر الجوانب الفكرية والعلمية لدى أئمة أهل البيت «عليه السلام»، لا الجوانب الخلافية التي تثير الحساسيات.

□ روايات غير مقبولة:

ومن هنا أيضاً، لا يمكننا أن نقبل الروايات التي تسب إلى العترة الطاهرة إساءات شخصية للبعض الآخر، سباً وإهانة واستهزاء ولعناً، بما يتعارض وهذه التوصيات التي أوصوا بها الناس.

وقد بين الإمام الرضا «عليه السلام» بنفسه مصدر مثل تلك الروايات المكذوبة عليهم، والدافع وراء ذلك، حيث قال لابن أبي محمود: (إن مخالفتنا) ويقصد الإمام خصوص المعادين المغرضين أصحاب الأجنداث الذين كانوا يستهدفون محاربة أئمة أهل البيت «عليه السلام» (وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا. فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا

بأسمائنا، وقد قال الله «عز وجل»: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. يا بن أبي محمود، إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه).

وقد يقول البعض، ولماذا نقبل بهذه الروايات ونرفض تلك؟ لماذا نصح هذه ونخطئ تلك؟

والجواب عن هذا السؤال يتلخص في أننا تعلمنا أن يكون القرآن هو الحكم والفيصل في ما نختلف فيه مما جاءنا عنهم من حديث.. وقد روي عن النبي وآله في أكثر من رواية ومصدر ضرورة التقييم بالعرض على القرآن، وأن ما يتعارض مع كتاب الله زخرف.

٣. هذه الدعوة بالحسنى تتطلب أمرين: (يتعلم علومنا، ويعلمها الناس). ولأسف هناك نموذج من علماء الدين آخرهم تزكية علمه.. يتنقل بين الحوزات على مدى ثلاثين وأربعين سنة، وليس له هم يحمله لهداية إنسان، ولا أثر علمي يستفاد به. بينما في الحديث النبوي: (لكل شيء زكاة...) وفي حديث آخر: (زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه).

وفي المقابل هناك من ينشط في هذا المجال ويكون فاعلاً بقوة.. ولكن من غير علم.. ينشر الأكاذيب، ويخلط الحق بالباطل، ويزور، ويفتري، ويهذي، ويعتمد على المنامات، والأحاديث الموضوعة، والكتب الباطلة.

وهذا النموذج الثاني يسيء إلى مدرسة أهل البيت أكثر من سواه.. يكفيك أن تدخل إلى اليوتيوب لتشاهد حجم الإساءات التي تلحق بنا بفعل هذا النموذج.. وأهل البيت منهم ومن أقاويلهم وتصرفاتهم براء.. هؤلاء يُميتون أمر أهل البيت «عليه السلام».

□ مسئولية العلماء:

نحن بحاجة دائمة إلى علماء أتقياء عاملين وأصحاب دعوة، ونأمل أن نرى من بين شبابنا من يتحضر لطلب العلم الديني... مجتمعنا بحاجة إلى علماء رساليين من أبناء البلد.. مع احترامنا وتقديرنا لكل من وفد إلى هذا البلد من العلماء وقدم خدمات جليلة.. ولكن هذا أمر واضح.. تأثير ابن البلد ومعرفته بخصوصيات

مجتمعه له دور حيوي في تحقيق النتائج الإيجابية: ﴿وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا...
وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا... وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾.

ولذا أَدْعُو إلى التفكير بجدية لتحفيز شبابنا إلى الدراسة الحوزوية كما
نَحْفِزُهم إلى الدراسة في سائر المجالات.. بشرطها وشروطها، من حيث قابلياتهم
واستعدادهم، ومن حيث البيئة الدراسية التي نوفرها لهم.

إنَّ وصيةَ الإمام الرضا «عليه السلام» بأن نُحْيِي أمرَ عترةِ أهلِ بيتِ النبوة «عليه السلام»
مسؤوليةً رساليةً لا تتحقق من خلال إثارة الشحناء والسب والتحقير والاستهزاء،
بل من خلال نشر محاسنِ كلامهم، والتركيز على الأبعاد الأخلاقية والخصائص
الروحية والثقيلة العلمي الذي يمثلونه في الواقع التاريخي والحضاري للأمة
الإسلامية، ونحن بحاجة إلى العلماء الأتقياء العاملين من أبناء البلد الذين
ينهضون بدءً لتلقي علوم هذه المدرسة، والقيام بعد ذلك بمسؤولية إيصال تلك
العلوم إلى عموم الناس، الأمر الذي يتطلب التفكير الجاد وتشجيع الأبناء الذين
يجدون في أنفسهم الاستعداد للاستجابة للأمر الإلهي حيث يقول «عز وجل»: ﴿فَلَوْلَا
نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.





الخطبة الأولى

إغاثة الملهوف وغفران الذنوب

في نهج البلاغة الحكمة برقم ٢٠ عن علي «عليه السلام» أنه قال: (مَنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ). وقد فُسر الملهوف في اللغة بأنه: (الْحَزِينُ الْمَفْجُوعُ، إِمَّا لِدَهَابِ مَالِهِ أَوْ فَقْدَانِ عَزِيزٍ عَلَيْهِ، وَهُوَ يُنَادِي وَيَسْتَغِيثُ).

لاشك أن هذين العنوانين، إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب من العناوين المحببة في ذاتها، ومن خصال الإنسان الذي يعيش إنسانيته الحقّة، وفطرته التي فُطر عليها.. ولذا فمن المفترض به أن يقوم بهذا الدور بشكل تلقائي دون حاجة لمحضرات.

ولكن الإنسان أحياناً يغرق في أنانيّته، أو في همومه ومشاكله وحاجاته، ولربما دفعته بعض العناوين كالانتماء إلى دين أو مذهب أو حزب أو جماعة إلى عدم القيام بهذا الدور بحق الآخرين الذين يصدق عليهم عنوان الملهوف أو المكروب.

ومن هنا جاءت الآيات الشريفة والأحاديث والوصايا لتحفيز الإنسان على الاهتمام بإغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب، بوعود دنيوية أحياناً كتفريج هموم الدنيا، وبوعود أخروية من قبيل ما جاء في الرواية السابقة وهو التكفير عن الذنوب العظام، أملاً في تحقيق هذه الغاية الإنسانية النبيلة ولو بدافع يعود على الفرد نفسه بالمنفعة.

في حديث عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بَيْراً، فَتَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ التُّرَابَ (مِنْ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَتَنَزَلَ الْبَيْرُ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ فِيهِ) لَأَنْ يَدِيهِ مَشْغُولَتَانِ بِالصُّعُودِ دَاخِلِ الْبَيْرِ (حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْراً؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ). فإذا كان الأمر هكذا مع الحيوان.. فكيف بالإنسان؟ وما أكثر الملهوفين والمكروبين في عالمنا اليوم! نسأل الله «عز وجل» أن نكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

الخطبة الثانية

هل لليهود حق تاريخي في فلسطين؟

أقرّ البرلمان الإسرائيلي «الكنيست» قبل أيام قلائل قانون الدولة القومية، الذي يمنح اليهود فقط حق تقرير المصير في الكيان الصهيوني. وبغض النظر عن تداعيات وآثار هذا القرار، يعود إلى الواجهة التساؤل المرتبط بحق اليهود التاريخي في الأراضي الفلسطينية.. أي: أليس لليهود حق تاريخي فعلاً في هذه الأراضي؟ ألم يكونوا هم أصحاب هذه الأرض وحكامها قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة؟ ألا يتحدث القرآن الكريم عن الأرض المقدسة وحكم داود وسليمان وغير ذلك من القصص المرتبطة بتاريخ بني إسرائيل فيها؟

فلماذا إذاً نتخذ هذا الموقف المتشدد على الرغم من أننا ننادي دائماً بضرورة أن نكون منصفين وأن نعدل ولو مع أعدائنا؟

الجواب سيكون وفق قراءتين:

□ القراءة التاريخية:



القراءة الأولى تاريخية، وإن صح بحسب تعبير البعض وفق القراءة العلمانية البحتة، التي لا علاقة لها بالدين، ولا بعنوان النبوات والرسالات ولا غيرها من العناوين الدينية.

بحسب هذه القراءة، لم تكن هذه الأراضي عندما حكمها بنو إسرائيل في الأساس صحاري أو أحراش وأراضي جرداء مهملة، بلا شعب وبلا حكم وبلا حضارة.. ولتوضيح ذلك نقول: بحسب ما هو متفق عليه عند اليهود وغيرهم، فإن إبراهيم «عليه السلام» كان يعيش قبل قرابة ٤٠٠٠ سنة، وكان من أبناء بلاد الرافدين، وهاجر إلى أرض كنعان، أي فلسطين الحالية، وتوفي فيها، وله قبر معروف في مدينة الخليل جنوب مدينة القدس. في تلك الأرض كان يعيش الكنعانيون العرب الذين أقاموا فيها عدة مدن وبلدات.

ونعود إلى التوراة في سفر التكوين، الإصحاح ١٢ كنص تاريخي وليس بلحاظ ديني لنجدها تقول عن ذلك: (وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك....». فَأَتُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ... وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الْأَرْضِ).

بكل وضوح تنص التوراة على أن إبراهيم «عليه السلام» ومن معه وفدوا على أرض عامرة يسكنها الكنعانيون، وعلم التاريخ والآثار يظهر أنهم استوطنوها قبل هذا الحدث بقرابة ١٥٠٠ سنة. ثم رزق الله إبراهيم «عليه السلام» ولدين، الأول إسماعيل وعاش في مكة، والآخر إسحاق الذي رُزق بدوره بيعقوب، الملقب بإسرائيل، وقد عاش هو وأبناؤه في الأرض الكنعانية في حالة بدوية إلى أن نقلهم ابنه يوسف بعد ذلك إلى أرض مصر ضمن القصة المعروفة.

وهكذا تناسل بنو يعقوب «إسرائيل» في مصر حكماً ومعززين، إلى أن تحولوا من موقع الحكم والملك إلى موقع العبودية فيها، ثم خرجوا منها بعد عدة قرون بقيادة النبي موسى «عليه السلام». استقر بنو إسرائيل في صحراء سيناء أربعين سنة... وبعد وفاة موسى «عليه السلام» قادهم يوشع بن نون «عليه السلام» فسيطروا على بعض المدن والبلدات العربية من قبيل أريحا وعاي وغزة والقدس.

ولنحلل النص التالي الموجود في سفر يشوع من الكتاب المقدس: (وَلَمَّا سَمِعَ

جَمِيعُ الْمُلُوكِ الَّذِينَ فِي عَبْرِ الْأُرْدُنِّ فِي الْجَبَلِ وَفِي السَّهْلِ وَفِي كُلِّ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ إِلَى جَهَةِ لُبْنَانَ، الْحِثِّيُّونَ وَالْأَمُورِيُّونَ وَالْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفِرْزِيُّونَ وَالْحَوِّيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ، اجْتَمَعُوا مَعًا لِمُحَارَبَةِ يَشُوعَ وَإِسْرَائِيلَ (أَيِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِصَوْتِ وَاحِدٍ).

١. الْحِثِّيُّونَ: غزاة كانوا قد احتلوا جزءاً من تلك الأراضي قادمين من بلاد الأناضول «تركيا».

٢. الْأَمُورِيُّونَ: عرب من بادية سوريا.

٣. الْكَنْعَانِيُّونَ: عرب وسكان المنطقة.

٤. الْفِرْزِيُّونَ: اسم كنعاني معناه أهل الريف، وهم فرع من الكنعانيين القرويين.

٥. الْحَوِّيُّونَ: من القبائل العربية التي عاشت في نابلس وجبعون، ثم انتشروا في شمال فلسطين وشمال القدس، وهم بحسب التوراة فرع أيضاً من الكنعانيين.

٦. الْيَبُوسِيُّونَ، عرب، أسسوا مدينة القدس.

وفي الإصحاح ١١ من سفر يشوع: (فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مَدْنٍ أُولَئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ). أي كانت هناك مدن وكان هناك ملوك، وأخذها منهم يوشع بن نون ومعه بنو إسرائيل. وفي القرآن الكريم أيضاً ما يؤكد ما ذكرته في القراءة التاريخية حيث يقول «عز وجل»: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُذِلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ «المائدة: ٢٢» فهم لم يؤسسوا دولة في أرض جرداء.

هذه المعطيات كما تجدها في «العهد القديم» وفي القرآن، تجدها أيضاً في أي كتاب تاريخي يستعرض تاريخ تلك المنطقة، وبالتالي فإن الحديث عن الملكية التاريخية لهذه الأراضي من قبل بني إسرائيل واليهود باعتبارهم المؤسسين لها كلام لا يمت إلى الحقيقة بصلة.

كانت هذه هي القراءة التاريخية المجردة والمختصرة، مع الاستشهاد ببعض النصوص في المصادر اليهودية والإسلامية للتأكيد على هذا البعد التاريخي.

□ القراءة الدينية:

أما القراءة الثانية فهي القراءة الدينية، فقد نَحَاجَ بما جاء في القرآن في قوله «عز وجل» على لسان موسى «عليه السلام»: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ «المائدة: ٢١». فهذه الآية تذكر أن الله قد وهب هذه الأرض لبني إسرائيل وكتبها لهم. فمن المفترض أن نلتزم بالإرادة الإلهية لتكون هذه الأرض لبني إسرائيل، أي اليهود.

والتوراة تقول مثل ذلك، ففي سفر اللاويين الإصحاح ٢٠ مثلاً: (وَقُلْتُ لَكُمْ: تَرِثُونَ أَنْتُمْ أَرْضَهُمْ، وَأَنَا أُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا لِتَرِثُوهَا، أَرْضًا تَقِيضُ لَبْنًا وَعَسَلًا). وهناك عدة نصوص في التوراة تدل على هذا المعنى.

رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق «مناجم بيغن» قال معقّباً على خطاب الرئيس المصري السادات أمام الكنيست: (إن حق إسرائيل في فلسطين حق أبدي تاريخي تشهد له الكتب، ومنها القرآن نفسه) واستدل بالآية السابقة ثم قال: (إن الله فرض لنا الأرض المقدسة دون سائر الخلق فلا يجوز لأحد دينياً أن ينازعنا فيها). ونبدأ بالإجابة من خلال طرح التساؤل التالي: هل كتبت لهم هذه الأرض لأنهم بني إسرائيل؟

الجواب بالنفي، فهذا العطاء ليس بعنوان الذرية، ليكون ملكاً عائلياً يتوارث عبر الزمن، بل هو عطاء بعنوان أنهم أتباع الرُّسل والرسالات السماوية، ليقيموا دين الله. ومتى ما تخلّوا عن النهوض بمسؤولياتهم، لم يستحقوا هذه الوراثة على الأرض. في سفر التثنية من التوراة الإصحاح ٤: (إِذَا وَلَدْتُمْ أَوْلَادًا وَأَوْلَادَ أَوْلَادٍ، وَأَطَلْتُمْ الزَّمَانَ فِي الْأَرْضِ، وَفَسَدْتُمْ وَصَنِعْتُمْ تَمَنًّا مَنَحُوتًا صُورَةَ شَيْءٍ مَا، وَفَعَلْتُمْ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ لِإِغَاظَتِهِ، أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ أَنَّكُمْ تَبِيدُونَ سَرِيعًا عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ عَابِرُونَ الْأَرْضَ إِلَيْهَا لَتَمْتَلِكُوهَا. لَا تُطِيلُونَ الْأَيَّامَ عَلَيْهَا، بَلْ تَهْلِكُونَ لَا مَحَالَةَ. وَيَبْذُرُكُمْ الرَّبُّ فِي الشُّعُوبِ، فَتَبْقُونَ عِدَّةً قَلِيلًا بَيْنَ الْأُمَمِ الَّتِي يَسُوقُكُمْ الرَّبُّ إِلَيْهَا).

لذا فإننا نجد في تاريخ بني إسرائيل أن الله قد أجلاهم أكثر من مرة عن تلك الأرض التي كتبها لهم عندما عصوا وتمردوا وطغوا. ويؤكد هذا المبدأ قوله «عز وجل»: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

الْأَرْضَ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ النور: ٥٥.

فאלله لا يستخلف أحداً على أرض ما لأنهم من الجنس الفلاني أو من الذرية الفلانية، بل بالاستحقاق لإيمانهم وعملهم الصالح.

لاحظ القاعدة القرآنية التي جاءت على لسان موسى «عليه السلام»: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ «الأعراف: ١٢٨». فالمتقون هم الأحق بها، لا خصوص بني إسرائيل، وهذا ما يؤكد النص التالي في التوراة في سفر اللاويين، الإصحاح ٢٥: (وَالْأَرْضُ لَا تَبَاعُ بَتَّةً، لِأَنَّ لِي الْأَرْضَ، وَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ وَنَزَلَاءُ عِنْدِي).

□ بطلان حجج الصهاينة:

ووفق هذا المبدأ الإلهي، فإن الله «عز وجل» فَتَحَ لِأَتْبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) الأرض المقدسة حين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، واستخلفهم عليها، وجعلهم الوارثين لها والأحق بها من سواهم، لأنهم أتباع آخر رسالة سماوية، ولا رسالة سماوية بعدها.. وبذا تبطل حجج الصهاينة في ادعاء ملكيتهم للأراضي الفلسطينية سواء وفق القراءة التاريخية البحتة أو القراءة الدينية، وقد غزوا أهل فلسطين الآمنين، فارتكبوا المجازر، واستباحوا الحرمات، واغتصبوا الأرض، وانتهبوا الممتلكات والخيرات، وهجروا أصحاب الأرض في جريمة تعد واحدة من أكبر جرائم العصر، ووصمة عار وخزي في جبين العالم الذي إن لم يُساند العدوان فقد صمّت عن الحق، واعترف بكيان غاصب، ونبتة خبيثة، ودولة لقيطة، أو تحت عنوان الأمر الواقع الذي لا مفر منه.. وهل يسقط مثل هذا الحق بتقادم الزمان، ليصبح الباطل حقاً والحق باطلاً؟



الخطبة الأولى

العبادة جسد وروح

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ «الذاريات: ٥٦-٥٨».

من الخطأ أن نتعامل مع العبادات والأعمال الصالحة كجسد بلا روح. فكما أن لكل عبادة وكل عمل صالح جسد يتمثل في طريقة الأداء والأحكام المتعلقة بها، فكذلك لها روح تتمثل في الغايات التي من أجلها شرعت، والأهداف المرجوة تحقيقها.

الوضوء عبادة لها جسد ولها روح... جسدها أن تغسل وجهك بطريقة معينة... وأما روحها فيمكن أن نتعرف عليها من هذا الدعاء المستحب ذكره عند غسل الوجه في الوضوء حيث نقول: «اللهم بياض وجهي يوم تسود فيه الوجوه، ولا تسود وجهي يوم تبيض فيه الوجوه». أي: يا رب، أريد أن أكون من المتقين السعداء في الآخرة.. في وجهي: عيان.. في وجهي لسان.. عند وجهي أذنان.. يا رب وفقني لاستخدام هذه الجوارح في ما يرضيك.. وجنّبي استعمالها فيما يسود به وجهي في الآخرة. هذه رسالة في ضمن الوضوء، تمثل جانباً من روح الوضوء وغاياته.. وهكذا الأمر بالنسبة إلى غسل اليدين ومسح الرأس والقدمين في الوضوء.

كذلك الصلاة مكوّنة من جسد وروح.. والعطاء المالي المتمثل في الزكاة والخمس والصدقة والكفارات جسد وروح.. والصوم جسد وروح. فعندما نقرا: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ

أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴿البقرة: ١٨٧﴾.. هذا من جسد الصيام.. لأنه من أحكامه. أما عندما نقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿البقرة: ١٨٣﴾.. فهذا من روح الصيام لأنه يبين شيئاً من غاياته وأهداف تشريعه.

فَهَم هذه النقطة أمر مهم في كيفية أدائنا للعبادات والشعائر والأعمال الصالحة أيضاً. فعندما تتصدق قرابة إلى الله وتُعطي من مالك للفقير، فهذا أمر له قيمة ، ولكن هذه القيمة قد تقل أو تتلاشى .. كيف ؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَيْفٍ مُّوَدَّنٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَاصَابَهُ فَأَبَلَ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿البقرة: ٢٦٤﴾.

إذاً من الممكن أن تتلاشى قيمة العبادة أو العمل الصالح إذا ركّزنا على الجسد ونسينا روح العبادة وروح العمل، تماماً مثل هذا الإنسان الذي أعطى وساعد الفقير، ولكنه أذهب قيمة هذا العمل الصالح بالمن والأذى .

وهكذا.. عندما نصلي نُسقط التكليف.. ولكن هذا لا يعني أن قيمة صلاتنا عالية، لأن ارتفاع قيمتها يعتمد على أمور ، من بينها الاهتمام بروح الصلاة.

وهذا يفسّر لنا ما جاء في الحديث التالي: (عن الباقر «عليه السلام» أنه قال: إذا قمت في الصلاة، فعليك بالإقبال على صلاتك، فإنما يُحسب لك منها ما أقبلت عليه).

فهذا المصلي أسقط التكليف ولا يحتاج إلى إعادة الصلاة.. ولكن ما وزن هذه الصلاة في ميزان عمله في الآخرة ؟ هذا أمر آخر يعتمد على الخشوع وعوامل أخرى هي روح الصلاة.

ولذا نقرأ عن الإمام الصادق «عليه السلام» قوله : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا أَدْرِكُ مِنْ نَفْعِ صَلَاتِهِ فَلْيَنْظُرْ، فَإِنْ كَانَتْ صَلَاتُهُ حَاجَزَةً عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرِ فَإِنَّمَا أَدْرِكُ مِنْ نَفْعِهَا بِقَدَرِ مَا احْتَجَزَ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَعْلَمَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَعْلَمْ مَا لِلَّهِ عِنْدَهُ).

الخطبة الثانية

سيادة الكويت والوضع الإنساني في اليمن

استفزني في وقت متأخر من الليل خبران دفعاني إلى تغيير خطبة الجمعة لهذا الأسبوع، حيث كنت أنوي الحديث عن موضوع اجتماعي يرتبط بالزواج، ولكن قررت تغيير الخطبة بناء على ما جاء في الخبرين.

الخبر الأول مرتبط بأجواء الذكرى السنوية لاحتلال الكويت، حيث تحدثت مذيعة قناة البي بي سي العربية في برنامج «ترندينغ» الخاص بوسائل التواصل الاجتماعي عن أن الكويت قبل سنة ١٩٢٠ كانت جزءاً من العراق، وأن بريطانيا انتزعت الكويت منها.

هذا النفس البعثي معهود من القسم العربي في القناة، وهو ليس بجديد، وقد خبرناه في ثمانينيات القرن العشرين أبان الحرب العراقية الإيرانية، وما بعد ذلك. واتضح الأمر أكثر بعد إسقاط النظام البعثي في العراق، إلى درجة أنها كانت تعبر أحياناً عن تحرير المدن والقرى بيد القوات العراقية من الدواش الذين تتشكل قياداتهم من أيتام حزب البعث، بعنوان (احتلال.. إسقاط) وما أشبه ذلك.. مما يوحي للمستمع والمشاهد وكأن الدواش هم أصحاب الحق، وأن من يقاتلهم من الغزاة!

ولم تكتف القناة بالتعدي على سيادة الكويت التاريخية وتزييف الحقائق وتشويه التاريخ، بل قامت ونشرت على صفحتها بالأمس تقريراً صحفياً عنوانه: (هل لا تزال لعنة الكويت تلاحق العراق منذ الغزو في ١٩٩٠). يبدو أن هذه القناة لا تهدأ في دق الأسافين بين الدول الشقيقة والصديقة في المنطقة.. وهي تريد اليوم أن تشعل الخصومة وتثير النفوس بين الكويت والعراق بمثل هذه التقارير والمعلومات المغلوطة والتعابير المغرضة.

الكويت ليست لعنة للعراق.. ما قدمته الكويت على مستوى الدعم المادي

والمعنوي حكومةً وشعباً للعراق والعراقيين منذ إسقاط النظام البعثي ليس له مثيل.. وآخر ذلك الأوامر الأميرية التي صدرت بتقديم كل الدعم للعراق لإخراجه من أزمته الحالية المرتبطة بتأمين الكهرباء.

ولكن يبدو أن بعض وسائل الإعلام - ومن بينها البي بي سي عربي - لا ترتاح إن لم تشعل فتنة هنا وفتنة هناك، فهذا ديدن البعثيين المعششين في هذه القناة منذ أمد بعيد، وهو أيضاً ليس ببعيد عن أغراض الجهات التي تقف وراء القناة وتحرك مثل هذه الملفات من حين إلى آخر، ولا تريد الخير للمنطقة.

صحيح أن القناة نشرت اعتذاراً في وقت متأخر من ليل أمس، إلا أن الاعتذار كان أقبح من الذنب نفسه، بمضمونه وتبريراته ولغته المتعالية؛ ونتمنى أن تكون وزارة الإعلام الكويتية مستمرة في نيتها «ملاحقة أي جهة أو مؤسسة تعمد إلى ارتكاب هذا التشويه والتزييف التاريخي المتعمد» كما جاء في بيانها، وإلا فإن التراخي في هذا سيؤدي إلى جراحة آخرين على سيادة البلاد.

□ الموضوع اليمني:

أما الموضوع الثاني الذي استفزني ليل أمس فهو التقرير الذي نشرته الأمم المتحدة والذي جاء فيه: (أن ملايين اليمنيين يعتمدون على وجبة واحدة من الأكل كل يومين، محذرة في الوقت ذاته من كارثة إنسانية غير مسبوقة في اليمن جراء القتال المستمر فيه. وقالت منسقة الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية في اليمن ليز غراندي في تصريحات نشرت على الموقع الإلكتروني للمنظمة: «عندما نتحدث عن ٨,٥ ملايين شخص يعانون من الجوع الشديد، وهذا يعني أنهم يأكلون وجبة واحدة يومياً، فيما الغالبية من أولئك الناس يأكلون مرة كل يومين، والكثيرون يأكلون مرتين أسبوعياً. إنها أزمة سببتها الحرب، لذا فقد حان الوقت لأن توقف الأطراف الأعمال القتالية وتجد سبيلاً للتحرك قدماً، وحلاً سياسياً»).

لا أريد أن أتحدث عن الشق السياسي من الموضوع.. بل عن الشق الإنساني.. هل يُعقل بعد هذا التقرير أن يقبل العالم باستمرار الأزمة؟ هل يمكن للدول والأطراف المؤثرة في قرار الحرب والسلم في اليمن أن تبقى متفرجة وتسمح باستمرار هذه الكارثة الإنسانية؟

ضجّ العالم وهبّت أطراف عديدة على مستوى حكومات ومؤسسات وأفراد قبل أسابيع عند احتجاز بضعة فتية في كهف في تايلاند.. والحمد لله أنه تمّ إنقاذهم.. وينبغي توجيه الشكر لكل من ساهم في هذه المهمة الإنسانية، ولكن أين الهبة العالمية لتخليص اليمن من مأساه الإنسانية؟ هل هناك نفاق سياسي وازدواجية في المعايير يغرق فيه العالم أكثر من هذا؟

أعتقد أن الكويت على المستوى الرسمي وبمؤسساتها الحكومية وبشهامتها وغيره شعبها قادرة على أن تقود هبة عالمية لوضع حدّ لما يعيشه بلد عربي ومسلم يُعدّ أحد أفقر بلاد العالم، في الوقت الذي يمثّل في جذوره التاريخية منبع العروبة، ومن أهم روافد الحضارة الإسلامية، وكان في يوم ما يسمّى اليمن السعيد.. فهل ستعود البسمة إلى شفاه اليمنيين عن قريب؟





الخطبة الأولى الحج جسد وروح

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ «الحج : ٢٦-٢٧».

ذكرتُ في الخطبة الماضية أن للعبادات والأعمال الصالحة جسداً وروحاً، والجسد كيفية أداء العبادة والعمل، وأما الروح فأهداف العبادة والعمل الصالح وغايات تشريعها. وعليه، فالحج جسد وروح، والآية السابقة أشارت بشكل إجمالي إلى جانب من روح الحج: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.. فما هي هذه المنافع؟

في حديث عن الإمام علي الرضا «عليه السلام» أنه قال في جانب منه: (إنما أمروا بالحج لعله الوفادة إلى الله «عز وجل» ...).

يعيش الحاج أجواءً روحية مميزة في العلاقة بالله عز وجل من خلال الطواف، والصلاة، والسعي، وتلاوة القرآن، والدعاء لله سبحانه عند بيته المحرم، وفي عرفات، وفي المشعر الحرام، وفي منى، وفي إقباله على التوبة والاستغفار وطلب العتق من النار.. أي أنه يراد للحج أن ينمي الجانب الروحي لدى الإنسان في دورة مكثمة.

إقبال الإنسان على متطلبات الحياة الدنيا تستغرق أغلب وقته واهتماماته.. وهذا خطأ وخطر في نفس الوقت.

نحن نؤمن بأن هذه الحياة ليست نهاية المطاف، بل هي المَبَرُّ للحياة الممتدة في الآخرة.. وتحديد نوعية الحياة الآخرة يعتمد على ما نقدّمه في هذه الحياة استعداداً لها. فإذا استغرق الإنسان في متطلبات الحياة الدنيا، ومن أجل الحياة الدنيا، على حساب الإعداد للحياة الآخرة، فقد أخطأ الطريق، وأدخل نفسه في خطر المصير البائس الذي سيندم عليه في الآخرة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ «المنافقون: ٩»... احذر أيها الإنسان أن تستغرق في متطلبات هذه الحياة.

الالتهاء بطلب الرزق، ورعاية الممتلكات، وتلبية حاجات الأبناء، يجب أن لا يكون على حساب البناء لمصيرك الآخروي.. طلب الرزق أمر مطلوب.. رعاية الأبناء أمر مطلوب.. ولكن يجب أن يكون ذلك كله باعتدال، وبالتوازن مع حاجات الحياة الآخرة. ولذا قال «عز وجل» بعد هذه الآية: ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ «المنافقون: ١٠». هذا من متطلبات الآخرة... فهل من مجال لتأخير الموت وإفساح المجال أمام إعادة برمجة حياتنا؟ تجيب الآية التي بعدها: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ «المنافقون: ١١».

الحج يبرمج لك حياتك.. يقدم لك نموذجاً من الحياة الروحية التي تعطيك زخماً روحياً وتعوّض شيئاً من النقص في هذا المجال بسبب الالتهاء الذي اعتدنا عليه.. كما أن هذا البرنامج يوضح لك كيف يمكن أن تعيد برمجة حياتك لتحقيق فيها شيئاً من التوازن المفقود. فلنلاحظ الآيات التالية من سورة البقرة وهي تتحدث عن الحج:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ... فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ «١٩٧-٢٠٣».

لاحظوا تكرار ذكر الله في المناسك والمواقع المختلفة من أعمال الحج. هذه

التممية الروحية التي يُراد تحقيقها في الحج من أبعاد الحج وغاياته.. أي من روح الحج. إن قيمة حجنا ترتفع بالعناية بهذا البُعد .. وكلما زادت عنايتنا به كلما ارتفعت قيمة حجنا .. وكلما قلّت، تأثرت قيمة حجنا بذلك ونقصت. من الممكن أن يُسقط الإنسان تكليف الحج بسهولة.. ولكن أن يجد لحجّه أثراً ووزناً في الآخرة فهذا أمرٌ مختلف.

الخطبة الثانية

الزواج غير التقليدي

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ «الروم: ٢١».

كل حالة زواج معرضة للاهتزاز، والفشل، ومواجهة حالة من المد والجزر في العلاقة.. أو الاستمرار والنجاح. وهناك آراء وأفكار عديدة ترتبط بعوامل فشل حالات الزواج، منها ما تبين صحتها، بينما يفتقر بعضها إلى الدليل، فيما أثبتت التجربة المتكررة خطأ البعض الآخر.

من بين هذه الآراء والأفكار المطروحة على طاولة النقاش بقوة: الطريقة التقليدية في الزواج والتي تتم من خلال اختيار الوالدين.. هل هي فعلاً من أسباب بل من أهم أسباب فشل الزواج؟ وهل الزواج الناشئ عن علاقة حب عاصفة تربط بين الطرفين، ولربما على الطريقة السينمائية، وكما في الروايات العاطفية هو البديل الناجح؟

بالطبع، للمسألة بُعد شرعي، ولكنني سأحدث بالموضوع مع غض الطرف عن هذا البُعد. ومن دون شك فإن وجود ارتباط عاطفي قوي بين الزوجين أمر مهم لبناء بيت زوجية سعيد وقوي وقادر على مواجهة الظروف والتحديات التي تعصف

به.. ولكن هل المشاعر القوية التي تسبق الزواج كفيّلة بتحقيق هذه العلاقة القوية في مرحلة ما بعد الزواج؟ وأنا لا أتحدّث هنا عن الشعور بالإعجاب والانجذاب من طرف واحد أو من طرفين.. كأن تكون هناك رغبة بالارتباط بالزواج.. وإنما أتحدث عن وجود علاقة، وحب، وغراميات.

في استبيان قام به أستاذ علم الاجتماع د. أسامة عبد الباري في مصر على ١٥٠٠ أسرة وجد فيه أن أكثر من ٧٥٪ من حالات الزواج عن علاقة حب مسبقة - والتي تتبّعها - انتهت بالطلاق، بينما كانت تلك النسبة أقل من ٥٪ في الزيجات التقليدية.

□ آثار الزواج عن علاقة حب:

لا أدري مدى اقتراب هذه النتائج من واقعنا في الكويت، ولكن يبدو الأمر منطقياً، لأسباب:

١. الاندفاع العاطفي يُعَمّي عن رؤية عيوب ومساويء الطرف الآخر.. «وعين الرّضا عن كلّ عيب كليلّة».. حتى إذا ذهبَت السُّكرة وجاءت الفكرة، تجلّت العيوب والفروقات، فصارت قراءة كلّ طرف للآخر مختلفة، والمشاعر مختلفة.. ثم تبدأ الانتقادات، لتبرز بعد ذلك المشاكل الكبيرة، لأن التوقّعات كانت مختلفة تماماً.. ولذا تكون ردّة الفعل قوية. ولنأخذ بعين الاعتبار أيضاً أن كل طرف في مرحلة ما قبل الزواج يحاول إبراز أجمل ما عنده، أو يتصنّع الكثير من الأمور كسباً لرضا الآخر. أي أن الصورة التي يُظهرها كل طرف للآخر تكاد ترقى إلى المثالية، ثم تظهر الصورة الحقيقية بعد الزواج وتُظهر معها المشكلات.

٢. المشاعر الجيّاشة والحب العاصف قبل الزواج لا يمكن أن يستمر على نفس الوتيرة.. هذه هي النفس البشرية.. وعند الاصطدام بمشكلات الحياة ومسؤولياتها الكثيرة، تتحول الحياة من حلم إلى حقيقة.. وتخبو تلك المشاعر وتبرد تدريجياً.. ولربما تختفي تماماً.. وحيث كانت هي الرابط بين الطرفين، أصبحت العلاقة مُعرّضة للتدمير مع أية هزة قد تصيبها.

٣. كل ما هو جميل ورائع في البداية - إن بُني على العاطفة القوية فقط - فإنه سيصبح بمرور الوقت أمراً عادياً، ويبدأ بفقدان جمالياته، هذا إن لم يتحوّل إلى

شيء قبيح. بخلاف ما لو كانت قراءتنا وتقييمنا للأمور قد تمتّ بشيء من العقل والقناعة الفكرية، وحينها إذا تراكمت التجارب الجميلة فسيكون ذلك - غالباً - سبباً لنشوء علاقة قوية وعاطفية.

٤. تقديم كل طرف مصلحة الآخر ورغباته في المرحلة السابقة على الزواج لا تستمر عادة في المرحلة اللاحقة.. ومن هنا عندما تأتي المقارنة بين السابق واللاحق، تشتعل الخلافات - على إثر ذلك - بقوة.

٥. الخلط بين الرغبة الغريزية وبين الحب.. وهذه الحالة متكررة بشكل كبير.. ولذا بمجرد وقوع الزواج وقيام هذا الطرف أو ذاك بإشباع هذه الغريزة، تبرد العلاقة، لأن من طبيعة الغريزة أنها متى ما أشبعَت خمدت.

هل هذا يعني سلب حق الطرفين في اختيار زوج المستقبل؟ أبداً، بل إن الزواج نفسه باطل إن لم يتم برضا الفتاة لبطلان العقد.. فالإيجاب في عقد الزواج يكون منها، لا من ولي الأمر.. ولي الأمر - بحسب فتوى مَنْ يرى ولايته على الفتاة البالغة والراشدة - إنما يُمضي رضاها.

هل الزواج التقليدي هو البديل الناجح؟ لربما يكون كذلك ولكن بشروط، وهو أمر يحتاج إلى معالجة في خطبة منفردة بإذن الله.

□ رسالة إلى الشباب وأولياء أمورهم:

الذي يجب أن يتنبه إليه الشباب أن عاطفتهم قوية جداً، ومن هنا فإنّها تُغطّي على كثير من البديهيّات والحقائق التي يراها الآخرون، مما يجعل الصورة التي يرونها مختلفة عن تلك التي يراها الآخرون.. وهذا يستدعي منهم:

١. عدم التفرد بالرأي.

٢. أن يُفسّحوا المجال لرأي الآخرين، لاسيما لأصحاب التجربة والرأي القائم على الدليل.

٣. أن يتفهّموا خلفيات الرأي المخالف، ولا يعتبروه موقفاً شخصياً أو حالة من التحدي.

وأما الرسائل التي أوجّهها إلى أولياء الأمور حول كيفية تغيير هذا الواقع:

١. عليهم إدراك أن التعامل مع هذا الأمر صعب جداً، ويستدعي الدقة والحذر.

٢. محاولة الإقناع وإثبات الرأي بالدليل.

٣. لربما مفتاح الحل يتمثل في التربية المسبقة التي تجعل للوالدين قيمة كبرى لدى الأبناء، في احترام آرائهما وتوجيهاتهما، وفي تحديد معالم العلاقة التي تدفع الأبناء إلى المكاشفة الدائمة والتواصل الدائم ولو مع أحد الوالدين على الأقل، مما يجعل معالجة الأمور أولاً بأول أسير من معالجتها بعد استفحالها.

وأكثر التحديات التي يواجهها أولياء الأمور عندما يكبر الأبناء يكون ناشئاً من إهمال أو تراخي أو غفلة أو ضعف العلاقة في المراحل الأولى من حياتهم.

□ الموضوع اليميني:

إن الزواج بناء يُراد له أن يكون قوياً راسخاً مستمراً، يقوم على أساس العقل كما يقوم على أساس العاطفة.. العاطفة القوية التي تسبق الزواج فتُقدّم كل شيء بأزهى صورة، وتنقل الطرفين من عالم الواقع إلى عالم الأحلام لا يمكنها لوحدها أن تبني علاقة زواج سليمة، إن لم نقل أنها من أسباب الفشل في كثير من الأحيان.. والتجارب في هذا المضمار كثيرة.. ومن المفترض بالإنسان العاقل ألا يكرّر أخطاء من سبقه. من الجميل أن يختار الشاب زوجة المستقبل عن إعجاب بشخصية فتاة ودينها وأخلاقها وعقلها ومظهرها، فيطلب من والديه أن تكون هذه الفتاة شريكة حياته.. ومن الطبيعي أن ترغب الفتاة في أن ترتبط بشريك حياتها عن معرفة وإعجاب بشخصية شاب لربما زاملها في الدراسة أو في مجال من مجالات الحياة أو القرابة.. ولكن هذا شيء.. وإقامة علاقة زوجية على أساس عاطفيّ بحت، لا دور للعقل فيه، ولا واقعية في التقييم.. أو على أساس غريزيّ متلبسّ بلباس العاطفة، شيء آخر.



الخطبة الأولى

هل كان نص الغدير مفاجأة؟

ما صدر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في يوم الغدير حول المرجعية الدينية لعترته أهل بيته وعلى رأسهم أمير المؤمنين «عليه السلام» من خلال نص الثقلين، ثم إعلان ولايته، جاء في السياق الطبيعي لتاريخ الإمام، وكتتويج لكل تلك النصوص والمواقف النبوية التي بيّنت للمسلمين من هو علي.. وما هي المسؤولية الملقاة على عاتقه بعد النبي.. وما هي مسؤولية المسلمين تجاهه.

شخصية عايشة النبي «صلى الله عليه وآله» عن قرب ومن موقع الابن مع أبيه، وهو القائل: (وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ) دون أن يقتصر ذلك على الاتباع الفطري، بل كانت منذ بداياتها حركة واعية تستهدف الاقتداء بسيد البشرية: (يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بَحْرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي).

وكان تتويج ذلك الاتباع عند لحظة نزول الوحي بالرسالة: (وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» وَخَدِجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوءَةِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ «صلى الله عليه وآله» فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّئَةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ. إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوْزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ).

وهكذا أصبحت بصفة علي «عليه السلام» حاضرة في أشدّ المواقف، وبكل قوة، إعلاءً لدين الله، ونصرةً لرسول الله «صلى الله عليه وآله». وما أدقّ وصف السيدة الزهراء «عليه السلام» لهذه الحقيقة إذ قالت: (كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاعرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفي حتى يبطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مُشمرّاً ناصحاً، مجدداً كادحاً).

فقال علي «عليه السلام» من التعريف والتكريم من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما لم ينله أحد من المسلمين، كما وكيفاً، وهو القائل فيه يوم الخندق: (برز الإيمان كله إلى الكفر كله)، ويوم خيبر: (لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كراز غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه)، ويوم تبوك: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟) ومنزلة هارون من موسى هي ما عبّر عنه القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْ لِي وَزيراً مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ «طه: ٢٩-٣٢».

والقائل في بيان علمه: (أنا مدينة العلم وعلي بابها) والقائل في بيان لزوم الاهتداء والافتداء به: (علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه حيثما دار).

وبعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» أثبت علي «عليه السلام» أنه رجل المرحلة.. فحين سلب حق الحكم والقيادة قارن بين أمرين، قال: (وطفقت أرثي بين أن أصول بيد جداء، أو أصبر على طخية عمياء) فماذا اختار؟ (فرايت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً).

بل وأخذ خطوة أخرى عند اشتداد أمر الردّة في بعض نواحي جزيرة العرب: (فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد «صلى الله عليه وآله» فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل).

وحين تجددت الخيارات أمامه، مع تبدل المعطيات على أرض الواقع، وتحت

ضغط جماهيري كبير، تحمّل مسؤولية قيادة الأمة لإخراجها من أوضاعها المتأزّمة دون أن يكون له مطمع شخصي: (أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ، لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُوا عَلَى كُظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أُولِهَا، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنَزٍ).

وأخيراً.. فلنجعل من عيد الغدير مناسبة لنشر مبادئ وقيم وتعاليم وثقافة مدرسة العترة من أهل بيت النبوة، ولا نكتفي بجعلها مناسبة خاصة بالمؤمنين بولايته، فقد قدّر الله «عز وجل» لهم «عليه السلام» أن يكونوا الهداة لكل الناس، فلماذا نحجمهم في أطربنا الخاصة، وضمن رؤانا الضيقة، وآفاقنا المحدودة؟

الخطبة الثانية

تمنية الاعتزاز بالإسلام

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ «البقرة: ١٤٣».

نزلت هذه الآية الشريفة في وسط الحديث عن تغيير قبلة المسلمين من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام... فبعد أن أثار يهود المدينة شبهة عدم استقلالية الإسلام في تشريعاته، وأنها نوع انتحال لشريعة اليهود، بدليل وحدة القبلة، أخذت هذه الشبهة مأخذها من المسلمين، وأحدثت بلبلة فكرية شديدة، يمكننا أن ندرك حجمها من خلال قوله «عز وجل»: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ في تصوير لحال النبي «صلى الله عليه وآله» المنتظر لنزول ما يُنقِذ الموقف.

وهذا ما حصل: ﴿فَلَنُؤَلِّينَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ «البقرة: ١٤٤». وبعد تغيير القبلة أثار اليهود شبهة أخرى تتلخص في عدم إمكانية نسخ أحكام الشريعة ما دامت من عند الله «عز وجل»، لأن الجاهل بالأمور هو الذي يغير قراراته وقناعاته وأحكامه، فكيف يمكن تصوّر ذلك بحق الله، والحال أننا نؤمن بأنه بكل شيء عليم؟

وزلزل المسلمون من جديد، وارتبكوا، فكانت معالجة هذه الشبهة في قوله «عز وجل»: ﴿مَا نَسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ «البقرة: ١٠١». وهل يجهل اليهود هذه الحقائق؟ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ، وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ «البقرة: ١٤٤-١٤٥». فالمسألة من جهتهم مسألة عناد وجود لا أكثر.

ولم تكتف الآيات الشريفة بمعالجة موضوع القبلة ونسخ التشريعات، بل وكشفت للمسلمين نقطة ضعفهم التي من خلالها يسهل للآخرين أن يقتحموا قناعاتهم، ليشككوا فيها ما شاءوا، ولينجحوا في ذلك بأقل مجهود.

□ فقدان الثقة بالهوية:

نقطة الضعف هذه تتلخص في ابتلاء المسلمين بنوع من فقدان الثقة بالهوية وبالانتماء إلى الإسلام، وإلى القرآن، وإلى الرسالة المحمدية. ومن هنا بدأت الآية ١٤٣ بقوله «عز وجل»: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ لقد جعل الله «عز وجل» هذه الرسالة محل الوسط والمحور والقطب من الرchy.

أي أن في هذه الرسالة من المقومات - ومن خلال مفرداتها الفكرية، وفي تشريعاتها، وتعاليمها الأخلاقية - ما يجعلها في موقع المرجعية بكونها المقياس الذي يقيس به الآخرون متبنياتهم وتشريعاتهم، لا العكس.. ليكون المؤمنون بها محط أنظار الآخرين.. لا العكس.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ هذا الامتياز يؤهلکم ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.. فلماذا انقلبت الصورة لديكم بحيث أصبحتم تقيسون صحة ما لديكم من تعاليم ومتبنيات فكرية وتشريعات من خلال ما لدى الآخرين؟

ومتى ما أردتم التأكد من استقامتكم في التزامكم بهذه الرسالة فارجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقيموا أنفسكم من خلاله: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

وبدا تتناغم هذه الآية مع قوله «عز وجل»: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ «سورة آل عمران: ١١٠»، لا بمجرد الانتماء إلى الإسلام، بل عند الالتزام بتفاصيله. وتتناغم مع قوله «عز وجل»: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ بعلو قواعده الفكرية وتعاليمه وتشريعاته ﴿وَكَمَّىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ «الفتح: ٢٨».

□ الغاية من هذه القوامة:

ولابد من التنبيه إلى أن التأكيد على هذه الحقيقة وترسيخها في النفوس ليس لغرض الاستعلاء على الآخرين واحتقارهم، ولذا خطأ الله اليهود والنصارى حيث قال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ «البقرة: ١١٣».

كما وبين واحدة من الآثار السلبية لهذا الاستعلاء: ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ «آل عمران: ٧٥» أي أبيع لنا فعل المحرمات من خيانة الأمانات وغير ذلك ما دام الآخر ليس منا.

بل إن الغاية من ذكر حقيقة مرجعية الإسلام وقوامته على سائر الأمم أن يمتلك المسلمون الثقة بالرسالة وبالانتماء وبالهوية بما يمكنهم من الانطلاق بقوة في الدعوة إلى الله «عز وجل»، وفي ردِّ الشبهات والإشكالات التي يثيرها الآخرون عليهم.

□ خلل ومعالجة:

هذا الخلل الذي عانى منه المسلمون آنذاك وسبب لهم الارتباك الفكري، مترسخ بقوة في وجدان شريحة كبيرة من شبابنا هذا اليوم.. ويتمثل في الانبهار بالغرب أو الشرق.

لذا، فإنَّ شبابنا اليوم بحاجة إلى جُرعات فكرية مركّزة من الاعتزاز بهويّتنا الإسلامية والثقة في الانتماء إلى مدرسة الإسلام العظيمة، وإلى ترسيخ حقيقة أن الله اختار للمؤمنين بهذه الرسالة - متى ما ألّتموا جادة الإسلام بمفرداته الفكرية وبتشريعاته وتعاليمه الأخلاقية - أن يكونوا بمثابة القطب من الرّحى، والمرجعية الفكرية والتشريعية والأخلاقية التي يقيس من خلالها الآخرون ما لديهم، في ذات الوقت الذي يتم فيه التأكيد على عدم تحوّل هذا الشعور بالعزة والثقة بالرسالة والانتماء، إلى حالة من الاستعلاء والاستكبار على الآخرين، أو حالة من الاستغراق في الاستهزاء بمتبنياتهم وأوضاعهم.. بل أن يكون سبباً للانطلاق بقوة وثبات وعزم في الدعوة إلى هذه الرسالة وردّ الشبهات عنها: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ «يوسف: ١٠٨».





الخطبة الأولى

معايير بحاجة إلى إعادة نظر

من كلام لأمير المؤمنين «عليه السلام» قاله لابن أخته أم هانئ واسمه جعدة بن هبيرة المخزومي، حيث أراد جعدة أن يخطب الناس يوماً، فصعد المنبر، فحَصُر ولم يستطع الكلام، فقام الإمام فتسَنَّم ذروة المنبر، وخطب خطبة طويلة، كانت من ضمنها الكلمات التالية التي نقلها الشريف الرضي برقم ٢٣٢ من قسم خطب نهج البلاغة، قال «عليه السلام»: (أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَلَا يَسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلَا يَمُهِّلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ) وكأنَّه «عليه السلام» في البداية يهَوِّن مما جرى، ويبيِّن من جهة أن العوامل النفسية والظرفية والصحية قد تؤثر على الإنسان أحياناً — سلباً وإيجاباً — في ما له علاقة بالخطابة، تماماً كما أنها تؤثر على سائر أنشطته وفاعليته، وليس هذا بعيب يُعاب به الإنسان.

ثم يشير من جهة أخرى إلى حقيقة وجود الفروقات الفردية بين الناس: (وَإِنَّا لَأَمْرَاءُ الْكَلَامِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ). وكأنه يقول: لَا تقيسوا الناس بنا من حيث القدرة الخطابية التي ميَّزنا الله بها، فيكون ذلك ظلماً بحقهم، وخذوا بعين الاعتبار الفروقات الفردية.

بعد ذلك ينبّه الإمام إلى البُعد الذي ينبغي أن تتم المفاضلة فيه على مستوى الكلمة، وهو البُعد الأهم من مجرد القدرة الخطابية والأولى بالتقييم من خلاله، قال «عليه السلام»: (وَأَعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنْكُمْ فِي زَمَانِ الْقَائِلِ فِيهِ بِالْحَقِّ

قَلِيلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ). هذا هو الأهم.. الصدق والمصادقية والتزام الحق.. فافترض أن شخصاً كان أبلغ الخطباء وأفصح الفصحاء، وأفضل الناس بياناً، ولكنه يخلط الحق بالباطل، ويستعين بالكذب لبلوغ مآربه، ويستعمل الكلمة لنصرة الظالمين والترويج للظلم.. فأى قيمة – وفق المعايير الأخلاقية الفطرية – تبقى لخطاباته وكلماته؟

ثم إن الله «عز وجل» لن يحاسب الناس وفق مديات قدرتهم الخطابية، بل من خلال مدى التزامهم بالصدق وتمسكهم بالحق ومصادقيتهم في الحياة.

ويكمل الإمام «عليه السلام» ما آلت إليه أحوال الناس بتخليهم عن التعاليم الشرعية والمبادئ الأخلاقية التي جاء بها الإسلام لصلاح حالهم: (أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعَصِيَّانِ) بدلاً من الاعتكاف على العبادة والطاعة (مُصْطَلِحُونَ) ومتوافقون (عَلَى الْأَدْهَانِ) والتخلي عن هذه التعاليم والمبادئ.. فمن أعطاهم هذا الحق في التنازل عنها وقد أخذ الله من المؤمنين المواثيق والعهود بالالتزام بها؟

وانعكاسات ومصاديق وأمثلة هذا الانحراف الكبير في الأمة عديدة: (فَنَاهُمْ عَارِمٌ) شرس مشاكس ومؤذي (وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ) والحال أن الإنسان يُفترض به كلما اقترب من الموت أكثر أن يقترب من التوبة ويداد إقبالاً على الله بالطاعة والعبادة والتهيؤ لآخرته.

(عَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ) وإذا فسد العالم فسد العالم، وإذا كان الإيمان غير مستحکم في قلب هذا العالم، وظاهر خير وباطنه شر، يُظهر التقوى والصلاح وهو كتلة من الفساد، في الوقت الذي تُنَاط به هداية الناس ويدلهم على الله، فإن آثار حركته التدميرية ستكون واسعة جداً (وَقَارِئُهُمْ مُمَازِقٌ) غير مخلص في ارتباطه بالقرآن الكريم قراءةً وحفظاً وتعلماً وتعليماً، فأهدافه شخصية ترتبط بالمال والشهرة والجاه، والحال أن القرآن هو أوّل وأهم مصدر للمعرفة الإيمانية والشرعية والأخلاقية والحكمية، وهو الثقل الأكبر الذي تركه النبي بين ظهرانينا للهداية، فكيف سيكون حال الناس بينما يكون حال حملة كتاب الله بهذه الصورة؟

(لَا يُعْظَمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ، وَلَا يَعْوَلُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرُهُمْ) وهذه انعكاسات أخرى لهذا الانحراف.

إننا بحاجة إلى وقفة مراجعة للمعايير التي من خلالها نقيس الأمور ونقيّم بها ما حولنا، لأن كثيراً من هذه المعايير تداخلت في وضعها الأهواء والعصبيات والمفاهيم الخاطئة، ولنتذكر أن الكلمة مسئولية في مصداقيتها ومنطلقاتها وغاياتها.

الخطبة الثانية

نهج البلاغة في عيون وزارة الإعلام

أثير مؤخراً موضوع صدور منع من وزارة الإعلام لكتاب «نهج البلاغة» الذي جمع فيه الشريف الرضي شيئاً مما روي من خطب ورسائل وحكم الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام».

وتبيّن من خلال التدقيق في الأمر أن المنع صادر بحق موسوعة مؤلفات الشريف الرضي وهي تحتوي على مجموعة كتب، ومن بينها كتاب نهج البلاغة.. بالإضافة إلى وجود منع صادر قبل بضعة سنوات بحق نسخة نهج البلاغة المتضمنة تعليق وشرح مفتي الديار المصرية الأسبق الشيخ محمد عبده، دون سواها من النسخ الأخرى. وفي الموردين كان سبب المنع هو ذكر أسماء الصحابيين طلحة والزبير بالإضافة إلى أم المؤمنين عائشة على أنهم هم المعنيون في الفقرة الفلانية التي تحدث فيها الإمام علي «عليه السلام» بصورة ناقدة في بعض خطبه. ولي وقفة مع هذا الموضوع المثير للحساسيات، لاسيما ونحن على أبواب شهر محرم وموسم المجالس الحسينية.

أولاً، أجدد تأكيد المتكرر بأنني ضد الإساءة إلى رموز ومقدسات الآخر، والتزامي بفتوى مرجعياتنا الدينية التي صرّحت بحرمة ذلك، وبالقانون الكويتي الصادر بهذا الشأن، وبحكم العقل القاضي بضرورة الترفع عن الأساليب الهابطة والاستفزازية عموماً.

ثانياً، لا أدري كيف يفوت وزارة الإعلام، أنه لا يمكن التعامل مع الكتب والموسوعات التراثية بهذه الطريقة من التقييم، وأنه لو أريد تطبيق نفس المعيار المذكور آنفاً بحقتها، فسيلزم من ذلك منع كم هائل من المصادر التراثية، بحيث لن يبقى في قائمة المسموح منها إلا النادر. ولا أتحدث هنا عن الكتب الشيعية، بل عن عموم المصادر الإسلامية.

□ أمثلة من المصادر التراثية:

وخذ الأمثلة التالية:

١- موسوعة تاريخ الطبري أشهر من نار على علم، وأشهر موسوعة تاريخية تراثية إسلامية. ينقل الطبري في تاريخه «ج ٣، ص ٤٧٥» الخبر التالي عن الرجل الذي اشتري منه الجمل وقُدِّم لأم المؤمنين عائشة في مسيرها إلى العراق، حيث يشرح فيه كيف اشتري منه الجمل ومرافقته للقوم ليدلّهم على الطريق، إلى أن قال: (... طرَقْنَا مَاءَ الْحَوَابِ فَنَبَحْتَنَا كَلَابُهَا. قالوا: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قلت: مَاءُ الْحَوَابِ. قال: فَصَرَخْتُ عَائِشَةُ بِأَعْلَى صَوْتِهَا، ثُمَّ ضَرَبَتْ عَصْدَ بَعِيرِهَا فَأَنَاخَتْهُ، ثُمَّ قَالَتْ: أَنَا وَاللَّهِ صَاحِبَةُ كَلَابِ الْحَوَابِ طَرَوْقًا) لَيْلًا (رَدُّونِي. تقول ذلك ثلاثاً. فَأَنَاخَتْ، وَأَنَاخُوا حَوْلَهَا وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَهِيَ تَأْبَى، حَتَّى كَانَتْ السَّاعَةُ الَّتِي أَنَاخُوا فِيهَا مِنَ الْغَدِ، فَجَاءَهَا ابْنُ الزَّبِيرِ فَقَالَ: النِّجَاءُ النِّجَاءُ، فَقَدْ أَدْرَكَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. قال: فَارْتَحَلُوا وَشْتَمُونِي، فَانْصَرَفْتُ). وتحذير النبي «صلى الله عليه وآله» زوجاته من أن تكون إحداهن صاحبة الحوَابِ قضية معروفة.

وبعد صفحتين يروي الطبري: (أن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سَرِفِ) منطقة تبعد ١٢ كم شمال غرب مكة المكرمة (راجعة في طريقها إلى مكة، لقيها عَبْدُ بْنُ أُمِّ كَلَابٍ، وَهُوَ عَبْدُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، يُنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ، فَقَالَتْ لَهُ: مَهَيْمٌ؟) مَا شَأْنُكَ أَوْ مَا وَرَاءُكَ؟ (قال: قَتَلُوا عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَمَكْتُوا ثَمَانِيًا. قالت: ثُمَّ صَنَعُوا مَاذَا؟ قال: أَخَذَهَا أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِالْاجْتِمَاعِ فَجَازَتْ بِهِمُ الْأُمُورَ إِلَى خَيْرِ مَجَازٍ، اجْتَمَعُوا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. فقالت: وَاللَّهِ لَيْتَ أَنَّ هَذِهِ انْطَبَقَتْ عَلَى هَذِهِ إِنَّ تَمَّ الْأَمْرُ لَصَاحِبِكِ!) أَيُّ عَلِيٍّ (رَدُّونِي رَدُّونِي. فانْصَرَفَتْ إِلَى مَكَّةَ وَهِيَ تقول: قَتَلَ وَاللَّهُ عَثْمَانُ مَظْلُومًا، وَاللَّهُ لَأُطْلِبَنَّ بَدْمَهُ. فقال لها ابْنُ أُمِّ كَلَابٍ: وَلَمْ؟

فوالله إنَّ أوَّل مَنْ أَمَالَ حرفَه) أي خالفه (لأنَّ! ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعلًا فقد كفر. قالت: إنهم استتابوه، ثم قتلوه، وقد قلتُ وقالوا، وَقُولِي الأخير خيرٌ من قولي الأول. فقال لها ابنُ أمِّ كلاب) وذكر الطبري أبياتاً من الشعر ثم قال: (..... فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد، فقصدت الحجر، فسُتِرت، واجتمع إليها الناس فقالت: يا أيها الناس، إنَّ عثمان «رضي الله عنه» قُتِلَ مظلوماً، ووالله لأُطلبنَّ بدمه).

□ مئات الأمثلة:

فمثل هذه الروايات، وهي مجرد مثال بسيط ضمن مئات الأمثلة في تاريخ الطبري تستدعي وفق معيار وزارة الإعلام منع هذه الموسوعة، لما فيها من روايات تذكر أم المؤمنين والصحابة بسوء.. ومثل تاريخ الطبري، تاريخ ابن كثير، وابن الأثير، وابن خلدون، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، والإصابة في تمييز الصحابة، وفتوح البلدان، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، والمستدرك على الصحيحين، ومعجم الطبراني، وسنن النسائي، وتفسير الطبري، بل وبما في ذلك كتب الصحاح.. والقائمة تطول وتطول.

ولو أحب أحدُ الاطلاع على شواهد من هذه الكتب فيها إساءات وفق المعيار الذي اعتمدته وزارة الإعلام لمنع الكتابين المذكورين، فأنا على استعداد لإرشاده بهذا الخصوص. إلا أنَّ هذا لا يخدم أحداً، ولا يصح التعامل مع كتب التراث الإسلامي ككتب التفسير والحديث والتاريخ والأدب بهذه الصورة الساذجة.

□ تعامل أكثر نضجاً:

ولذا أتصور أنَّ وزارة الإعلام بحاجة إلى تعامل أكثر نضجاً وواقعية واحترافية مع مصادر التراث.. ولو أرادت أن تلقي الكرة في ملعب وزارة الأوقاف على اعتبار أنها المعنية في مراجعة الكتب الدينية، فعزرها غير مقبول، لأنَّ وزارة الأوقاف كما هو معلوم تقيِّم الكتب من منظور مذهبي أحاديّ التوجُّه، بينما كان التوافق في تشكيل لجنة مراجعة الكتب في وزارة الإعلام قائماً على مراعاة التنوع المذهبي والفكري والثقافي في ذلك.

هذا الموضوع يجرنا إلى موضوع آخر غير بعيد عنه، وهو منع الخطباء

الحسينيين من ارتقاء المنبر في ما لو ثبت أنهم خالفوا قانوني حماية الوحدة الوطنية، وتنظيم المرئي والمسموع. بعد المنع الذي وقع في العام الماضي لبعض الخطباء، وبحسب نقل بعض الأعداء الذين بحثوا هذا الموضوع بشكل مباشر مع الجهة المعنية في الدولة، فقد تم الاتفاق على عدم محاسبة أي من الخطباء على ما صدر عنهم قبل إقرار قانون المرئي والمسموع، أي قبل خمس سنوات تقريباً. ونتمنى أن يتم الالتزام بذلك، لئلا يتكرر ما حصل في العام الماضي، ولئلا تُثار الساحة الشيعية مجدداً بمثل هذه الإجراءات، فالجميع في غنى عن ذلك.

□ مسئولية الخطباء:

وعلى الخطباء أيضاً تحمّل مسئوليتهم الشرعية والقانونية والوطنية – لمن كان منهم من المواطنين – بالالتزام بما جاء عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام»: (وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حرب صفين، فأرسل إليهم أن كفوا عما يبلغني عنكم. فأتوه فقالوا: يا أمير المؤمنين، ألسنا مُحَقِّقِينَ؟ قال «عليه السلام»: بلى. قالوا: أليسوا مُبْطِلِينَ؟ قال «عليه السلام»: بلى. قالوا: فلم منعنا من شتمهم؟ فقال «عليه السلام»: إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين شتامين لعائنين تشتمون وتبترؤون، ولكنكم لو وصفتُم مساوئ أعمالهم، وذكرتم حالهم وسيرتهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، ولو قُلتُم مكان سبِّكم ولعنكم إيَّاهم وبراءتكم منهم: «اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوِي عن الغيِّ والعُدوانِ مَنْ لهجَ به»، لكانَ هذا أحبَّ إليَّ، وخيراً لكم). ليس فقط في موسم محرم، بل على طول الخط.. فهذا هو نهج علي «عليه السلام»، والتشيع له ليس مجرد عنوان وشعار.

□ مسئوليتنا تجاه الموسم الحسيني:

فلنجعل من الموسم الحسيني السنوي مناسبة لعرض المبادئ والقيم التي حملتها النهضة الحسينية في الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحكيم كتاب الله «عز وجل» والسَّير على سنة رسوله «صلى الله عليه وآله» والاقتداء بالعترة الهادية، وبلغة حضارية راقية، لتكون هذه المناسبة مناسبة بناة وهادفة، ولتمثّل رافداً آخر من روافد قوة المسلمين وعزّتهم، لا سبباً في فرقتهم وتمزيق صفوفهم،

فالحسين «عليه السلام» ليس حَكَراً لأحد، ولم يُوْطَّر حركته في إطارٍ مذهبيٍّ معيّن.. ودعوة للمتربّصين والمتربّصين بهذا الموسم، تعالوا نكامل الموسم العاشورائي بمشاريع وحدوية يلتقي فيها السنّي بالشيعي إيماناً منهما بأنّ الحسين حبيبُ رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسيدُ شبابِ أهل الجنة والشهيدُ في طريق الحق، بدلاً من أن تُستنزَف الجهود في المواجهات الكلامية، والكلمات الهدّامة، والمواقف الاستفزازية التي لا يربح منها أحدٌ شيئاً.. فلنجتمع على كلمة سواء.. فالكلمة الطيبة أصلها ثابت، وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وأما الكلمة الخبيثة فما لها من قرار.





الخطبة الأولى

ما زادهم إلا إيماناً وتسليماً

قال «عز وجل» في كتابه الكريم: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنَّ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ «الأحزاب: ١٠-١١».

في سورة الأحزاب، يُقدِّم القرآن الكريم صورتين لموقفين متضادين في جيش النبي «صلى الله عليه وآله»، وفي واحدة من أصعب وأشد الظروف التي مرَّ بها المسلمون، والمتمثلة في المواجهة مع جيش ضخّم متنوع التشكيل، هو جيش الأحزاب في يوم الخندق.

الصورة الأولى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا، وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا، وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ «الأحزاب: ١٢-١٤».

وأما الصورة الثانية فكانت: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ «الأحزاب: ٢٢-٢٣».

فقسم يفقدون الثقة بالله، وتُعبّر الآية عما دار في عقولهم بقولها: ﴿وَنُظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا﴾، ومجموعة تتخلى في أشد الظروف عن مسؤوليتها، وتعيش كل القلق والخوف، ويتضعع إيمانها في أهم مكُوناته، وهو التوحيد بحيث أنهم لو: ﴿سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ الشرك ﴿لَاتُوهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾. وهكذا فقدوا الثقة بالله ونسبوا له ما لا يليق: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾!

ومجموعة أخرى تعتبر أن الموقف تصديق للوعد الإلهي كما في قوله «عز وجل»: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ «البقرة: ٢١٤». فهم يدركون ويوقتون أن هذه هي سنة الله في طبيعة الصراع بين الحق والباطل. وتصديقهم هذا ترجموه إلى موقف عملي، ولم يتوقف عند حد التصديق الفكري، وتمثّل في الثبات والاستعداد للتضحية: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ أي هذا الموقف العصيب ﴿إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

ثم إن موقف المتخاذلين من المنافقين والذين في قلوبهم مرض لم يُتَبَط هذه المجموعة، ولم يصرفهم عن تحمّل مسؤولياتهم، ولم يفت في عزائمهم، لأنهم تعلموا الدرس القرآني جيداً. فقد أخبرهم القرآن الكريم من قبل عن صورة قريبة مما هم عليه من حال الانقسام وخذلان البعض عند مواجهة عدو قوي ومتحد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ «البقرة: ٢٤٦».

وخرجت هذه الفئة القليلة بقيادة طالوت، واختبرهم بعدم الشرب من النهر وهم عطاشى: ﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَم مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ «البقرة: ٢٤٩». وهكذا تساقطت فئة بعد فئة طوال هذا الاختبار الصعب، ولم يتبق من ذلك الملاء إلا الثلاثة التي صبرت إلى نهاية الطريق ففازت.

هذه واحدة من فوائد تقديم هذه الصور التاريخية في القرآن.. تحقيق البصيرة في سنن التاريخ.

نفس هذه الصورة المتناقضة نجدها في مسير الإمام الحسين «عليه السلام» من المدينة، فمكة، فالعراق.. فمال الذي جرى؟ وما هو الدرس المستفاد من ذلك.. هذا ما سنتحدث عنه في الخطبة التالية بإذن الله «تعالى».

الخطبة الثانية

هكذا يكون القادة

ذكرت في الخطبة الأولى أن الحسين «عليه السلام» واجه في مسيره إلى العراق حالة شبيهة لما واجهه طالوت في مواجهة جيش جالوت، ولما واجهه النبي «صلى الله عليه وآله» في يوم الأحزاب. فقد خرج الإمام الحسين «عليه السلام» من مكة المكرمة بعدد يقارب المائة شخص، ثم في الطريق إلى العراق التحق به المئات.. فلماذا لا نجد لهم ذكراً في يوم الطف؟

روى الشيخ المفيد في «الإرشاد» عن رجلين من بني أسد كيفية قدومهما على الإمام «عليه السلام» وإخبارهما له عما جرى في الكوفة لمسلم: (فأقبلنا حتى لحقنا الحسين صلوات الله عليه فسايرناه حتى نزل الثعلبية مُمسياً) قال أبو علي ابن رُسته «ت ٣٠٠هـ تقريباً» في كتابه «الأعلاق النفيسة»: «مدينة عليها سور وفيها حمامات وسوق، وهو ثلث الطريق إلى مكة أي للقادم من الكوفة...» وهي بحسب طريق القوافل آنذاك تبعد ٤١٦ كم تقريباً عن الكوفة. (فجئناه حين نزل فسلمنا عليه، فردّ علينا السلام، فقلنا له: رحمك الله، إن عندنا خبراً، إن شئت حدثناك علانية، وإن شئت سراً، فنظر إلينا وإلى أصحابه ثم قال: ما دون هؤلاء ستر).

ونقلا له ما علماه من مقتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة فقال «عليه السلام»:

(إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمة الله عليهما. يكرر ذلك مراراً، فقلنا له: نُنشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة) أي أنصار (بل نتخوف أن يكونوا عليك. فنظر إلى بني عقيل فقال: ما ترون؟ فقد قُتل مسلم. فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا أو ندوق ما ذاق، فأقبل علينا الحسين «عليه السلام» وقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء. فعلمنا أنه قد عزم رأيَه على المسير، فقلنا له: خار الله لك، فقال: رحمكما الله. فقال له أصحابه: إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عقيل، ولو قُدمت الكوفة لكان الناس إليك أسرع) أي لديك من المقومات ومن الشعبية والولاء بين الناس ما هو أكبر بكثير مما كان لمسلم، وعليه فإن احتمالات نجاحك في الكوفة فيما أنت عازم عليه كبيرة (فسكت)، ثم انتظر حتى إذا كان السحر قال لفتيانَه وغلماَنه: أكثرُوا من الماء. فاستقُوا وأكثرُوا ثم ارتحلوا، فسار حتى انتهى إلى زُبالة). قال الحموي في «معجم البلدان»: «منزل معروف بطريق مكة من الكوفة، وهي قرية عامرة بها أسواق بين واقصة والثعلبية»، وذكر ابن رُسته: «ماؤها كثير ومستنقع في واد يوجد به الماء في الشتاء والصيف». وهي تبعد ٢٨٨ كم عن الكوفة تقريباً (فأتاه خبر عبد الله بن يقطر) وكان حامل رسالته إلى الكوفة، فألقي القبض عليه وقتله ابن زياد (فأخرج إلى الناس كتاباً فقرأه عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإنه قد أتانا خبرٌ فضيع، قُتل مسلم بن عقيل، وهانيء بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا) أي الذين وعدونا بالنصرة والاتباع ضد الأمويين (فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف غير حرج، ليس عليه ذمام) أي لن أطالب الذين يختارون الانصراف بشيء.

❑ فشل ذريع:

كان هذا الاختبار الأول في الطريق إلى المواجهة بين الحق والباطل، فسقط فيه كثيرون حيث لم يتحملوا مسئوليتهم في المواجهة، وانكشفت حقيقة دوافعهم.

هؤلاء لم يكن دافعهم نصره الحق ودفع الظلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل كانت غاياتهم شخصية.. مجرد مطامع شخصية، فحين انكشفت الصورة وتبين لهم أن احتمالات حصولهم على تلك المطامع قد ضعفت بشكل كبير حيث تغيرت موازين القوى، انكفأوا على وجوههم مولين: (فتفرق الناس

عنه، وأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، ونفراً يسير ممن انضوا إليه) أي من الطريق (وإنما فعل ذلك، لأنه «عليه السلام» علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه وهم يظنون أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله) وبالتالي سيحصلون على الغنيمة فقط ودون تضحيات (فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون) ولم تكن للحسين حاجة في هذا النموذج الذي سيخذه في الشدة.

□ موقف آخر:

هذا مشهد ومشهد آخر في ليلة العاشر من المحرم حين جمع الإمام الحسين «عليه السلام» كل أصحابه وأهل بيته وقال لهم: (اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبر ولا أذكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم في حل من بيعتي ليست لي في أعناقكم بيعة ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً).

في الموقف السابق، بمجرد أن قال: (فمن أحب منكم الانصراف فليصرف غير خرج، ليس عليه ذمام) تفرق عنه أهل الدنيا وأصحاب المطامع. أما في هذا المشهد فكان الأمر مختلفاً تماماً، لأن تلك الليلة الباقية من أنصاره الذين سمعوا هذا الكلام كانوا من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ولم يزدادوا إلا بصيرة وإصراراً وعزيمة، فقال مسلم بن عوسجة: (أنحن نخلي عنك ولما نعوذ بالله في أداء حقك؟) وقال سعيد بن عبد الله الحنفي: (والله لو علمت أنني أقتل ثم أحيا ثم أحرقت ثم أذر ويفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك) وقول زهير بن القين: (والله لو ددت أنني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع - بذلك - القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك).

□ صراحة القائد ووضوح أمره:

خطاب الإمام الحسين «عليه السلام» في ليلة عاشوراء بأصحابه وما عرضه عليهم يؤكد ضرورة أن يكون من يجعل نفسه في الموقع القيادي صريحاً مع قواعده، واضحاً في مسيرته، صادقاً في أقواله، وإن كان ذلك قد يكلفه أحياناً ضريبة ما، إلا أنه سيفوز بالتفاف الصادقين حوله إلى درجة الاستماتة في نصرته.

وفي عهد أمير المؤمنين علي «عليه السلام» لمالك الأشر: (وإن ظننت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرِكَ) ابرز لهم، وبيّن عذرِكَ فيه، وأصحر: أظْهر، من البروز في الصحراء (واعدلْ عنكَ) نَحَّ عنكَ (ظنونهم بإصْحارك، فإن في ذلك رياضةً منك لنفسِكَ) تعويداً لنفسِكَ على العدل (ورفقاً برعيتِكَ، وإعذاراً) تقديم العذر أو إبداءه (تبلغ به حاجتَكَ من تقويمهم على الحق).

□ فقدان الثقة بالقيادة:

هكذا كان الإمام الحسين «عليه السلام» صريحاً وواضحاً في بيان حقيقة الأوضاع وحراجة الموقف، وأعطى أنصاره الحرية في اتخاذ الموقف الذي يرتأونه، وهذا هو أسلوب الحسين، الصراحة.. ولنا أن نسأل: كم هي صريحة وواضحة في هذا العصر تلك القيادات الإسلامية وغير الإسلامية والشخصيات العامة التي تمثل الأمة وتتكلم باسمها وتخطط لمستقبلها والعاملة في الساحة؟ فالأمة التي لا تعيش الوضوح، معرضة لأن تترنح في حالة من التخبُّط والضياع، حيث يسهل أن تُخدع بالكلمات والوعود الزائفة، فالحياة مليئة بالذين يُتقنون فنَّ التمثيل بالكلمات... والذين يسقطون ضحايا تلك الكلمات والوعود الزائفة كثيراً!

كما أن مثل هذه الأمة معرضة بمرور الوقت وتراكم السلبيات لأن تفقد ثقتها بقياداتها فتبحث عن البديل، أو أن تنكفي على نفسها ولا تجد لحضورها كثير فائدة، وحينها تكون الخسارة كبيرة ويصعب تعويضها.





الخطبة الأولى

الأخلاق في حنايا الثورة الحسينية

عن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنه قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). فللأخلاق في شخصية وحركة الإنسان المسلم في الحياة الأهمية الكبيرة والحيوية، سواء أكان في مواطن الأمن والدعة والرخاء، أم كان في أوقات التحدي والمواجهة والصراع.

وقد كانت للأخلاق الرفيعة للإمام الحسين «عليه السلام» تجلياتها الرائعة في أجواء كربلاء، بكل ما حملته تلك الأجواء من أخبار سيئة مُحِبِّطَةٌ تَمَثَّلَتْ في وصول نبأ استشهاد مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة وعبد الله بن يقطر.

وبكل ما حملته من مواقف الخذلان المتمثلة في تبدل موقف الكوفيين، وفي الانسحاب الكبير من قبل النفعيين الذين سايروا الإمام وهم يتصورون أنهم سائرون لقطف ثمار انتصار سهل في بلد سلم قيادته طوعية للإمام «عليه السلام». وبكل تعقيدات المعركة التي تمثلت في المواجهة غير المتكافئة عدداً بين طرفي المعركة.. وغير ذلك.

كل هذه الظروف لم تسليخ الإمام الحسين «عليه السلام» عن أخلاقه الرفيعة، لأنها جزء لا يتجزأ من شخصيته العظيمة.

فقد تَمَثَّلَتْ أخلاقه مع نفسه، التي كان حريصاً عليها، لأنها أمانة الله عنده، من خلال حرصه على أن لا يعرضها للذل والهوان، وأن يؤكد سمو نفسه وعظمتها،



وفي الحديث عن الإمام الصادق «عليه السلام»: (إنَّ الله فَوَّضَ للمؤمن أمورَه كلها ولم يفوِّضَ إليه أن يذلَّ نفسه).

فقد رفض الإمام الحسين «عليه السلام» أن يبيع نفسه إلا بالثمن الأعلى الذي تستحقه وهو الجنة، وكان قوله الخالد: (إلا أن الدَّعي ابن الدَّعي قد ركز بين اثنتين، بين السَّلة والذِّلة، وهيهات منا الذِّلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون). وتجلت أخلاقه الرفيعة في علاقته مع أصحابه، وقد خاطبهم في ليلة العاشر في الظرف العصيب الذي يبحث فيه القائد عن الأنصار: (إن هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي فإن القوم لا يريدون غيري). لئلا يحملهم مسؤولية استحياء منه أو خوفاً.

وتجلت أخلاقه كأروع ما يكون في علاقته مع أعدائه حين التقى بجيش الحر، فأمر أصحابه بأن يسقوهم الماء ويرشفوا خيولهم، وكلاهما يقطعان الطريق في مفاوز قفار سحيقة، لا يُفرط فيها أحدُ بقطرة ماء، في لمحة إنسانية ملائكية ينذر أن يكون لها نظير في تاريخ البشرية.

ومن هنا فإن على من يقتدي بسيد الشهداء أن يؤصل الأخلاق في شخصيته وفي حركته، لتكون جزء لا يتجزأ منها، حاضرة في الشدة والمحنة كما تحضر في الرخاء والأمن، ليكون الإنسان المؤمن في حياته وسيرته وعطاءه وتفاعله الاجتماعي كما صورته الآيات الشريفة الآتية: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، إِلَّا الْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّومَ الدِّينِ، وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ «المعارج: ١٩-٣٥».

الخطبة الثانية



بين جيفارا والإمام الحسين

منذ سنوات بعيدة - وما زلت - أشاهد أيقونة «تشي جيفارا» على ثياب الشباب وبعض مقتنياتهم وعلى الجدران وفي منتديات الحوار، وكنت أتساءل في نفسي: ما الذي يدفع الشباب في العالم، بما فيهم المسلمون، إلى الحرص على استحضار هذه الشخصية بصورة أو بأخرى؟

طبيب من أصل أرجنتيني، عُرف بشخصيته الثورية، وتبلورت ثوريته بشكل كبير عندما كان في سنته الأخيرة في كلية الطب وسافر إلى أنحاء من أمريكا اللاتينية على دراجة نارية، وتلمّس عن قرب الظلم الكبير الواقع من الرأسماليين والإقطاعيين على المزارعين والفقير المتوطن هناك.

وهكذا انضم إلى الثورة الكوبية بقيادة فيدل كاسترو، وكان قائداً ميدانياً لحرب العصابات، وأصبح الرجل الثاني في القيادة، ثم وزيراً في حكومة كوبا بعد نجاح الثورة، وصار يجوب أنحاء متفرقة من العالم بما فيها بعض البلدان العربية، داعياً لمبادئ الثورة الماركسية التي آمن بها. وفي آخر سنتين من عمره استقال من مناصبه الرسمية، وتحول إلى خبير لحرب العصابات في عدد من البلدان، إلى أن أُلقي القبض عليه في بوليفيا وأعدم في سنة ١٩٦٧ عن ٣٩ سنة.

لعل أهم ما جعل جيفارا خالداً في ثقافة الشباب حول العالم هي تلك الشعارات والكلمات التي أطلقها وتضمنت في كثير من الأحيان مفاهيم إنسانية راقية، وذلك من قبيل: (لا يهمني متى وأين سأموت.. لكن يهمني أن يبقى الثوار منتصبين، يملأون الأرض ضجيجاً، كي لا ينام العالم بكل ثقله فوق أجساد البائسين والفقراء والمظلومين).

(إذا فُرضت على الإنسان ظروف غير إنسانية ولم يتمرد، سيفقد إنسانيته شيئاً فشيئاً).

(أحلامي لا تعرف حدوداً.. كل بلاد العالم وطني وكل قلوب الناس جنسيتي..)

إنَّ حَبِيَّ الحَقِيقِي الَّذِي يَرَوْنِي هِيَ الشَّعْلَةُ الَّتِي تَحْتَرِقُ دَاخِلَ الْمَلَايِينِ مِنْ بَأْسِي
العالم المحرومين.. شُعْلَةُ البَحْثِ عَنِ الحُرِيَّةِ وَالْحَقِّ وَالْعَدَالَةِ).

(لَا تُحْمَلُ الثُّورَةُ فِي الشِّفَاهِ لِيُثَرِّثَ عَنْهَا، بَلْ فِي الْقُلُوبِ مِنْ أَجْلِ الشَّهَادَةِ مِنْ
أَجْلِهَا).

□ كَلِمَاتٌ مَعْبَرَةٌ:

لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الشَّعَارَاتِ وَالْعَنَاوِينَ تَدْعُو عُقُولَ وَقُلُوبَ الْبَاحِثِينَ عَنِ الحُرِيَّةِ
وَالْعَدَالَةِ وَالْحَقِّ. مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَنَاقِشَ الْبَعْضُ فِي فِكْرِهِ الْمَارْكَسِي، وَحَوْلَ بَعْضٍ مِنَ
قَرَارَاتِهِ الثُّورِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ تِلْكَ الصُّورَةَ الثُّورِيَّةَ الْمُضْهِئَةَ مِنْ أَجْلِ الْقَضِيَّةِ وَالْمَبَادِيءِ
الَّتِي آمَنَ بِهَا وَالَّتِي خُتِمَتْ بِإِعْدَامِهِ، وَمُضَامِينِ شَعَارَاتِهِ، اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَجْعَلَ مِنْهُ
رَمْزًا لِكَثِيرٍ مِنَ الشَّبَابِ، وَإِلَى هَذَا الْيَوْمِ. فَهَلْ نَجَحْنَا فِي تَسْوِيقِ شَخْصِيَّةِ الْإِمَامِ
الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وَثَوْرَتِهِ وَتَضَحِيَّاتِهِ عَالَمِيًّا؟

جِيفَارَا تَحَدَّثُ عَنْ عَنَاوِينَ الحُرِيَّةِ وَالْحَقِّ وَالْعَدَالَةِ وَالْإِثَارَ وَمُوَاجَهَةِ الْفَاسِدِينَ
وَالظَّالِمِينَ وَتَغْيِيرِ الْوَاقِعِ الْبَائِسِ وَالشَّهَادَةِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ، وَرَفْعِهَا فِي شَعَارَاتِهِ،
وَعَمَلَ عَلَى تَحْقِيقِهَا وَفَقَ عَقِيدَتَهُ الْخَاصَّةَ، وَكُلَّهَا حَاضِرَةٌ - وَبِقُوَّةٍ - فِي تَفَاصِيلِ
الثُّورَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ، وَفِي شَعَارَاتِهَا، وَفِي خُطَابَاتِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»... وَلَكِنْ
إِلَى أَيِّ مَدَى نَجَحْنَا فِي تَسْوِيقِهَا عَالَمِيًّا؟

□ كَيْفَ تَحَدَّثُ الْحُسَيْنُ؟

أَلَمْ يَقُلِ الْحُسَيْنُ «عَلَيْهِ السَّلَامُ» حِينَ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ: (وَإِنِّي لَمْ أَخْرَجْ أَشْرًا وَلَا
بَطْرًا وَلَا مَفْسَدًا وَلَا ظَالِمًا، إِنَّمَا خَرَجْتُ لَطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِيدٍ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»
أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأُسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ، فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرْ حَتَّى
يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ).

أَلَمْ يَقُلْ حِينَ قَطَعَ عَلَيْهِ الْحَرَّ الرِّيحَ الطَّرِيقَ نَحْوَ الْكُوفَةِ: (أَلَا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ
لَا يُعْمَلُ بِهِ، وَأَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ رَبِّهِ مُحَقَّقًا، فَإِنِّي لَا
أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً وَالحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرْمًا).

ألم يقل يوم العاشر من المحرم مخاطباً الجيش الأموي: (إن لم يكن دين
وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه).

□ أعظم قربان:

وهذه مجرد نماذج من الكلمات.. وتُضاف إليها الأفعال التي برهنت مصداقية
الحسين «عليه السلام» وأهل بيته وأنصاره.. رجالاً ونساءً.. كباراً وصغاراً.. سواء في
البطولة، أو التضحية، أو الإيثار، أو القيم الإنسانية التي من النادر أن تتجلى في
مثل هذا الموقف العصيب، وسواء في ميدان القتال أو في المرحلة التي سبقت أو
أعقبت ذلك.

وكل إنسان منصف وصاحب مبادئ عندما اطلع على تفاصيل الثورة الحسينية
لم يملك إلا أن يُبدي انبهاره بها، وأن يستهدي بها، بغض النظر عن دينه ومعتقداته.

كان الحسين «عليه السلام» أعظم قربان شهدته مذابح الفضيلة.. دمه الزاكي
الذي روى أرض الطف غداً نبضاً دافقاً يملأ قلب الزمن، وقبساً مشرقاً في كل
ضمير.. وقلوب عشاق الحرية والكرامة والمبادئ تبث في صفحات التاريخ
الإنساني عن مثل هذا الألق الذي يبهّر بإشراقاته أبصاراً المقهورين والمستضعفين
والباحثين عن الأمل في حياة عنوانها العزة والكرامة.. ويوم الحسين لوحة امتزحت
فيها البطولة بالمأساة، والعزة بالحزن، والشجاعة بالدموع، والقوة بالآلم.

ولهذا، كان من المنطقي أن يدخل حب الحسين - بلا استئذان - إلى أفئدة من
عرفوا معاني القيم التي تمسك بها الحسين، والشعارات التي رفعها، والمبادئ
التي من أجلها قدم التضحيات.

□ شهادات خالدة:

حتى قال المسيحي وقد وقف بباب مشهد الحسين «عليه السلام» بكر بلاء: (دخلت
إلى مقام الحسين فصعقت وذهلت.. هو ذا من استشهد فأصبح رمزاً للانتفاض
على الظلم، هو ذا من استشهد في سبيل العدل، وترك الملايين تتطلع إليه مثلاً
للإنسان الذي أفنى جسده في سبيل الكمال البشري.. بعد ربع ساعة وجدت نفسي
أبكي ثم أبكي ثم أبكي).

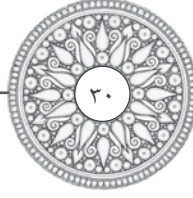
واندفع الشاعرُ الألبانيُّ «نعيم بك فراشري» قبلَ أكثرِ من مائة عام ليكتبَ
«ملحمة كربلاء» في عشرة آلاف بيتٍ من الشعر.

وليقل مستشرقٌ: (قدَّمَ الحسينُ للعالمُ درساً في التضحية والفداء.. وأدخلَ
الإسلامَ والمسلمين إلى سجل التاريخ.. ولقد أثبتَ هذا الجنديُّ الباسلُ في العالم
الإسلامي لجميع البشر أنَّ الظلمَ والجورَ لا دوامَ له، وأنَّ صرْحَ الظلمِ مهما بدأ
راسخاً وهائلاً في الظاهر، إلا أنه لا يَعدو أن يكونَ أمامَ الحقِّ والحقيقةِ إلا كريشةً
في مهبِّ الريح).

□ عولمة القضية الحسينية:

إننا أمامُ مسئوليةِ عولمةِ القضيةِ الحسينيةِ بكلِّ أبعادِها الإنسانيةِ وبالطُرُقِ
السليمة، وذلك لما تختزنه هذه الثورة من مقومات ذاتية، تكفل لنا النجاح في
عولمتها، ولكن للأسف فإننا لم نتجح في هذا الإطار إلا قليلاً، حيث لم نعرف كيف
نصل إلى الآخر من خلال ذهنيته وثقافته ولغته، واكتفينا في أغلب الأحيان بأن
ندور في فلكنا الخاص، أو أن ننطلق بصورة خاطئة من خلال الإصرار على أساليبنا
الخاصة في إحياء الذكرى والمتناسبة مع ثقافتنا دون مراعاة لخصوصيات الآخرين
أو حساسياتهم، أو أن نتقدم بصورة خجولة لا تتلاءم مع القيمة الحقيقية والهائلة
التي تختزنها هذه الذكرى في حيثياتها المتعددة.. فلندرس تجارب الآخرين لنعرف
كيف سوقوا لشخصيات لا تمثل في سيرتها وعناصر حركتها سوى بقعة من ضوء
في سماء الحسين الزاهرة بالنجوم.





الخطبة الأولى

من دعاء الإمام زين العابدين إذا مرض - ١

عندما يمرض الإنسان، فإنه عادة ما يتوجه في دعائه لطلب الشفاء العاجل، وهذا أمر منطقي.. إلا أن الإمام زين العابدين «عليه السلام» يعطي لدعائه في حال المرض أبعاداً أخرى تربوية وروحية وأخروية. ففي الصحيفة السجادية كان من دعائه «عليه السلام» إذا مرض:

(اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا لَمْ أَزَلْ أَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ سَلَامَةٍ بَدَنِي، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْدَثْتَ بِي مِنْ عِلَّةٍ فِي جَسَدِي) الإنسان إذا كان مصاباً في إحدى جوارحه، فإن سائر جوارحه ما زالت تعمل.. والتركيز على الجانب المريض أو المصاب، والتغافل عن الإيجابيات التي ما زال ينعم بها، قد يُفِرّق الإنسان في آلامه، وبيعت على التشاؤم، ويُضعف من عزيمته على مقاومة المرض.. ولا شك أن الحالة النفسية الإيجابية للمريض مهمة جداً.

ومن هنا نجد الإمام «عليه السلام» في مقطع لاحق يعبر عن رضاه بما قسم له، لا بمعنى الاستسلام للمرض، بل بمعنى عدم اليأس من الشفاء، ومواجهة المرض بحالة نفسية قوية وصامدة، والتطلع إلى الإيجابيات المترتبة عليه، والرحمات الإلهية النازلة على المرضى. قال «عليه السلام»: (.... تَخْفِيفاً لِمَا ثَقُلَ بِهِ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الْخَطِيئَاتِ، وَتَطْهِيراً لِمَا انْغَمَسْتُ فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَتَنْبِيهاً لَتَنَاوُلِ التَّوْبَةِ، وَتَذْكِيراً لِمَحْوِ الْحَوْبَةِ بِقَدِيمِ، النُّعْمَةِ، وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ مَا كَتَبَ لِي الْكَاتِبَانِ مِنْ زَكِيِّ

الأعمال، مَا لَا قَلْبَ فَكَّرَ فِيهِ، وَلَا لِسَانَ نَطَقَ بِهِ وَلَا جَارِحَةً تَكَلَّفَتْهُ بَلْ إِفْضَالاً مِنْكَ عَلَيَّ، وَأَحْسَاناً مِنْ صَنِيْعِكَ إِلَيَّ. اَللّٰهُمَّ فَصِّلْ عَلَيَّ مُحَمَّدَ وَآلِهِ وَحَبِّبْ إِلَيَّ مَا رَضَيْتَ لِي، وَيسِّرْ لِي مَا أَحَلَّتْ بِي).

إحدى المستشفيات الأمريكية أجرت دراسة مسحية على المرضى الراقدين فيها، فوجدت أن لدى الثلث منهم أعراض حالة الاكتئاب، مثل الشعور بتدني الحالة الصحية والنفسية، وفقدان الأمل بالمستقبل، وتدني مستوى الاهتمام بما يجري حولهم وبحياتهم، وفقدان الشعور بمتعة فعل أي شيء، والمعاناة من اضطرابات في النوم والشهية للأكل، وبأن هذا الأمر يؤثر بشكل سلبي واضح على المخرجات الإكلينيكية.

تخيّل ردة الفعل الأولى للإنسان عندما يعلم بأنه مصاب بالسرطان.. لاشك أن أول انطباع عنده وأول ما يفكر به هو «الموت».. فالسرطان يعادل الموت في المفهوم العام لدى الناس. ومن يستسلم لهذه الفكرة وتبعاتها، أو يعيش قلق الآثار السلبية القوية للعلاجات المستعملة لمواجهة هذا المرض الخبيث، أو رحلة العلاج الطويلة التي ستؤثر على حياته اليومية، وعلى أوضاعه المادية؛ سيجعل علاجه أشد تعقيداً، وربما يؤثر على شفائه أيضاً.

عدة دراسات أكدت على أن مرضى السرطان الذين يتلقون الدعم النفسي قد أظهروا تحسناً على مستوى الصحة البدنية، وتحسناً في نمط حياتهم. وقد تبلور في القرن العشرين مجال طبي متخصص تحت عنوان «علم المناعة العصبية النفسية» Psychoneuroimmunology ويختصر بعنوان PNI يقوم بدراسة تأثير العمليات النفسية على الجهازين العصبي والمناعي في الإنسان، وتم التوصل إلى نتائج مهمة في هذا المجال.

كنموذج على ذلك، تم إجراء دراسة في إحدى جامعات ولاية أوهايو الأمريكية على ١١٥ من السيدات المصابات بسرطان الثدي في المرحلتين الثانية والثالثة، قُدِّمَ لهنّصْفهن خلال فترة المعالجة الجراحية والدوائية علاج نفسي مساعد على الاسترخاء والإقلال من التوتر، والتكيف مع الانفعال، بينما ترك النصف الآخر من دون تدخل نفسي.

وأثبتت النتائج أمرين مهمين:

١. نسبة هرمونات الانفعال المؤثرة في تثبيط الجهاز المناعي عند المجموعة الأولى أقل بمقدار ٢٥٪ عن الثانية.

٢. الأجسام المضادة التي تقاوم الخلايا السرطانية زادت بنسبة ٢٥٪ عند المجموعة الأولى.

ونج عن ذلك كله قدرة المجموعة الأولى أيضاً على الاستمرار في تلقي العلاج الكيميائي بينما لم تستطع المجموعة الأخرى إكماله بسبب أعراض جانبية مختلفة ظهرت بنسبة أكثر عشر مرات من المجموعة الأخرى، مما يؤثر على احتمالية عودة الورم مرة أخرى.

لقد انطلق الإمام زين العابدين «عليه السلام» في جانب من دعائه هذا من خلال فتح باب الأمل للمريض، بأن لا يركّز فقط على الجانب المرضي في حالته، بل ينظر إلى الجوانب الأخرى التي ما زال يتمتع وينعم بها.. وأن ينظر من حوله إلى مرضى آخرين، ممن هم أسوأ حالاً منه، إذ فقدوا كل إمكانيات الحياة الطبيعية.. وهو ما قد يجنبه بعضاً من الآثار السلبية النفسية والصحية التي يقع كثير من المرضى ضحية لها.. وللحديث تنمة في الأسبوع المقبل بإذن الله «عز وجل».

الخطبة الثانية

نحو عولة الثورة الحسينية

حدثت في المرة الماضية عن ضرورة العمل على عولة شخصية الإمام الحسين «عليه السلام» وثورته المباركة، ضارباً المثل بنجاح البعض في تقديم القائد الماركسي «تشي جيفارا» رمزاً عالمياً للثورة والحرية، لاسيما في الوسط الشبابي.

وكي نترجم تلك الأمنية إلى واقع، لابد من الحديث عن العوامل المتوفرة فعلاً والتي تساعد على نجاحنا في عولة شخصية الإمام الحسين «عليه السلام» وثورته:

١. أهداف الثورة الحسينية، فعناوين «الإصلاح، والكرامة الإنسانية، والعزة، والحرية المسؤولة» حاضرة بكل وضوح في مشاهد الثورة وشعاراتها وخطاباتها. وهي من العناوين الرئيسة التي تستهوي قلوب الناس على اختلاف أعراقهم.. ومن القيم المهمة التي يسعى لتحقيقها الشرفاء على اختلاف أديانهم.. ومن المبادئ الإنسانية الراقية التي تتشدد إليها شريحة الشباب.

٢. حجم ونوعية التضحيات التي قدّمها الإمام الحسين «عليه السلام» في يوم الطف، وتمثّل بمجموعها صورة نادرة في التاريخ، ولا يمكن أن تتحقق إلا على يد شخصية تمتاز بكل المصادقية والعناصر النفسية المطلوب توافرها في الشخصية القيادية التي يطمئن الإنسان ويطمح أن يكون تحت رايتها، أو أن يقدمها للأجيال كنموذج فريد يُحتذى به.

٣. الإمام الحسين «عليه السلام» كان يملك من الإمكانيات الشخصية على المستوى الخطابي، والفكري، ومن النفوذ الاجتماعي والسياسي، والعمق التاريخي، ما يمكنه من التفاوض للحصول على مصالح شخصية..

في الخبر أنه: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ دَعَا الْحُسَيْنُ «عليه السلام» بِرَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا، وَتَقَدَّمَ نَحْوَ الْقَوْمِ وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتٍ يُسْمَعُ جُلُوهُمْ....) فكان فيما قال وهي الخطبة العاشورائية الأولى: (أَيُّهَا النَّاسُ: فَانْشَبُونِي فَانْظُرُوا مَنْ أَنَا؟ ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وَعَاتِبُوا، فَانْظُرُوا هَلْ يَصْلَحُ لَكُمْ قَتْلِي وَانْتِهَاكُ حُرْمَتِي؟! أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ، وَابْنَ وَصِيِّهِ وَابْنَ عَمِّهِ وَأَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَصْدُقِ لِرَسُولِ اللَّهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟ أَوَلَيْسَ حِمَزةُ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ عَمِّي؟ أَوَلَيْسَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ فِي الْجَنَّةِ بِجَنَاحَيْنِ عَمِّي؟ أَوَلَمْ يَبْلُغَكُمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِي وَلِأَخِي: هَذَا سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ فَإِنْ صَدَقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ وَهُوَ الْحَقُّ، فَوَاللَّهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبًا مِنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ يَمَقُّتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَإِنْ كَذَبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مِنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ. سَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِي، وَأَبَا سَعِيدٍ الْخَدْرِي، وَسَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِي، وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ، وَأَنْسَ بْنَ مَالِكٍ، يُخْبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ

إِلَيَّ وَلَاخِي، أَمَا فِي هَذَا حَاجَزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي؟... فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا أَفْتَشْكُونَنِي ابْنَ ابْنِ نَبِيِّكُمْ! فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ابْنُ ابْنِ نَبِيِّ غَيْرِي فَيْكُمْ وَلَا فِي غَيْرِكُمْ).

□ إخلاص الحسين:

كان يمكن له أن يوظف هذه الخصائص التي يتمتع بها كي يحصل على امتيازات ما ويخلص نفسه ومن معه من الموت. وقد عُرِضَ له ذلك في اللحظات العصبية بعد أن قال لهم الكلمات السابقة، فجاءه الرد من قيس بن الأشعث: (انزِلْ عَلَى حُكْمِ بَنِي عَمِّكَ، فَإِنَّهُمْ لَا يُرُونَكَ إِلَّا مَا تَحِبُّ).

فهل قبل الخضوع؟ أبداً، بل صمد أمام ذلك الإغراء، لأن الثمن كان دينه وكرامته وقيمه وآخرته، ولم يكن الحسين «عليه السلام» على استعداد أن يبيع ذلك بأي ثمن. قال: (لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرُّ إقرار العبيد). ثم قال: (الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دارَ فناء وزوال، مُتَصَرِّفَةً بأهلها حالاً بعد حال، فامْغُرُورٌ مِنْ غُرَّتِهِ، وَالشَّقِيُّ مِنْ فِتْنَتِهِ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ) لن تشدني الدنيا إليها.. ولا تسمحوا لأنفسكم بذلك.

٤. خلود الثورة ومبادئها على الرغم من مرور قرابة أربعة عشر قرناً.. حاولوا بكل الطرق أن يُنسوا الناس تلك الثورة، وأن يشوهوا صورتها، وأن يتهموا الحسين بأنه خارجي، وأنه رجل فتنة.

□ محاولات فاشلة:

بل قام بعضهم بمحاولة التخلص نهائياً من المرقد المبارك للإمام والشهداء، وإعفاء آثاره، وقتل وإرهاب زوّاره، وآخرهم المقبور صدام.. فماذا حققوا إلا سواد تاريخهم المخزي... بينما بقي اسم الحسين، وبقيت ثورة الحسين، وبقي أنصار الحسين خلوداً في أبهى صورة وأروعها.

٥. ألهمت ثورة الحسين وشهادته وتضحياته من أجل المبادئ التي آمن بها والشعارات التي تمسك بها الكثير من الباحثين عن الكرامة والتحرر من نير الظالمين والفسادين عبر التاريخ.

□ ثورة التوابين

في تاريخ الطبري أنه: (لما انتهى سليمان بن صرد وأصحابه إلى قبر الحسين نادوا صيحة واحدة: يا رب، إنا قد خذَلْنَا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نُشهدك يا رب أننا على مثل ما قُتلوا عليه، فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. فأقاموا عنده يوماً وليلة يصلُّون عليه ويبكون ويتضرعون، فما انفكَّ الناسُ من يومهم ذلك يترحمون عليه وعلى أصحابه حتى صلوا الغداة من الغد عند قبره، وزادهم ذلك حنقاً، ثم ركبوا، فأمر سليمان الناسَ بالسير، فجعل الرجلُ لا يمضي حتى يأتي قبرَ الحسين، فيقوم عليه فيترحم عليه ويستغفر له. قال الراوي: فوالله لرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود). وكان ذلك في سنة ٦٥هـ.

□ ثورة أبي السرايا:

وهكذا ينقل لنا الأصفهاني في «مقاتل الطالبين» مشهداً من ثورة أبي السرايا مع ابن طباطبا محمد بن إبراهيم أيام حكم المأمون عن رجل من أهل المدائن، قال: (إني لعند قبر الحسين في تلك الليلة، وكانت ليلة ذات ريح ورعد ومطر، إذا بفرسان قد أقبلوا فترجلوا ودخلوا إلى القبر فسلموا، وأطال رجل منهم الزيارة ثم جعل يتمثل أبيات منصور بن الزبرقان النُمري:

نفسى فداء الحسين يومَ عدا إلى المنايا عدواً ولا قافلٍ

إلى أن يقول:

ألا مساعيرَ يَغضبون لها بسلةَ البيض والقنا الذابل

«مساعير: تُحمى بهم الحرب» - «القنا الذابل: الرماح الدقيقة»

ثم إن أبا السرايا خطب: (خطبة طويلة ذكر فيها أهل البيت وفضلهم وما خُصُّوا به، وذكر فعل الأمّة بهم وظلمهم لهم، وذكر الحسين بن علي فقال: أيها الناس، هَبْكُمْ لَمْ تَحْضُرُوا الحسين فتصروه، فما يُعَدُّكم عَمَّنْ أدركتموه ولحِقتموه؟ وهو) أي محمد بن إبراهيم (غداً خارج طالبٌ بثأره وحقه، وتراث

آبائِهِ، وإقامة دين الله، وما يمنعكم من نصرته ومؤازرته؟ إني خارج من وجهي هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله، والذب عن دينه، والنصر لأهل بيته، فمن كان له نية في ذلك فليحق بي). كان هذا في سنة ١٩٩هـ.

□ ثورة يحيى بن عمر:

وفي سنة ٢٥٠هـ اتخذ يحيى بن عمر وهو من أحفاد زيد بن الإمام زين العابدين «عليه السلام» من مرقد الحسين «عليه السلام» نقطة التقاء للتأثرين بعد مقتل المتوكل العباسي، وتحولت زيارة المرقد المبارك إلى ملتقى لجمع شمل الثوار والمعارضين للدولة العباسية آنذاك، ورفعوا شعار «يا لثارات الحسين»، ونجحوا في السيطرة على الكوفة، قال الأصفهاني في «مقاتل الطالبين»: (أظهر) أي يحيى بن عمر (العدل وحسن السيرة بها إلى أن قُتل رضوان الله عليه).

هذه بعض من تلك النماذج التي نجد فيها ارتباطاً روحياً قوياً بين التأثرين وبين الإمام الحسين وثورته، بحيث يتحوّل مرقده وذكرى الطف، لا إلى مناسبة إلى معاقبة النفس بشق الرؤوس وإدماء الأجساد، بل إلى نقطة انطلاق نحو ثورة على الباطل والظلم والفساد.

٦. العدد الضخم للمؤلفات التي كتبت عنه وعن ثورته عبر التاريخ، والنصوص الأدبية التي أبدعت في الحديث عنه وعن ثورته، بل وأنشئت مراكز دراسات خاصة بتلك المصنفات.

٧. العدد الهائل للمؤسسات «الحسينيات» والمجالس التي أقيمت لإحياء ذكرى الإمام الحسين «عليه السلام» عبر القرون، ويكاد نجزم أنه لم يبق بلد على وجه الأرض خلا من مجلس حسيني.

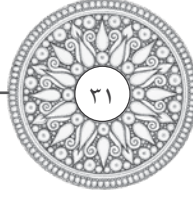
□ أين الخل؟

وعلى الرغم من كل هذه العوامل إلا أننا لم ننجح في عوامة شخصية الإمام الحسين «عليه السلام» وثورته كما نجح غيرنا في عوامة رموزهم الثورية، في الوقت الذي لا يمكننا المقارنة بين الخصائص الشخصية ومميزات الثورة الحسينية من جهة، وبين الآخرين وثوراتهم.

إن الخلل يكمن أحياناً في الرضا بما نحققه في أجوائنا الخاصة من نجاحات باهرة في إقامة الشعائر الحسينية، والإقبال عليها بكثافة؛ ولضيق أفق البعض أحياناً أخرى في تصوّر أنّ إحياء هذه المناسبة العظيمة شأن خاص؛ ولعدم اعتناء البعض بما تحمله الثورة الحسينية من قيم تشترك فيها البشرية، لتركيزهم على البعد العاطفي فقط في إحياء المناسبة، ولوقمنا بدراسة متطلبات ومعايير المنظمات الدولية في مجالات حقوق الإنسان، ومكافحة الفساد، وتحكيم الحريات، لاستطعنّا أنّ نتقدّم بخطوات إيجابية، لا على المستوى الشعبي فحسب، بل وعلى مستوى المنظمات والمؤسسات الدولية المعنية بالقضايا الإنسانية المعاصرة في عالم الفكر والثقافة والسياسة والقانون.

متمنياً على شبابنا الغياري بما عهدنا منهم بإبداعاتهم وطاقاتهم وتعلقهم الكبير بالإمام الحسين «عليه السلام» وثورته أن ينهضوا بهذه المسؤولية على أحسن وجه.





الخطبة الأولى

من دعاء الإمام زين العابدين إذا مرض - ٢

ذكرت في المرة الماضية أن الإنسان عندما يمرض، فإنه عادة ما يتوجّه في دعائه لطلب الشفاء العاجل، وهذا أمر منطقي.. إلا أن الإمام زين العابدين «عليه السلام» أعطى لدعائه في حال المرض والمروي في الصحيفة السجادية أبعاداً أخرى تربوية وروحية وأخروية.

ومن الأمور التي أشار إليها الإمام «عليه السلام» في هذا الدعاء قوله بأن من إيجابيات المرض كونه: (تَبَيُّهَا لَتَنَاولِ التَّوْبَةَ، وَتَذَكِّرُا لِمَحَوِ الْحَوْبَةِ) الخطيئة والاثم (بِقَدِيمِ النُّعْمَةِ) أي التذكير بالنعم التي امتدت خلال حياة الإنسان.

فمن جهة يتذكّر عظيم فضل الله عليه، وما يستوجب به ذلك من الشكر القولي والعملي. ومن جهة أخرى يتذكّر سوء استغلاله لهذه النعم إذ لم يوظّفها في مرضاة الله، وفي ما يحقق له سعادة الآخرة، بل جعلها وسيلة للإقبال على الدنيا، والانشغال بها، وارتكاب الآثام، والتمرد على الله؛ ليكون هذا التذكير دافعاً للتوبة ومحو الآثام.

فعندما يكون الإنسان في حالة مستمرة من الصحة والعافية مع وفرة مالية، فإنه غالباً ما يعيش الغفلة عن المصير الأخروي، وضرورة الإعداد والاستعداد لذلك اليوم الشديد والحاسم. وكما لا يخفى، فإن التوبة من أهم متطلبات هذا الاستعداد.. لذا فإنّ المرض يكون بمثابة نوع من التنبيه والدفع نحو التوبة، إن

لم يكن بدافع الخوف من المصير الأخروي، فعلى الأقل بدافع استجابة الدعاء لتعجيل الشفاء من المرض.

ويعود الإمام في مقطع لاحق للتأكيد على أهمية أن يوظف الإنسان مرضه هذا في الاتجاه الأخروي، على اعتبار أن هذا المصير هو الأهم في حياة الإنسان: (وَأَجْعَلْ مَخْرَجِي عَنْ عَلَّتِي إِلَى عَفْوِكَ، وَمُتَحَوِّلِي عَنْ صَرَعَتِي إِلَى تَجَاوُزِكَ، وَخَلَاصِي مِنْ كَرْبِي إِلَى رَوْحِكَ، وَسَلَامَتِي مِنْ هَذِهِ الشَّدَّةِ إِلَى فَرْجِكَ) وَأَيُّ رَوْحٍ وَأَيُّ فَرْجٍ أَفْضَلُ مِنْ رَوْحِ الْآخِرَةِ وَفَرْجِهِ مِنْ كِرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟

الشریف الرضی فی الحکمة برقم ٤٢ من نهج البلاغة نقل دعاءً لأمير المؤمنين «عليه السلام» قاله لبعض أصحابه، وأوله: (جَعَلَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطًّا لِسَيِّئَاتِكَ).

وبالرجوع إلى تاريخ الطبري كتاب بُهَج الصباغة وهو شرح لنهج البلاغة، وكتاب صفين لنصر بن مزاحم نجد أن لهذا الدعاء قصة تتلخص في أنه لما جاز الإمام ومن معه النخيلة عائدتين من صفين: (ورأينا بيوت الكوفة، إذا نحن بشيخ جالس في ظل بيت، على وجهه أثر المرض، فأقبل إليه عليٌّ ونحن معه، حتى سلم عليه وسلمنا معه، فردّ ردّاً حسناً ظننا أن قد عرفه. قال له علي: أرى وجهك منكضاً) متغيراً (فمن مه؟ أم من مرض؟ قال: نعم. قال: فلعلك كرهته؟ قال: ما أحب أنه بغيري) أي ما أتمناه لأحد فكيف لا أكرهه؟ وفي نسخة «أن يعتريني» (قال: أليس احتساباً بالخير فيما أصابك منه؟) ألا تتأمل شيئاً من الخير بصبرك على المرض؟ (قال: بلى. قال: فأبشّر برحمة ربك، وغفران ذنبك) ثم سألته الإمام عن اسمه وهل كان من أفراد جيشه في صفين، فأخبره أنه صالح بن سليم من طيء، وقال: (لا والله، ما شهدتُها، ولقد أردتها، ولكن ما ترى من أثر لحب الحمى خذلني عنها. فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (...)).

ثم دعا له الإمام، وهو الدعاء الذي نقله الشريف الرضي في حكم نهج البلاغة: (جَعَلَ اللَّهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطًّا لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ،

وَلَكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ، وَيَحْتُهَا حَتَّ الْأَوْرَاقِ، وَإِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ
بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ، وَإِنَّ اللَّهَ «سُبْحَانَهُ» يَدْخُلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ). وهذا المقطع الأخير حول النية لأن الرجل كان قد نوى
الخروج إلى صفين فأقعده المرض.. هكذا هي رحمت الله العظيمة.

لقد بين لنا الإمام زين العابدين «عليه السلام» أنَّ على المريض أن يجعل من
مرضه هذا نافذةً يُطلُّ من خلالها على الرحمت الإلهية العظيمة التي يُنزلها عليه
في الدنيا ووعداها إياه في الآخرة، وأنَّ يعيش رَحَابَ التوبة انطلاقاً من الإحساس
بمسؤولية الحياة، ومسؤولية النعمة، وإدراك أن هذه الحياة ليست نهاية المطاف،
بل هي بوابة العبور إلى حياة خالدة تتطلب الاستعداد لها بالإيمان والتقوى والعمل
الصالح.

الخطبة الثانية

اعترافات قاتل في عالم المال

﴿وَاتَّذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا
إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ «الإسراء: ٢٦-٢٧».

كنت أطلع ذات مرة في سلسلة تعليمية للأطفال، كُتبت في فرنسا، ومترجمة إلى
اللغة العربية، ولفت نظري تخصيص إحدى أجزاء هذه السلسلة لتعليم الأطفال
الفرق بين أمرين: الحاجة والرغبة، وهو ما لربما يغيب عن أذهان الكثيرين في
عالم بُني على ثقافة الاستهلاك.

تقف البنت الصغيرة أمام معرض اللوازم المدرسية، فتختار حقيبة وردية
اللون ولها جيوب بشكل قلب، وتضعها في سلة التسوق.. وعندما يعترض والدها
تقول: «إنني بحاجة إلى هذه الحقيبة»، بينما ينبهها والدها إلى الفرق بين الحاجة

والرغبة قائلاً: «أنت ترغبين في حقيبة كتب جديدة، لكن لا تحاولي إقتاعنا بأنك بحاجة إليها». هذه الثقافة الاقتصادية مهمة جداً.. لاسيما ونحن نواجه هجمات دعائية استهلاكية عالمية شرسة، وكثيراً ما نقع ضحايا لهذه الهجمات.

□ حاجة أم رغبة؟

أنا أحتاج، يعني أن هذه السلعة أو هذه الخدمة بالنسبة لي ضرورية، ومن الصعب الاستغناء عنها.. فأنا أحتاج إلى هذا الدواء لأنه يرتبط بصحتي، وأحتاج إلى هذا الحذاء لأن الحذاء السابق أصبح مهترئاً، وأحتاج إلى نظارة جديدة لأن نظارتي تهشمت.

الرغبة لا ترتبط بالضروريات. قد تكون من الكماليات، وقد تكون رقماً إضافياً إلى المجموعة التي ما زالت صالحة للاستعمال، أو أستبدل بها غرضاً ما زال يعمل ويؤدي الغرض منه.

□ التبذير:

والرغبات قد توقعنا في أكثر من محظور شرعي وعقلائي، من بينها:

١. التبذير: قال «عزوجل»: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ «الإسراء: ٢٦-٢٧».

البذر هو أن يقوم المزارع بنثر وتفریق الحبوب في الأرض بغرض الزراعة.. ومن المعلوم أنه يقوم بنثر كميات كبيرة منها عشوائياً وهو يمشي في الأرض الزراعية، ومن دون حساب. هذه الصورة جعلت العرب يستعملون كلمة «التبذير» للدلالة على «التفريق بالإسراف»، ويختص بما يكون على سبيل الإفساد.. أما كان على وجه الإصلاح لا يسمى تبذيراً وإن كثر.

التبذير يعني صرف المال بطريقة عبثية غير مسئولة وغير متوازنة في الكم والنوع، وتعارض مع دوره الوظيفي في حياة الإنسان المرتبط باحتياجاته. وحيث أن قيد الإفساد مأخوذ بعين الاعتبار في تعريف التبذير، لذا فإن الإنفاق الكثير في موارد الخير ليس تبذيراً، لأنه يتضمن وعداً إلهياً بالتعويض والزيادة، بالإضافة

إلى ما يحققه من نتائج إيجابية... ولكن لماذا يندفع الإنسان إلى التبذير وهو يحب المال حباً جماً؟

أ- هوى النفس والشهوات والرغبات غير المحدودة.. ومن هنا اعتبر الله «عز وجل» أن المبذرين إخوان الشياطين، لأن سلوكهما قائم على أساس واحد، وهو اتباع الهوى والشهوات، ورفض العقل، والتمرد على المنهج الإلهي. والتعبير بأنهم إخوان الشياطين تعبير خطير جداً، وكأن الله يقول أن الانحراف في الموارد المالية، يمثل انحرافاً عن الإيمان، وليس مجرد حالة هامشية طارئة، لأن الابتعاد عن المنهج الإلهي يعني الارتباط بالمنهج الشيطاني.

ب- الرغبة النفسية المرصية، كالحسد وحب المظاهر والتنافس غير المبرر: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ «طه: ١٣١».

ج- السفه الاقتصادي. فكما يوجد سفه اجتماعي يكون معه الفرد البالغ جاهلاً بحدود وأخلاقيات وآداب الحياة الاجتماعية والعلاقة مع الناس وتقييمهم وكيفية التعامل معهم، كذلك هناك سفه اقتصادي، يكون معه الفرد البالغ جاهلاً بطرق الإنفاق، وقيمة السلع، وتقدير المال. ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ «النساء: ٥».

د- الجهل بأسس الإنفاق وتنظيم الجانب الاقتصادي في الحياة.

□ فخ الديون:

٢. الوقوع في فخ الديون: في سنة ٢٠٠٤ صدر كتاب بعنوان Confessions of an Economic Hit Man وترجمته الحرفية «اعترافات قاتل اقتصادي» ولكن تُرجم إلى العربية بعنوان «الاغتيال الاقتصادي للأمم»، وهو بقلم الخبير الاقتصادي الأمريكي «جون بيركنز».

يُعرف الكاتب القتلة الاقتصاديين بأنهم: «رجال محترفون يتقاضون أجراً عالياً لخداع دول العالم بابتزاز ترليونات الدولارات لصالح بعض الشركات الأمريكية الضخمة».

في هذا الكتاب يتحدث المؤلف كيف يخلق هؤلاء الخبراء «القتلة» في عالم الاقتصاد ظروفاً تؤدي إلى خضوع الدول النامية لهيمنة منظومة الشركات الكبرى في العالم، من خلال إغراقها بالديون - بذريعة التنمية - وبطريقة تدفعها إلى التعثر بعد بضع سنوات، وعندئذ تُفرض عليها شروط سياسية وسيادية وأمنية واقتصادية وثقافية وغير ذلك.

هذه الصورة لا تختلف كثيراً عن حال الأفراد الذين يقعون فريسة دعايات البضائع الاستهلاكية فيستسلمون لرغباتهم، ولا يفرقون بين الحاجة والرغبة، وتتراكم عليهم الديون التي قد:

أ. تزجّ ببعضهم في السجون من خلال الشيكات من دون رصيد، أو الإفلاس مثلاً.

ب. تدمر الأسر من خلال العجز عن الإيفاء بأبسط متطلبات الحياة الأسرية.

ج. تدفع إلى المكاسب المحرّمة في الدخول في مجالات غسيل الأموال، والربا، والغش، والنصب والاحتيال، وتجارة المخدرات، والفاحشة، وغير ذلك.

د. الوقوع في فخ النصابين الذين يعدّون الناس بأرباح طائلة في أزمنة قياسية، ثم يفرون بتلك الأموال إلى حيث يكونون بمأمن من الملاحقة القانونية.

□ دعاء اقتصادي:

ومن هنا نجد الإمام زين العابدين «عليه السلام» في دعائه في «المعونة على قضاء الدين» يبيّن:

١. الآثار النفسية والعملية المترتبة على كون الإنسان مديناً: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لِي الْعَافِيَةَ مِنْ دَيْنٍ تَخْلُقُ بِهِ وَجْهِي) فيكون بالياً بدا عليه الجهد (وَيَحَارُ فِيهِ ذَهْنِي، وَيَتَشَعَّبُ لَهُ فِكْرِي، وَيَطُولُ بِمُمارَسَتِهِ) ومحاولة سداذه (شُغْلِي). وَأَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ هَمِّ الدَّيْنِ وَفِكْرِهِ، وَشُغْلِ الدَّيْنِ وَسَهَرِهِ. فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِزَّنِي مِنْهُ. وَأَسْتَجِيرُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ ذِلَّتِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَمِنْ تَبِعَتِهِ بَعْدَ الْوَفَاةِ).

٢. بعض الطرق العملية لتجنب الوقوع في الدين ما أمكن: (فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَجِرْنِي مِنْهُ، بِوَسْعِ فَاضِلٍ) رزق وفير (أَوْ كَفَافٍ وَاصِلٍ) قناعة (اللَّهُمَّ صَلِّ

عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاحْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ وَالْإِزْدِيَادِ (الرغبة التي لا تعرف حدًّا (وَقَوْمُنِي بِالْبَذْلِ وَالْإِقْتِصَادِ) فَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَهْرَبَ مِنَ التَّبَذِيرِ لِأَقَعَ فِي رَذِيلَةِ الْبَخْلِ (وَعَلَّمَنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ، وَأَقْبَضَنِي بِلُطْفِكَ عَنِ التَّبَذِيرِ) (وَأَجَرٍ مِنْ أَسْبَابِ الْحَلَالِ أَرْزَاقِي) فَلَا أُرِيدُ أَنْ يَكُونَ هَرُوبِي مِنَ الدِّينِ عَنْ طَرِيقِ الْكَسْبِ الْحَرَامِ (وَوَجَّهَ فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ إِنْفَاقِي...) فَالْإِنْفَاقُ فِي الْبِرِّ مِنْ أَسْبَابِ سَعَةِ الرِّزْقِ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) «سبأ: ٣٩».

ثم قال «عليه السلام»: (.... اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَاءِ) فلربما يكون الدافع للاقتراض وتراكم الديون هو مصاحبة مَنْ هم أثرى منه، فيتحرَّج أن يكون أقلَّ منهم مستوى من حيث الملابس والمسكن والولائم، ولربما كان في صُحبة الفقراء ما يجعل الإنسان قنوعاً مدركاً لقيمة ما يملك.

٣. تَأْدِيبُ النَّفْسِ وَتَهْذِيبُهَا عِنْدَ السَّعَةِ فِي الرِّزْقِ: (وَأَزَوَّعَنِي مِنَ الْمَالِ مَا يُحْدِثُ لِي مَخِيلَةً أَوْ تَأْدِيبًا إِلَى بَغْيٍ، أَوْ مَا أَتَعَبُّ مِنْهُ طُغْيَانًا).

٤. تدريب النفس على القناعة والتفكير بالحياة الدائمة في الآخرة ومتطلبات الاستعداد لها: (وَمَا زَوَّيْتُ عَنِّي مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، فَادْخَرُهُ لِي فِي خَزَائِنِكَ الْبَاقِيَةِ، وَاجْعَلْ مَا خَوَّلْتَنِي مِنْ حُطَامِهَا، وَعَجَّلْتَ لِي مِنْ مَتَاعِهَا بُلْغَةً إِلَى جَوَارِكِ، وَوُصْلَةً إِلَى قُرْبِكَ، وَذَرِيعَةً إِلَى جَنَّتِكَ، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَأَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ).

□ حُسن تدبير المعيشة:

فلنسَعِ إِلَى تَدْرِيبِ أَنْفُسِنَا وَتَعْلِيمِ أَبْنَائِنَا حُسْنَ تَدْبِيرِ الْمَعِيشَةِ، وَأُسُسَ الْكَسْبِ وَالْإِنْفَاقِ وَالْإِقْتِصَادِ، وَالْفَرَقِ بَيْنَ الْحَاجَةِ وَالرَّغْبَةِ، وَامْتِلَاكِ الرِّشْدِ وَالْحِكْمَةِ فِي عَالَمِ الْمَالِ، فَالْهَرَفُ لَا يَدُومُ، وَالنَّفْسُ لَا تَشْبَعُ، وَالشَّيْطَانُ بِالْمُرْصَادِ، وَالْدُّيُونُ لَا تَرْحَمُ، وَجَشَعُ الرِّأْسَمَالِيَةِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وَهُوَ نِعْمَ الْوَكِيلُ.



الخطبة الأولى الفلسفة الوجودية

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَا تَنِيَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ، قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا
مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ «الأعراف: ١٦-١٨».

منذ أن أقسم إبليس أن يُغوي آدم وذريته بالصورة المذكورة في الآيات السابقة،
لم يألُ جهداً في التفتن وابتكار الطرق والأساليب التي يصلُ من خلالها إلى مبتغاه،
ولو كان ذلك عن طريق الدين، ومن خلال نصوصه وشخصياته وتعاليمه.

واليوم، بعد أن تمَّ إدخالُ شبابنا المسلم في متاهات الإلحاد ثم اللادينية
«الربوبية»، وتمَّت مواجهة هذه السخافات والجهالات بالردود الفكرية المتنوعة،
ظهرت مؤخراً موجة جديدة تحتاج إلى معالجة مختلفة تماماً عن معالجة موضوعي
الإلحاد واللا دينية. ظهرت الموجة الجديدة تحت عنوان «الوجودية الإسلامية».

ليس بالضرورة أن يتبنّى الشباب العنوان، ولكن مضمون هذا الطرح - ولو في
بعض مفرداته وأفكاره - صار متداولاً بشكل ظاهر، وعلى نطاق يستدعي الاهتمام
والمعالجة. ولكي ندرك مضمون هذا الطرح، لابد من:

١. مقدّمة تاريخية سريعة حول الفلسفة الوجودية، وتطوّرها.
٢. بيان الطريقة التي تمَّ فيها تقييد الفلسفة الوجودية بالعنوان الإسلامي.

٢. إطلالة على أهم الأفكار التي تتبناها «الوجودية الإسلامية» وعلاقتها بالفلسفة الوجودية. مع التنبيه إلى أنه لا يمكن استيعاب كل التفاصيل هذه المرة، بل سأخصصها لبعض الأفكار والرد عليها، وأرجي عرض ومناقشة سائر الأفكار إلى المرة المقبلة بإذن الله.

في النصف الأول من القرن التاسع عشر طرح الدانماركي «سورين كيركيغارد» رؤيته حول الإنسان والدين والوجود، ومن خلالها تبلورت تدريجياً الفلسفة الوجودية التي تعتبر أن:

١. الإنسان أقدم شيء في الوجود.. وقبل الحقيقة الإنسانية لم يكن إلا العدم، فالإنسان هو محور الوجود، وبوجود الإنسان وُجد الإله.

٢. الدين الصحيح ليس ما يُعلّمه رجال الدين من أحكام، وإنما هو الدين الذي يصنعه الإنسان لنفسه، بلا إجبار أو إلهام من أحد، وبلا إبلاغ من رسول.

٣. ليس هناك إله خاص لكل الناس، ولا يوجد دين واحد صحيح لكل الناس، وليست هناك طقوس دينية مشتركة، فكل فرد يصنع لنفسه إلهاً وديناً، فما تحبّه أنت كفرد سيتحوّل بالنسبة إليك إلى إلهك المعبود، وما تفعله لهذا الإله هو دينك وشريعته وطقوسك.

٤. الأساس هو حرية الإنسان، وعليه أن يُنكر كل القيود الدينية والاجتماعية والفلسفية.

٥. لن يصل الإنسان إلى إلهه الخاص ودينه وشريعته إلا من خلال مصيبة تنزل به، أو صدمة يعيشها، ومن ثمّ يصبح شعوره الخاص «ما ينكشف له» هو ميزان العدل الذي لا يُخطيء في رسم معالم دينه.

وكما تطوّرت أفكار «سورين» في اتجاه وجودي يؤمن بوجود الإله، أخذت منحى آخر الحادي ليعترف بالإله، ويرى أن الإنسان لا بد أن يقدّس ذاته.

وبين هذا المنحى وذاك، ظهر لدينا اتجاه أخذ لنفسه عنوان «الوجودية الإسلامية».. فما هي ملامحه؟ وكيف انطلق من تلك الأفكار التي طرحها «سورين» وأفكار من جاء من بعده ممن طوّروا فكرته في الاتجاه المؤمن بالإله؟

الخطبة الثانية

الوجودية الإسلامية-١

يمكن تلخيص متبنيات «الوجودية الإسلامية» في نقاط، أذكر في هذه الخطبة بعضاً منها:

□ إنسانية الدين:

١- الإيمان بالله، ولكن لا ضير في إيمان الآخرين بأن إلههم بقرة أو صنم، إذ لا دخل لماهية الإله في تحقق الإيمان، بل مدى إنسانية المؤمن به: «ليس من المهم أن تكون ألوهية الدين تثليثاً أم توحيداً، بشراً كان كبوداً أو مجرداً كان في السماء، المهم هو إنسانية الدين». بل لا ضير في الإلحاد: «الشيوعي الملحد هو مؤمن إن كان إنسانياً في فعله ونضاله.. لا مشكلة لله أن ينكره الإنسان طالما أن الكفر لدى الله ليس هو عدم الاعتراف به، وإنما عدم الاعتراف بإنسانيته.. لأن الكفر ليس قضية بينه وبين الإنسان، وإنما بين إنسان وآخر».

□ صحة كل الأديان:

٢- كل دين يخدم الإنسانية دينٌ حقيقي: «الأديان الحقيقية ليس تلك التي تملك إلهاً حقيقياً، وإنما تلك التي تملك إنسانية حقيقية.. لذا فالكفار ليسوا هم الذين لا يصلون الخمس، وإنما هم الذين لا يصلون القيم، مهما أحاطوا بالكعبة». «مرة تعبد حجراً ولكنك لم تضرب به أحداً، فإن كسروه لك قبلت أيديهم. ومرة تعبد الله ولكنك تسبي وتقتل باسمه. في الأول أنت بدين الله حتى وإن كنت وثنياً، وفي الثانية أنت ضد الله حتى وإن سُميت داعية أو مجاهداً».

□ النبوة للإنسانية:

٣- عدم إنكار النبوات، ويستشهدون بالقرآن والحديث، ولكنهم يحرفون أهداف تلك النصوص: «الله لا يرسل الأنبياء لأجل الألوهية، وإنما لأجل الإنسانية.. محاربة النبي لأبي لهب ليس لمسألة استبعاد الله من ألوهيته، وإنما هو استبعاد

بلال من حريته. لا يهتم، ليعبد أبو لهب حجراً أو شمساً أو أيّاً شاء، ولكن ليترك بلال يعيش وجوده.. الرسالة الدينية لدى النبي لا تريد دعوة الله وللألوهية، وإنما دعوة للخير والإنسانية فحسب... الله لا يريد نبياً يقول: صلّوا وصوموا وحجّوا، وإنما نبياً يقول: لا تخدعوا، لا تظلموا، لا تقتلوا، أحبّوا، اصدقوا، أعيّنوا».

□ ردود سريعة:

أما الرد المجل على الأفكار السابقة والتي يعتبرونها الأساس في الإسلام الحقيقي فكالآتي:

١. قامت دعوة كل الرسالات السماوية، وكل الأنبياء، في الأساس على توحيد الله عز وجل» وعبادته وحده، ورفض كل صور الشرك، واعتبار أنها ضلال مبين: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ «هود: ٢٥-٢٦».

﴿وَالِىٰ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِن أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ «هود: ٥٠».. ويتكرر الأمر في الآية ٦١ على لسان النبي صالح، ثم شعيب في الآية ٨٤.

إبراهيم «عليه السلام»: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ، وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ، قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ، قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ، قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ، فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ «الأنبياء: ٥١-٥٨».

ولك أن تتجول في السور القرآنية المختلفة لتجد أن توحيد الله ورفض كل صور الشرك والعبودية لغير الله هي الأساس والقاعدة الإيمانية التي يقوم عليها دين الله، وأن من يخالف ذلك يكون في ضلال مبين ولا يمكن أن يكون على دين الله وكما يريد الله، مهما ارتقى في إنسانيته.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ

بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ، فَإِنَّ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ... ﴿٢٠-١٨﴾ «آل عمران: ٢٠-١٨».

هذا لا يعني أن لا قيمة للسلوك الإنساني الصادر عن غير المؤمنين، فهذا خلاف العدالة الإلهية، والله يحب الخير، ويثيب عليه نحواً من الثواب الدنيوي أو الآخروي، إلا أن صاحبه يبقى - على المستوى الإيماني - في ضلال مبين، ولن يكون في مصاف المؤمنين الصالحين. وعليه فإن أول مبدأ في إسلامك ودينك هو التوحيد، وادّعاء أن الملحد مؤمن ما دام إنسانياً، وأن عابد البقر والفئران والقردة والحجارة مؤمن ما دام إنسانياً، كلام لا علاقة له بالإسلام.

□ الضلال المبين:

٢- كيف يمكن لما كان ضلالاً مبيناً - بحسب تعبير القرآن في موارد عديدة - أن نعتبره ديناً حقيقياً مجرد أن أتباعه أصحاب نزعة إنسانية؟ القاعدة الفكرية الأساسية في تقييم الدين، علاوة على العمل الصالح الذي يتفرع في اتجاهين، الأول عبادة الله وطاعته، والثاني خدمة خلق الله.

□ العبادة جزء من الرسالات:

٢- كل القرآن الكريم والتاريخ يكذب ادّعاءهم بأن الله لا يريد نبياً يأمر بالصلاة والصيام والحج.. نعم، نحن لا نقول أن هذه العبادات مطلوبة لذاتها، فالله هو الغني، بل هي مطلوبة لتعيد الإنسان إلى فطرته الأولى وإنسانيته، وهذا ما تدل عليه النصوص التالية:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ «التين: ٤-٦».

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكْذِبُ بِالَّذِينَ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ، وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ، فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ «الماعون».

فهذا النموذج من المصلين لا يريدهم الله، كما أنه لا يريد النموذج الذي لا يصلي... فالنموذج المطلوب هو النموذج المؤمن بالله وبالأخرة والذي يصلي

ويعمل لصالح المحتاجين.

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُ رَقَبَةً، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ، أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ﴾ (البلد: ١١-٢٠).

ولهذه الأفكار التي المطروحة أبعاد أخرى وتبعات عديدة مرتبطة بمحاربتهم للشرعية والدعوة لتعطيل المساجد ومحاربة العلماء وترك العبادات ورفض اللباس الشرعي للمرأة... إلخ. وسأعرض وأناقش هذه الأبعاد في المرة القادمة بإذن الله.

□ تحديد الموقف:

مما سبق يتضح أنّ على أتباع الوجودية الإسلامية أن يحدّدوا موقفهم أولاً، أهم حقاً يؤمنون بالإسلام والقرآن والنبي، أم أن المسألة بالنسبة إليهم وسيلة للتلبّيس على الشباب وخداعهم، واتخاذ العنوان الإسلامي ستاراً وتديساً وفخاً ينصبونه لمن لا يريد الابتعاد عن الإسلام منهم؟

فإنّ كان جوابهم مثبتاً، فإنّ كلّ القرآن يؤكد على أن الإسلام إيمان وعمل صالح، ولا فكاك بينهما.. وأما إن كان تمرّدهم على الانحرافات والتحريفات التي طالت الإسلام، والظواهر السلبية لدى المتديّنين، فنحن نشاركهم ذلك دون أن نبتعد عن القول بتوحيد الله والالتزام بالصلاة وسائر أوامر الله ونواهيه.

إن الإيمان بالتوحيد والالتزام بعبادة الله وبالشرعية المحمدية لا يعني أن يبتعد الإنسان عن إنسانيته وأن يتخلّى عن العمل الصالح، بل إنهما غاية الدين: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.



الخطبة الأولى

مَن المسئول عن توهان الشباب؟

تحدثت في المرة الماضية عن ظهور موجة جديدة بين الشباب تحمل عنوان «الوجودية الإسلامية»، وليس بالضرورة أن يتم تبني العنوان، ولكن مضمون هذا الطرح - ولو في بعض مفرداته وأفكاره - صار متداولاً بشكل واضح، وعلى نطاق يستدعي الاهتمام والمعالجة.

ولكن قبل الاسترسال في بيان النقاط، أود أن أنبّه في الخطبة الأولى إلى مسألة مهمة، وهي أن الشباب المتأثرين بهذه الموجة - بشكل مباشر أو غير مباشر - هم ضحية عدة عوامل:

١. الإنسان عموماً، والشباب خصوصاً، واقع تحت تأثير مثلث ضاغط يتمثل في الفرائز الفطرية والملذات الخارجية، والوساوس الشيطانية التي تؤدي دور السمسرة بين الغريزة والملذات. وهذا المثلث الضاغط بقوة لا يكتفي بجرّ الإنسان إلى الانحراف السلوكي فقط، بل ويدخله في متاهات الانحراف الفكري أيضاً.. وهذا أخطر. وقد روي عن أمير المؤمنين علي «عليه السلام» أنه قال: (إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ طُولُ الْأَمَلِ وَاتِّبَاعُ الْهَوَى، فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيُصْدُّ عَنِ الْحَقِّ).

٢. الانفتاح المعلوماتي غير المسبوق والذي تختلط فيه الحقائق بالأكاذيب والأوهام، مما لا يتحمّله أحياناً الكبار ممن تشبّعوا بالتربية الدينية، فكيف

بالشباب؟ لاسيما بلحاظ عدم امتلاك الشباب لآليات التمييز بينها، وتفاعلهم الإيجابي مع الجهات المروّجة لتلك الأفكار المنحرفة، بحُسن نية، أو نتيجة عُقد معيّنة، أو لتجارب سلبية مرّوا بها في الوسط المتديّن.

٣. التأثير السلبي لكمّ هائل من الخطاب الديني غير الواقعي والسطحي والخرافي والذي لا يحترم ألعقول، ولا يُقدّر البحث عن المعرفة القائمة على الدليل والمنطق.

٤. التأثير العكسي للسلوكيات غير المسؤولة والمتناقضة الصادرة عن عدد لا يُستهان به من المتديّنين ورجال الدين، لا سيما من أولئك الذين تُسلط عليهم الأضواء.. وذلك على مستوى

البحث عن الشهرة، والمال، وإشباع الغريزة، وعدم المصادقية، والخضوع للفسادين.

٥. رغبة الشباب في التحلل من القيود والالتزامات ما أمكن، مع وجود كمّ هائل من النشاط الترويجي لكل ما يُلبّي متطلبات الغرائز المختلفة من خلال الإنترنت، وسهولة تحقيق ذلك.

٦. التأثير السلبي لبعض الحكومات التي تُظهر التمسّك بالدين، في الوقت الذي تنخر فيها أبشع صور الفساد والظلم وسلب الحريات والتعدّي على حقوق الإنسان.

كل هذه العوامل تجعلنا كأفراد وكمؤسسات دينية وحكومية مسؤولين بنحو أو بآخر عن ضياع الشباب في متهاتات الانحرافات الفكرية والسلوكية، كما لا نغفي الشباب أنفسهم عن هذه المسؤولية. إننا من خلال عرض الانحرافات الفكرية من قبيل الإلحاد واللا دينية والوجودية الإسلامية والرد عليها، لا نريد أن نرجم الشباب، بل أن نمدّ لهم يد العون لنقف سوياً على الطريق الذي يقودنا لتحمل مسؤولية الحياة كما أرادها الله «سبحانه و«عز وجل»».

الخطبة الثانية

الوجودية الإسلامية-٢

ذكرت في الأسبوع الماضي أثناء بياني لانحرافات ما يُعرف باسم «الوجودية الإسلامية» ثلاثة مِبانٍ فكرية تقوم عليها هذه الدعوة، وترتبط بمفهوم الإيمان والدين والنبوة. وأكمل في هذه الخطبة عرض نقاط أخرى يمكن استقاؤها من أفكارهم المنشورة في كتبهم.

□ الموقف من الشريعة:

٤- محاربة الشريعة الإسلامية: «جلال الدين الرومي» من أقطاب الصوفية «لم يصبح مُسلماً ومُؤمناً حقيقياً وبهذه الروح الكبرى التي آل إليها قديساً إلا حينما داست رقصته فقّهه، بعد أن تيقّن أنه لن يصل إلى الله والحقيقة الدينية إلا أن يكفّر بكل المعرفة الدينية وكهنوتها». ولكن، هل يمكن أن يتم دينٌ دون شريعة؟ أليست الشريعة هي مجموعة القوانين التي تنظم سلوك الإنسان تجاه الله، وتجاه نفسه، وتجاه الآخرين، وتجاه ما حوله؟

يا أعزائي الشباب، لا يوجد أي كيان، حزباً كان، أو جمعية، أو دولة، أو مؤسسة دولية إلا ووضعت لها مجموعة قوانين تنظيمية.. وما الشريعة الإسلامية إلا كذلك. وأما إذا كان الحديث عن بعض الفتاوى غير المقبولة أو «غير الإنسانية»، فالأمر قابل للحوار والإصلاح عند وجود الخلل، وذلك من خلال إعادة الاجتهاد.. فما بأيدينا من فقه إسلامي ينقسم إلى ما نسبته ٦٪ تقريباً من الضروريات، و٩٤٪ قابلة لإعادة البحث والنظر. ومعالجة هذه المسألة لا تتم بمحاربة الشريعة ككل، والدعوة إلى الكفر بها. علماً بأن الجوانب الإنسانية في الشريعة الإسلامية بارزة وكثيرة، وقد أفرد لذلك حديثاً خاصاً.

□ العلاقة بالمساجد:

٥- اعتبار المساجد - وبيوت العبادة الأخرى - مراكز للكفر بحسب مفهومهم

للكفر والإيمان، إذ يتم فيها تدمير الحقيقة الإنسانية. من يريد الله والدين فعلية ترك المساجد: «إذا أدخل النبي والإله المعبد، توحش النبي وقسا الله.. الله بلا معبد، هذه أهم حقيقة لأبد الالتجاء إليها».

بل وتفضيل بيوت الفاحشة عليها: «المبغى هو وحده المبنى الحقيقي في التاريخ» لأن اسمه يطابق حقيقته «على عكس المعبد، فهو المبنى الأكثر زيفاً في التاريخ، لأن محرابه للسرقة».

ولكن قول علي «عليه السلام» - الذي أكثروا من تعظيمه - أصدق من قولهم، فعن الأصبح أن علياً «عليه السلام» (كان يقول: من اختلف إلى المسجد أصاب إحدى الثمان: أخاً مستفاداً في الله، أو علماً مستطرفاً، أو آية محكمة، أو يسمع كلمة تدل على هدى، أو رحمة منتظرة، أو كلمة تردّه عن ردى، أو يترك ذنباً خشية أو حياء). والمسجد هو المشروع الأول الذي عمل النبي «صلى الله عليه وآله» على تأسيسه فور وصوله المدينة المنورة، وقد قال «عز وجل» في بيان أهمية الحفاظ على المساجد ودورها الإيماني والروحي: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ «الحج: ٤٠».

□ الموقف من العلماء:

٦- يصبّون جام غضبهم على «علماء الدين المسلمين» معتبرين أن القراءة الصحيحة لقوله «عز وجل»: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ «فاطر: ٢٨»، «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»... فالله يخشى من قوة التأثير السلبي للعلماء على عامة الناس. وهذا برأيهم ما حصل فعلاً حيث نسبوا إليهم تحريف الإسلام من خلال تحريف مبادئه الإيمانية، وسلبوا المسلمين حريتهم من خلال الشريعة، وساهموا في قتل الناس، ونهب أموالهم، وهتك أعراضهم من خلال فتاواهم المؤيدة للسلطين والظالمين.

والحال أن مراجعة الآية في سياقها خلاف ذلك تماماً، فهي تبدأ هكذا: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ إلى أن تصل إلى قوله «عز وجل»: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ

مُخْتَلَفُ الْوَأْنِهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ، وَمَنْ النَّاسُ وَالذَّوَابُّ وَالْأَنْعَامُ مُخْتَلَفُ الْوَأْنِ كَذَلِكَ
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨-١٩﴾ «فاطر: ٢٨-١٩» ومن
الواضح أنها تتحدث عن التدبر في خلق الله، وأثر ذلك على تقوى الإنسان.. ولكنه
أسلوب القوم في التحريف وخداع البسطاء والتلاعب بمشاعر الناس.

كما لا يجوز تعميم الاتهامات السابقة للعلماء، فقد حفظ الصالحون منهم
هذا الدين، وحملوا الأمانة، وسلموها عبر الأجيال، وقدموا في هذا الطريق الكثير
من التضحيات، فسُجن منهم من سُجن، وعُذب من عُذب، وقُتل منهم من قُتل..
وإذا فسد البعض فهذا لا يعني فساد الكل.

□ النظرة السوداوية:

٧- ديدنهم النظرة السوداوية التشاؤمية والتركيز على السلبيات والجرائم
التي تُرتكب باسم الدين، والتغافل عن كل الإيجابيات والمشاهد التاريخية
والمعاصرة الجميلة الناشئة عن المبادئ والقيم والتشريعات الإسلامية. وهذا من
صور الانتقائية في الشواهد التي يقدمونها من القرآن والحديث والسيرة، وهي
سمة بارزة في طريقتهم في الاستدلال.. والانتقائية خلاف الموضوعية في البحث
والتحليل، ولا توصل إلى نتائج علمية.

وأدعو أبنائي الشباب إلى قراءة شهادات قدمها عدد من المستشرقين من
قبيل: «آدم مترز» و«جورج سارتون» و«توماس أرنولد» و«فرانز روزانتال» و«روبرت
بريفولت» وآخرون ممن كتبوا عن الجوانب المشرقة للإسلام الذي نعرفه في بعده
الإنساني والحضاري. ولربما أفادهم في ذلك مطالعة كتاب «الإسلام والحضارة
الإنسانية» للأديب عباس محمود العقاد، وكتاب «ماذا قدم المسلمون للعالم؟
إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية» لراغب السرجاني، وكتاب «رؤى
إسلامية في فلسفة العلم والتنمية الحضارية» لأحمد فؤاد باشا.

□ خطابات عاطفية:

٨- التركيز على الخطاب العاطفي المهيّج لمشاعر الناس، وتقديم الصور
الإنسانية المأساوية بشكل مكثف ومن دون موضوعية، وتحميل المسؤولية للإسلام
كدين تعبدية والعلماء والمتدينين.

ولنا أن نسأل: هل برزت النزعة الإنسانية عملياً في أتباع الوجودية الإسلامية؟ أين مشاريعهم الإنسانية؟ أين آثارهم الاجتماعية؟ أين حراكهم السياسي لتخليص الإنسانية البائسة؟ على شبابنا الأعزاء المتأثرين بهذا الطرح أن يراجعوا أنفسهم، وأن يطلبوا من الآخرين تقييمهم، وسيجدون أن النتيجة الأبرز في اللحاق بركب الوجودية الإسلامية لم يؤدِّ إلا إلى تعاظم «الأنا» وتضخمها، ومعاداة أقرب الناس إليهم.. وهو خلاف غرضهم وأهدافهم المعلنة.

□ الإعجاب بالعصر الجاهلي:

٩. التمجيد بالعصر الجاهلي بادّعاء تمسّك الجاهليين بالقيم الإنسانية حتى عند الغزو، على خلاف الدين الذي رسم الفقهاء معامله.

هذا القول مجانب للصواب، فإنه وإن تمسّك بعض الجاهليين ببعض القيم، إلا أن مصادر التاريخ والأدب والثقافة العربية، بالإضافة إلى القرآن الكريم تؤكد على الصور الإجرامية الكثيرة بحق الإنسانية في العصر الجاهلي، ويكفيهم عار: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ «التكوير: ٨-٩».

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ «النحل: ٥٨-٥٩».

﴿وكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ «الأنعام: ١٣٧»، والأمثلة والشواهد فوق الإحصاء.

□ مقارنات باطلة:

١٠- تقديم مقارنات بين الملحد - أو غير المسلم - صاحب النزعة الإنسانية الذي يعمل على تحقيق سعادة الناس وتأمين حقوقهم، وبين المسلم الذي يرتكب الجرائم بحق الناس.. بشكل يوحي وكأن النماذج الإنسانية المتعارضة مقصورة على هاتين الصورتين. أليس في الحياة أيضاً متدينون وملتزمون بالإسلام فكراً وشرعية وقيماً، وهم في قمة الإنسانية؟ ثم، ألا تمتليء الحياة بنماذج لوحوش من الملحدين واللادينيين وأتباع الديانات الأخرى؟

□ الحياة مليئة بالمتصنعين:

كانت هذه بعضُ من الأفكار والمنتبئات التي تطرحها «الوجودية الإسلامية»، والتي انتشرت وامتدت في بعض الأوساط الشبابية وترجمت إلى ترك الصلاة، وهجر المساجد، ونزع «الحجاب»، وعدم التقيد بالأحكام الشرعية، ومهاجمة علماء الدين دون تمييز، دون أن نلاحظ في المقابل كثيرَ تغيير في سلوكياتهم ذات البعد الإنساني، ولا في المشاريع ذات الطابع الإنساني، بل ارتفع لديهم منسوب الأنانية والالتفاف حول الذات، والاكتفاء بالضجيج الشعاراتي الذي ملؤوا به وسائل التواصل الاجتماعي، فكانوا مصداقاً للمثل القائل: «جعجة بلا طحين».

دعوة من القلب إلى أبنائنا الشباب للثبّت والتريث والحوار والمساهمة في تنمية واقعنا المعاصر والتفريق بين الخطابات العاطفية والشعاراتية التي يُطلقها البعض، وبين الواقع والعمل والتطبيق.. وليتذكروا أن الحياة مليئة بالمتصنعين الذين يَمَهرون في دس السم في العسل.





الخطبة الأولى إكرام مسيرة الأربعين

في مستدرك وسائل الشيعة للميرزا النوري عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: (نظر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الحسين بن علي «عليه السلام» وهو مُقبل، فأجلسه في حجره وقال: إِنَّ لِقَتْلَ الْحُسَيْنِ حَرَارَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَبْرُدُ أَبَدًا. ثُمَّ قَالَ «عليه السلام»: بِأَبِي قَتِيلٍ كُلِّ عَبْرَةٍ. قِيلَ: وَمَا قَتِيلٌ كُلِّ عَبْرَةٍ، يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا يَذْكُرُهُ مُؤْمِنٌ إِلَّا بَكَى).

سواء صَحَّحْنَا هَذَا الْخَبَرَ أَمْ لَمْ نَصَحِّحْهُ، يَبْقَى أَنَّ لِمُضْمُونِهِ مَصْدَاقِيَّةً عَلَى أَرْضِ الْوَاقِعِ. فَذَكَرَى الْحُسَيْنَ «عليه السلام» وَثَوْرَتَهُ تَدْفَعُ الْكَثِيرِينَ لِلْعَمَلِ التَّطَوُّعِيِّ، وَلِلْإِنْفَاقِ بِكَرَمٍ تَحْتَ بَنْدِ إِحْيَاءِ هَذِهِ الذِّكْرَى، وَابْقَائِهَا فَاعِلَةً وَقَوِيَّةً وَنَابِضَةً بِالْحَيَاةِ. وَهَذَا جُزْءٌ مِنْ حَرَارَةِ هَذِهِ الذِّكْرَى، الْحَرَارَةِ الَّتِي لَا تَبْرُدُ أَبَدًا. وَنَحْنُ نَشَاهِدُ فِي السَّنَوَاتِ الْآخِرَةِ الْمَسَاهِمَاتِ وَالْإِنْفَاقَاتِ الَّتِي تَتِمُّ فِي إِحْيَاءِ ذِكْرِ الْأَرْبَعِينَ الْحُسَيْنِيَّةِ لِلزَّائِرِينَ السَّائِرِينَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ مِنْ مَسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ «الْمَشَايَةِ». وَالصُّورُ وَمَقَاطِعُ الْفِيدِيُو تَتَحَدَّثُ عَنْ كَرَمِ ضِيَاغَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقٍ.. الذَّبَائِحُ.. الْمَشَاوِي.. الْأَسْمَاكِ الطَّازِجَةِ.. التَّنَافُسِ عَلَى تَقْدِيمِ أَشْهُى وَأَطْيَبِ الْمَأْكُولَاتِ وَالْأَشْرِبَةِ.

منذ فترة، إذا كانت بعض المطاعم تريد أن تجتذب إليها الزبائن فإنها تعلق لوحة كتب عليها «خبز حار.. كباب حار».. وأعتقد أن ما يجري في طريق «مشاية الأربعين» يفوق ذلك بكثير، ولا بد أن يدخل في موسوعة غينيس للأرقام

القياسية. ولكن في نفس الوقت، كم أتمنى لو أنّ رُبَّ هذه الأطعمة تُرسل - وباسم الحسين «عليه السلام» - إلى المنكوبين في اليمن ممن يقتاتون أوراق الشجر، أو يستسلمون للموت جوعاً وضعفاً.. ألن يكون هذا أرضى للرب، وأسعد لقلب الحسين «عليه السلام» وأوفق بسيرته التي نفتدي بها؟

نعم، هذه هي الصورة في اليمن.. في القرن الحادي والعشرين.. في الجزيرة العربية التي تترك على بحر من النفط! «برنامج الغذاء العالمي» حذّر من أنّ ١٨ مليون شخص في اليمن يُعانون من انعدام الأمن الغذائي، ومن بين هؤلاء أكثر من ٨ ملايين يعانون من انعدام الأمن الغذائي «الشديد»، وأنّ معدل الجوع هناك حالياً لم يسبق له مثيل.

يا شيعة علي «عليه السلام» تذكروا هذه الكلمات: (أَمَّا بَعْدُ، يَا بَنَ حَنِيفٍ، فَقَدْ بَلَّغْنِي أَنْ رَجُلًا مِنْ فَتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادِيَّةٍ، فَاسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تَسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتَتَقَلُّ إِلَيْكَ الْجَفَانُ... هِيَ هَاتِ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ - وَلَعَلَّ بِالْحَجَّازِ أَوْ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّيْبِ - أَوْ أَيْتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرَّتِي وَأَكْبَادٌ حَرَّتِي، أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبَيْتَ بِيْطْنَةَ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقَدِّ).

ماذا كان طعام معسكر الحسين «عليه السلام» في كربلاء خلال الأيام العشرة التي قضوها هناك؟ أنا لا أريد أن يعاني الزائرون من حالة من الجوع، ولكن ألا يمكن الاكتفاء بالبسيط من الطعام والشراب.. تقرباً إلى الله، ومواساةً للمنكوبين في اليمن؟ ألا يريد زائرو كربلاء من مشاية الأربعين أن يعيشوا - ولو جزئياً - جانباً من واقع الأيام الصعبة التي عاشها الحسين وأهل بيته وأنصاره؟

أعلم أن كلامي هذا يُزعج البعض، ويثير حفيظة آخرين، ولست أريد به سوى رضا الله عزوجل، وأن نكون من شيعة علي «عليه السلام» حقاً، لا على مستوى العنوان والكلمة، بل وعلى مستوى الفعل والسلوك أيضاً.

أنا لست ضد إكرام ضيوف الحسين «عليه السلام».. ولست ضد الكرم في المسيرة الأربعينية.. ولكن باعتقادي أننا لو سألنا الحسين «عليه السلام»: أيّ الصورتين أقرب لمواساتك وأهل بيتك وأنصارك؟ البذخ والإسراف في الإطعام، أم الاقتصاد

وحُسن التدبير في ذلك، مع توجيه الفائض لإطعام الأفواه التي تحنُّ إلى قطعةٍ من الخبز اليابس؟ لما عدا جوابه ما جاء في كلام أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام» حين قال في ختام رسالته لابن حُنيف: (فَاتَّقِ اللَّهَ يَا بَنَ حُنَيْفَ، وَلْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ).

أتمنى أن تصل رسالتي.. وأحمل المسؤولية كل من يجلس هنا، وكل من يسمع كلامي، بأن يوصلوا رسالتي هذه إلى كل الذين يُحيون ذكرى أربعين الحسين، ليُعيدوا التفكير، وأن لا يستسلموا للأعراف التي قد تقوِّدهم أحياناً - ومن حيث لا يشعرون - إلى خلاف غاياتهم ونواياهم الطيبة والمخلصة.

الخطبة الثانية

خطوات نحو عولمة الثورة الحسينية

عن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنه قال: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ).

تحدثت في مناسبتين سابقتين عن ضرورة عولمة القضية الحسينية، وسُئلت - لاحقاً - عن الوسائل العملية التي يمكن اعتمادها لتحقيق ولو جزء من هذه الغاية.. ولذا سأسعى في هذه الخطبة أن أقدم مجموعة من الأفكار العملية التي يُمكن تطبيقها في هذا الاتجاه.

عولمة القضية الحسينية بحاجة أولاً إلى تشكيل لجنة رئيسة ولجان فرعية، وهي بمجموعها تتكوّن من متطوّعين من عدّة بلدان حول العالم، ويُراعى في ذلك اختلاف اللغات والثقافات والانتماءات العرقية.. من شرق آسيا، وأوروبا، والأمريكتين، وغير ذلك.

فأنا أدرك كيف أخاطب بأفضل صورة أبناء بلدي، وبعض المجتمعات العربية

القريبة مني، ولكنني لا أعرف الصورة المثلى والأيسر للوصول إلى عقل وقلب الإنسان الأمريكي أو الصيني أو الأسترالي أو الأرجنتيني أو الفرنسي أو غيرهم.

□ ثانياً:

مثل هذا المشروع بحاجة إلى تأسيس صندوق لتمويله، وأن يكون ذلك تحت إشراف أيد أمينة، ومقرراً بحملة إعلامية تُركّز على المنطلق في بعده الحسيني، وعلى الأهداف والغايات الإنسانية النبيلة.

□ ثالثاً:

تأمين غطاء قانوني، بلحاظ القوانين المنظمة لعمل الجمعيات الخيرية وجمع الأموال وتحويلها وإنفاقها، والابتعاد عن شبهة تمويل الإرهاب، وغسيل الأموال، وأمثال ذلك.

□ رابعاً:

ضمان حيادية المشروع بالابتعاد عن أية تداخلات أو تجاذبات أو عناوين أو مصالح سياسية أو شخصية، وعن أية خصوصيات ترتبط بالتقليد أو الانتماء الحزبي وأمثال ذلك. وهذا يستدعي بالتبع حسن اختيار اللجنة العليا القائمة على المشروع بهذه اللحاظات.

□ خامساً:

تشكيل اللجان الفرعية المتخصصة، كالتقنية، والميدانية، والإعلامية، وغيرها، والمشكلة من الجنسين، ومن الأعمار المختلفة، مع الاستعانة بالخبراء القانونيين، والمؤسسات الخيرية المنتشرة في العالم، وغيرها من الجهات والأفراد ممن يمكنهم أن يرفدوا هذا المشروع.

□ مشاريع عملية:

وفي ما يلي مقترحات لمشاريع عملية، يمكن أن تكون النواة لهذا النشاط:

١. تشكيل هيئة إغاثية عالمية باسم الحسين «عليه السلام» تابعة لمشروع العولمة، وتبادر إلى تقديم مساعداتها وإغاثة المنكوبين في العالم، في الحروب والكوارث

الطبيعية وأمثال ذلك، تقرباً إلى الله، وبدافع إنساني، واهتداءً بالقيم الحسينية. وما جاء في الخطبة الأولى حول تقديم المساعدات الغذائية للمنكوبين في اليمن يمثل نموذجاً عملياً.. وما أجمل أن تُقدّم هذه المساعدات بعنوان «قافلة الإغاثة الحسينية»، أو «هدية زوّار الحسين».. أو ما أشبه.

ولربما كان في تخصّص هذه الهيئة في مجال توفير المياه الصالحة للشرب لهؤلاء المنكوبين، بما يلبي حاجتهم الآنية ثم بعيد المدى، تناغماً مع مَلَحٍ من ملامح المأساة في يوم الطف.

٢. إعداد حملات إعلامية ميدانية، تُعرّف الناس بالقضية الحسينية. وقد نشرّت وسائل التواصل الاجتماعي مقاطع فيديو لمشروع Who is Hussain? والذي يعمل على التعريف بالإمام الحسين بلغات ومجتمعات وطرق مختلفة ومبتكرة.

في بعض المجتمعات الأوروبية أيضاً، عمل الشباب على توزيع أكواب القهوة الساخنة أو قناني الماء أو ورود حمراء على المارّة، وصمّموا معها بطاقات تحمل شعارات «الحسين محبة» «الحسين حرية» «الحسين الإنسان» ومقتطفات من كلماته وأمثال ذلك. ويمكن أن يُضاف إلى ما سبق حملات إعلانية على اليوتيوب مثلاً والحافلات واللوحات الإعلانية الضخمة الموزّعة في الشوارع، على أن تكون مدروسة فنياً ومن حيث المضمون.

٣. تنظيم ندوات ومحاضرات في الجامعات ومراكز الدراسات العالمية، والمؤسسات الدولية المعنية بالقضايا الإنسانية المعاصرة في عالم الفكر والثقافة والسياسة والقانون، وتتمحور حول القيم والمبادئ الإنسانية في القضية الحسينية، فيما له علاقة بحقوق الإنسان، ومكافحة الفساد، وتحكيم الحريات، لاسيما بلحاظ ما تحمله الثورة الحسينية من قيم تشترك فيها البشرية.

٤. إعداد معارض ومسابقات فنية دولية وعالمية متخصصة في الفن الحسيني، رسماً، وتصويراً، ونحتاً، وفي مجال التصميم الجرافيكي، وتقديم أعمال فنية على المسرح، من قبيل تقديم أوبريت شعري بلغات متعددة وبصبغة قيمية إنسانية جذابة. على أن الملحوظ أن مشاريعنا الفنية تُقام عادةً في مجتمعاتنا الخاصة، أو

على نطاقات ضيقة، وأما الغاية هنا فتتمثل في أن نكسر هذا الطوق، ونخرج إلى آفاق أرحب عالمياً، ونخاطب الثقافات المختلفة من خلال لغة الفن المشتركة.

٥. التواصل والتعاون مع الهيئات الناشطة في هذا المجال والموزعة جغرافياً، والاستفادة من تجاربها وخبراتها.

كانت هذه مجموعة من الأفكار والمقترحات حول عولة القضية الحسينية لتطلق في فضاءات أرحب من الفضاءات التي اخترنا أن نحصرها فيها، وآمل أن نجد من ينبري قريباً لتحقيق هذا المشروع الحيوي.. في يوم ما كنا نتكلم عن ضرورة أن لا نحصر الحسين «عليه السلام» في إطار مذهبي خاص، وأن نجعل إحياء موسم عاشوراء إحياءً يشترك فيه كل المسلمين، وأن لا تتحول القضية إلى مادة للخصومة والنزاع، بل إلى كلمة سواء نعتصم من خلالها بحبل الله جميعاً.. وأما اليوم فيجب أن يكون طموحنا أكبر من ذلك.. أن ننطلق بالقضية الحسينية إلى العالم أجمع، إلى الإنسانية بكل امتدادها الجغرافي، لما تخترنه هذه القضية من قيم ومفاهيم وشعارات في منطلقاتها وأحداثها ومنعطقاتها تلتقي عليها الإنسانية بفطرتها السليمة، ولما توفره وسائل الاتصال والمعلوماتية والسفر من إمكانات كبيرة تيسر تحقيق هذا الطموح، وتحملنا المسؤولية أكثر من أي زمن آخر.





الخطبة الأولى إنسانية رسول الله

قال الله « عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ » (الأنبياء: ١٠٧).

من السمات الواضحة في شخصية النبي « صلى الله عليه وآله » البُعد الإنساني من جهة، والحس المرهف الذي كان يتمتع به تجاه الناس من جهة أخرى، وهو ما يمكن أن يُعبّر عنه بالذكاء العاطفي أو الاجتماعي.. لا سيّما بالمقارنة بما كان عليه الآخرون بهذا اللحاظ. وقد أحدث النبي « صلى الله عليه وآله » بذلك أيضاً انقلاباً كبيراً في البُعد النفسي والاجتماعي لدى الناس من حوله، لا من خلال الكلمة والموعظة فحسب، بل من خلال سيرته العملية أيضاً، مع المسلمين وغيرهم، بل ومع مَنْ يُتوقع أن يقسو عليهم وينتقم منهم. والشواهد على ذلك كثيرة جداً، منها:

□ الشاهد الأول:

أبو عزيز بن عمير، وهو أخو الصحابي مصعب بن عمير، روى عن أمر جرى له قبل أن يُسلم، قال: (كنت في الأسارى يوم بدر) لأنه كان من جيش المشركين حينئذ (فقال رسول الله « صلى الله عليه وآله »: استوصوا بالأسارى خيراً)، ثم روى كيف تصرف المسلمون مع أسراهم تطبيقاً لهذه الوصية، قال: (فمرّ بي أخي مصعب بن عمير، ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شُدَّ يدك به) أي احذر أن يهرب منك (فإنَّ أمه ذات متاع) أي ثريّة (لعلّها تفتديه منك، قال: وكنت في رهطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدّموا غداًهم وعشاءهم،

خَصَّوْنِي بِالْخَبْزِ، وَأَكَلُوا التَّمْرَ؛ لَوْصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» إِيَاهُمْ بِنَا) والخبز عندهم أفضل طعاماً (ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحن بها) أهداني إياها (قال: فأستحيي، فأردها على أحدهم، فإردها عليّ، ما يمسّها). وفي رواية الزُّهري: (وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك، ويزيد، بل وكانوا يحملوننا ويمشون). وكان من بين الأسرى في يوم بدر الشاعر أبو عزة الجُمَحِي الذي كان يؤلِّب ضد النبي والمسلمين، فقال للنبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»: (لي خمسُ بنات، ليس لهنَّ شيء، فتصدَّق عليهم يا محمد، أعطيك موتياً لا أقاتلك، ولا أكثر عليك أبداً). فقبل النبي كلامه وأطلقه.

□ شاهد آخر:

(كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ) منطقة قريبة من الكوفة وذلك في عهد ما بعد النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» (فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ) وأهل تلك المنطقة لم يدخلوا الإسلام بعد (فَقَالَا: إِنَّ النَّبِيَّ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ. فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟).

والغريب أن بعض من جاءوا في عصر لاحق لم يُعجبهم هذا السلوك النبوي ولم يستوعبوه، وذلك نتيجة التحريف والتبديل الذي طال الإسلام في مبانیه الفكرية وتشريعاته وأخلاقياته وآدابه، أو نتيجة خُبث نفوسهم لتشويه صورة الإسلام من الداخل، أو لتبرير سلوكياتهم التي لا تتناغم مع تعاليم الإسلام وسيرة النبي «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، أو للانتصار لرأي فقهي ظنّني تمسّكوا به.

□ محاولات للتلاعب في النص:

ومن هنا، عمدوا إلى التلاعب في النص السابق، أو الإضافة عليه، أو وضع خبرٍ مكذوب، وحاصلها كلها إبطال البُعد الإنساني في التصرف النبوي:

١. أن الصحابيَّين سهل وقيس قالَا في تبرير فعلهما: (إنما قمنا للملائكة).
٢. ونسبوا للإمام الحسن «عليه السلام» أنه قال: (إنما قام رسول الله «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ» تأذياً بريح اليهودي).

٢. وقيل أن: (الحسن بن علي «عليه السلام» كان جالساً ومعه أصحاب له، فمرَّ بجنائزة، فقام بعض القوم ولم يقم الحسن «عليه السلام»، فقال بعضهم: ألا قمنا عافاك الله «عز وجل»؟ فقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقوم للجنائزة إذا مروا بها عليه. فقال الحسن «عليه السلام»: إنما قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرة واحدة لجنائزة يهودي، وكان المكان ضيقاً، فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكره أن تعلو رأسه).

٤. عن عبد الله بن عمرو أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (إنما تقومون إعظاماً للذي يقبض النفوس).

٥. وروي أنه: (مرت جنازة، فقام لها رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقمنا معه، فقلنا: يا رسول الله! إنها يهودية، فقال: إن الموت فزع، فإذا رأيتم الجنائزة فقوموا). - ولذا قال بعض فقهاء المسلمين: (هذا) أي القيام (إما أن يكون منسوخاً، أو يكون قام لعلّة) كما في الروايات السابقة لأنه تأذى من الرائحة وما شابه (وأيهما كان، فقد ثبت أنه) أي النبي (تركه بعد فعله، والحجة في الآخر من أمره) أي في آخر تصرف له في المقام (والقعود أحب إليّ). ومؤدى الكل إبطال البعد الإنساني لديه.

هذا التلاعب والتزوير والتغيير الذي تمّ في خصوص رواية قيام النبي عند مرور جنازة اليهودي، وبما يخالف البعد الإنساني في شخصيته، أو بما يفقده بريقه، قد تكرر في أكثر من رواية ومشهد من مشاهد السيرة النبوية الشريفة، ومن ذلك قصة زواجه من أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب، وهو ما أثار شبهات على شخصية النبي وسلوكه وإنسانيته وشريعته، وسأعالج الموضوع في الخطبة الثانية بإذن الله «عز وجل».

الخطبة الثانية



زواج النبي بصفية

وفي سياق الكلام حول إنسانية رسول الله، تأتي الإشكالية التي أثارها البعض حول زواجه «صلى الله عليه وآله» من أم المؤمنين صفية بنت حُيي، على اعتبار أن المروي أنها كانت من سبي يهود خيبر، وقد قُتل زوجها في المعركة، فأعجب النبي بجمالها، فأخذها لنفسه، وفي رواية أنها كانت من حصّة دحية الكلبي، فأخذها النبي منه، ثم لم يلبث أن عاشرها معاشرة الأزواج، وهو في الطريق إلى المدينة!

في ظل هذه الصورة القاسية، أن تُغلب امرأة على نفسها، ويُعامل معها بهذه الصورة اللاإنسانية، وبعد فترة وجيزة من قتل زوجها، وهي في حالة من الحزن والذهول.. كيف يمكن أن نقول بإنسانية النبي؟ ثم أليست هذه الصورة شبيهة بما فعلته الجماعات التفكيرية الإرهابية؟ وأليست صورة قريبة لما حدث بعد قتل مالك بن نويرة؟ للرد، لابد من وقفة تحليلية مع الخبر، مع الأخذ بعين الاعتبار ما ذكرت حول البُعد الإنساني في شخصية النبي «صلى الله عليه وآله».

□ رواية المغازي:

لنلاحظ أولاً هذه الرواية الواردة في كتاب المغازي للواقدي عن ابنة أبي القين المزني قالت: (كُنْتُ أَلْفَ صَفِيَّةَ مِنْ بَيْنِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ «صلى الله عليه وآله»، وَكَانَتْ تُحَدِّثُنِي عَنْ قَوْمِهَا وَمَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنْهُمْ، قَالَتْ: خَرَجْنَا حَيْثُ أَجَلَانَا رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» فَأَقَمْنَا بِخَيْبَرَ، فَتَزَوَّجَنِي كَنَانَةُ بِنْتُ أَبِي الْحَقِيقِ) في رواية أنها كانت في السابعة عشرة من عمرها حينئذ (فَأَعْرَسَ بِي قُبَيْلُ قُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» بِأَيَّامٍ، وَذَبَحَ جُزْراً، وَدَعَا يَهُودَ، وَحَوَّلَنِي فِي حَصْنِهِ بِسَلَامٍ، فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَن قَمَرًا أَقْبَلَ مِنْ يَثْرِبَ يَسِيرٌ حَتَّى وَقَعَ فِي حَجْرِي، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَكَنَانَةَ زَوْجِي، فَلَطَمَ عَيْنِي فَأَخْضَرَّتْ) أي أسود ما حولها (فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» حِينَ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي) عن إصابتها في عيناها وذلك بعد انتهاء الغزوة (فَأَخْبَرْتَهُ، قَالَتْ: وَجَعَلْتُ يَهُودَ ذَرَارِيهَا فِي الْكُتَيْبَةِ، وَجَرَّدُوا حُصُونِ النَّطَاةِ لِلْمُقَاتَلَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» خَيْبَرَ وَافْتَتَحَ حُصُونِ النَّطَاةِ دَخَلَ

عَلَيَّ كَنَانَهُ، فَقَالَ: قَدْ فَرَّغَ مُحَمَّدٌ مِنْ أَهْلِ النَّطَاةِ، وَلَيْسَ هَهُنَا أَحَدٌ يُقَاتِلُ، وَقَدْ قُتِلَتْ يَهُودٌ حَيْثُ قُتِلَ أَهْلُ النَّطَاةِ، وَكَذَّبْتَنَا الْأَعْرَابُ. (لأن غطفان وعدتهم بالنصرة ثم خذلتهم) فَحَوَّلَنِي إِلَى حَصْنِ النَّزَاذِ بِالشَّقِّ، قَالَتْ: وَهُوَ أَحْصَنُ مَا عِنْدَنَا، فَخَرَجَ حَتَّى أَدْخَلَنِي وَبَنَتْ عَمِّي وَنَسِيَّاتٍ مَعَنَا، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» إِلَيْنَا قَبْلَ الْكُتَيْبَةِ (أي زحف المسلمون على حصن النزار قبل حصن الكتيبة) (فَسَبَّيْتُ فِي النَّزَاذِ قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ النَّبِيُّ «صلى الله عليه وآله» إِلَى الْكُتَيْبَةِ، فَأَرْسَلَ بِي إِلَى رَحْلِهِ، ثُمَّ جَاءَنَا حِينَ أَمْسَى فِدْعَانِي فَجِئْتُ وَأَنَا مُتَقَنِّعَةٌ حَيَّةٌ، فَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «إِنْ أَقَمْتُ عَلَى دِينِكَ لَمْ أَكْرِهْكَ، وَإِنْ اخْتَرْتَ الْإِسْلَامَ وَاخْتَرْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قَالَتْ: اخْتَارُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْإِسْلَامَ، فَأَعْتَقَنِي رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» وَتَزَوَّجَنِي...)) وللرواية تنمة سأناقشها لاحقا.

ثم قالت: (فَكُنْتُ أَلْقَى مِنْ أَرْوَاجِهِ، يَفْخَرْنَ عَلَيَّ يَقُلْنَ: يَا بِنْتَ الْيَهُودِيِّ، وَكُنْتُ أَرَى رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» يَلْطَفُ بِي وَيَكْرُمُنِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا وَأَنَا أَبْكِي فَقَالَ: «مَا لَكَ؟»، فَقُلْتُ: أَرْوَاجُكَ يَفْخَرْنَ عَلَيَّ وَيَقُلْنَ: بِنْتُ الْيَهُودِيِّ، قَالَتْ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» غَضِبَ، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا قَالُوا لَكَ أَوْ فَاحَرُوكَ فَقُولِي: أَبِي هَارُونَ» لَأَنْ أَبُوهَا كَانَ مِنَ الْكُهَنَةِ فَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ (وَعَمِّي مُوسَى)).

وفي المغازي: (كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أرسل بها مع بلال إلى رحله. فمَرَّ بها وبابنة عمِّها على القتلى، فصاحت ابنة عمِّها صياحاً شديداً، فكره رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما صنع بلال فقال: أذهبت منك الرحمة؟ تمرُّ بجارية حديثة السنَّ على القتلى؟! فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لابنة عم صفية: ما هذا إلا شيطان) أي ما جرى من عمل الشيطان، كما جاء في قوله عز وجل على لسان موسى: (قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) «القصص: ١٥»... إلى هنا، النبي «صلى الله عليه وآله» تعامل معها ومع ابنة عمِّها بكل إنسانية متناسبة مع أخلاقه.. ولكن لاحظ كيف دخلت يد التحريف والزيادة والتلاعب في الخبرين بما يُصوِّرُ تصرف النبي «صلى الله عليه وآله» على خلاف ذلك تماماً، وأنه بادر إلى الزواج بها فوراً، وتعامل معها كزوجة بعد ساعات!

١. بالنسبة لخبر بلال، لاحظ كيف تم التلاعب فيه. ففي الطبري عن ابن إسحاق: (أتى رسول الله بصفية بنت حيي بن أخطب وبأخري معها، فمَرَّ بهما

بلال وهو الذي جاء بهما على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهما التفت مع صفية صاحبة وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله قال: اعزبوا عني هذه الشيطانة. وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقي عليها رداؤه فعرف المسلمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد اصطفاها لنفسه).

٢. وبالنسبة لزواجه من صفية، لاحظ كيف تم التلاعب فيه، وبما يخالف الشرع والأخلاق: (قَدِمَ النَّبِيُّ «صلى الله عليه وآله» خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحَصْنَ ذَكَرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ بْنِ أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوساً، فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» لِنَفْسِهِ) لاحظ الرسائل السلبية لتشويه صورة النبي (فَخَرَجَ بِهَا، حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الرَّوْحَاءِ) ٨٠ كم جنوب المدينة علماً بأن خيبر شمال المدينة، وبالتالي هذا لا يصح ودليل على الخلل في الرواية. وفي رواية البخاري «سد الصهباء» وهو يبعد ٢٠ كم تقريباً جنوب خيبر (حَلَّتْ، فَبَنَى بِهَا) أي عاشرها معاشرة الأزواج.

□ رواية تاريخ دمشق:

في تاريخ دمشق لابن عساكر: (عن جابر أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أتى بصفية يوم خيبر وأتى برجلين أحدهما زوجها والآخر أخوها، فذكر الحديث) أي إعدامهما (قال: وبات أبو أيوب ليلة عرس رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدور حول خباء رسول الله «صلى الله عليه وآله» أي عندما اختلى بها ليعاشرها (فلما سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» الوطء قال: مَنْ هَذَا؟ قال: أنا خالد بن زيد. فرجع إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما لك؟ قال: ما نمت هذه الليلة مخافة هذه الجارية عليك. فأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» فرجع).

□ لا وجود لسبي:

ثم لا بد من التنبيه على أمر وهو أن اليهود لما استسلموا، انتهت الغزوة بالاتفاق على حقن دماء المقاتلين الموجودين في الحصون، وترك الذرية لهم، وأن يبقوا في خيبر، ويعملوا في زراعتها، وأن تكون نصف المحاصيل لهم.. فكيف تكون صفية سبيّة؟ ولذا، فإن الذي يمكن أن نفهمه من النص الأول أن النبي «صلى الله عليه وآله» خيرها بين البقاء على دينها ومع أهلها، وبين أن تسلم وتغادر معه إلى المدينة،

فاختارت الثاني.

□ أين العدة؟

ولو افترضنا جدلاً أنها كانت سبباً، إلا أننا نجد بأن المسلمين متفقون على لزوم العدة، وإن اختلفوا في المدة بين الحيضة أو أكثر. قال الشيخ الطوسي في كتابه «الخلافة»: (الأمّة المشتراة والمسببة تعتدّان بقراءين). سواء فسّرنا القرّ بالطهر أو بالحيض.

بل إنها كانت أرملة في أثناء المعركة، وفي الحديث عن الباقر «عليه السلام» قال: (يَا زُرَّارَةُ، كُلِّ النِّكَاحِ إِذَا مَاتَ الزَّوْجُ فَعَلَى الْمَرْأَةِ حُرَّةٌ كَانَتْ أَوْ أَمَةً وَعَلَى أَيِّ وَجْهِ كَانَ النِّكَاحُ مِنْهُ مُنْعَةٌ أَوْ تَزْوِيجاً أَوْ مَلَكَ يَمِينٍ فَالْعِدَّةُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا). وفي بعضها أن عدّة الأمّة نصف هذه المدة. وحيث أن قطع مسافة ٣٠ كم يتم في أقل من يوم، فلا تتحقق العدة، لذا حاول الراوي أن يسد الثغرة فقال أن هذا حصل عند سد الروحاء، أي بعد قطع مسافة ٢٥٠ كم، وهو ما يتطلب مسير ٦ أيام تقريباً، فزاد الطين بلة.. فلماذا يسير النبي ٨٠ كم جنوب المدينة؟

□ ضرورة التثبت من السيرة:

إنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالقيّم التي جاء بها، ومن خلال شخصيته العظيمة التي تجلّت فيها الإنسانية كأروع ما تكون، ومن خلال سيرته العملية المحمودة، مع المسلمين وغيرهم، استطاع أن يحدث انقلاباً كبيراً في البعد النفسي والاجتماعي لدى الناس من حوله، وأن يرقى بهم في أفكارهم ومشاعرهم وسلوكياتهم، ومن المؤسف أن بعض من جاء من بعده لم يستوعبوا هذا البعد الإنساني في شخصيته «صلى الله عليه وآله»، أو تعمّدوا تشويهها لغرض في نفوسهم، فغيّروا وبدّلوا واخترعوا من النصوص ما يتعارض مع هذه الصورة الرائعة، ومن ذلك قصة زواجه من صفية بنت حبي، ومن مسئوليتنا أن لا نستسلم لهذه النصوص ولو جاءت بأسانيد صحيحة، فالتزوير قد طال الأسانيد كما طال المتون، وعلينا أن نجعل القرآن والعقل وثوابت الشريعة والأخلاق أسساً حاكمة عليها.



الخطبة الأولى

الخطوط العامة للشريعة الإسلامية

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ «الأعراف: ١٥٧».

حددت الآية الشريفة الخطوط العامة التي تميز الشريعة الإسلامية التي جاء بها النبي «صلى الله عليه وآله» وتتمثل في نقاط ثلاث:

١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، فليس هناك عمل يأمر به الإسلام، إلا وهو خاضع لعنوان المعروف والخير والانسجام مع الفطرة.. وليس هناك عمل ينهى عنه الإسلام إلا وهو خاضع لعنوان المنكر، أي الذي ينكره الناس في فطرتهم الإنسانية لنتائجه السلبية على حياتهم ولإضراره بهم على المستوى الفردي والجماعي.

٢. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾: فليس في ما أحله الله إلا الطيب المفيد لأجسادهم وأرواحهم والمنسجم مع الذوق الإنساني... وليس في ما حرّمه الله إلا الخبيث الذي تعافه النفس، ويستقذره الذوق، ويضر بالإنسان.

وإذا كان بعض الناس يستطيعون بعض المحرمات أو يعافون بعض المباحات، فلأنهم لا ينظرون إلا إلى الجانب السطحي من تلك الأمور، ولا يتطلعون إلى

أعماقها ليكتشفوا الجانب السلبي في الخبائث، والإيجابي في الطيبات.

٣. ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾: فليس في الإسلام حكم يثقل على الإنسان القيام به، وبما يفوق قدراته وطاقته. كما أنه رفع القيود التي فرضتها بعض الظروف لدى الأمم الماضية، حيث اقتضى الأمر الشدة في التشريع. وبذلك كانت الشريعة الإسلامية شريعة التخفيف والتسهيل ورفع الحرج في كل أحكامها المتعلقة بالفرد أو بالمجتمع.

إننا نؤمن بأن الإسلام من خلال مرتكزاته الإيمانية، وتشريعاته وقيمه، هو الدين الذي يلتقي بالفطرة السليمة للإنسان، ويسعى لتحقيق سلام الحياة في كل قضاياها، وهو السبيل الذي أراد الله «عز وجل» لسائرinen فيه أن يحققوا من خلاله إنسانيتهم، ليتحقق لهم الفلاح في الدنيا والآخرة.

الخطبة الثانية

الرد على المطالبة «بحقوق المثليين»

﴿وَلَوْ طَآءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ «الأنبياء: ٧٤».

عادت إلى واجهة وسائل التواصل الاجتماعي في الكويت الدعوة إلى إعطاء «الشواذ» الحرية، وبحسب تعبيرهم «حقوق المثليين».. وقد لاحظت مؤخراً اشتداد الحملة لا على مستوى الكويت فحسب، بل بشكل أوسع، ولربما نحن مُقبلون على فتح هذا الملف بقوة في الأيام القادمة.

وقبل ٣ سنوات، دعت الأمم المتحدة من خلال بيان وقع عليه اثنتا عشرة وكالة من وكالات الأمم المتحدة، الحكومات في جميع دول العالم بتقنين أوضاع الشواذ.

وقبل سنة ونصف أشاد «أنطونيو غوتيريش» أمين عام الأمم المتحدة بحملة «ثقافة الحب» التي أطلقها مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، في اليوم الدولي لناهضة كراهية المثلية الجنسية ومغايري الهوية الجنسانية ومزدوجي الميل الجنسي. وهذا يستدعي أن تكون لنا وقفة نتبين من خلالها عدة أمور ذات أبعاد فكرية وعلمية وسلوكية لها علاقة بالموضوع.

□ تحديد مفهوم الحرية:

١. للمسألة علاقة مباشرة بمفهوم الحرية، وتحديد المفاهيم - كخطوة أولى - أمر مهم جداً، وإذا لم نستطع حصر المفاهيم وتعريفها بوضوح فإن المجتمع سيعيش حالة من الفوضى. وقد أكدت مراراً وتكراراً أن مفهوم الحرية في الإسلام يختلف عن المفهوم الذي يردده كثيرون ويخلق بالتالي حالة من التوهان الفكري في اتخاذ الموقف من هكذا دعوات.

الذين يدعون لتأمين حرية الشواذ يقولون يجب أن نعطي هؤلاء حريتهم وحقوقهم ما دام أنهم لم يتعرضوا لحرية الآخرين. كلامهم هذا مبني على أساس المفهوم الدارج للحرية، وهو أن حرية الفرد تنتهي حيث تبدأ حرية الآخرين، أي أنت حر ما دمت لم تسيء إلى الآخرين. أما في الإسلام فهذا جزء من مفهوم الحرية، والجزء الآخر هو أن حريتك مقيدة بالتشريعات الإلهية وبالقوانين المنظمة للحياة. فالمسلم ليس حراً في أن يضر نفسه، بأن يقطع يده بلا سبب.. أو أن ينتحر.. لأن الإسلام يعتبر أن الحياة والروح والجسد أمانة الله عندك، ويجب أن تتعامل معها وفق إرادته، لا وفق ذلك المنظور للحرية الذي يعتبر أن من حقه أن تفعل ما تشاء مادمت لم تضر بالآخرين. وليس للمسلم أن لا يصلي.. وأن لا يصوم.. وأن لا يحج.. فهذه أمور لا تصطدم مع حرية الآخرين، ومع هذا فإن المسلم ملزم بهذه العبادات، وهو مسئول أمام الله في هذا الإطار.

ثم هناك تقييد لحرية الإنسان في القوانين التنظيمية أيضاً.. تخيل أن الإشارة المرورية كانت حمراء، وتأكدت من خلوك الشوارع من السيارات.. هل ستكون لك الحرية في أن تعبر في هذه الحالة مع أنك لن تضر أحداً؟ ولو صادف وجود سيارة مرور.. ألن تتم مخالفتك؟

وأخيراً، فإن لكل مجتمع ثقافته ودينه الرسمي وعاداته وتقاليده.. فلماذا تسعى بعض تلك المنظمات الدولية أن تسلب مجتمعاتنا حرية ما اختارته، وتدفعنا لقبول ما اختارته هي؟

□ هل الشذوذ حالة وراثية؟

٢. يتمسك الداعون إلى حرية ممارسة الشذوذ «إعطاء المثليين حقوقهم» باعتبار أنها من حقوق الإنسان ومن الحقوق المدنية، بادعاء أن العلم يُثبت بأن هذا الشذوذ أمر طبيعي، على اعتبار أن الشاذ يرث جيناً معيناً يجعله يميل إلى مثله، لا أنه متمرد على فطرته، وشاذ في سلوكه. حتى خرج علينا موقع قناة العربية قبل مدة بالعنوان التالي: «دراسة: المثلية الجنسية تخضع للجينات الوراثية... مما يجعل صفة المثلية الجنسية صفة بيولوجية وليست اختيارية». وهذا جزء من الحملة الإعلامية المروّجة لهذا المشروع، مما يؤكد ضرورة مواجهتها.

لا بد من التنبيه بدءاً إلى أننا لا نتحدث عن حالات نادرة جداً يولد فيها الطفل وله جهازان تناسليان مختلفان.. فمثل هذه الحالة لها تشريعاتها الخاصة، ويُعامل معها وفق أسس معينة. كلامنا عن الذكر كذكر، والأنثى كأُنثى، حين يقيم كل منهما علاقة مع فرد آخر من جنسه، تحت عنوان الزواج أو من دونه.. فهل العلم يدعم القول بأن مثل هذه الحالات طبيعية؟

أ - الجمعية الأمريكية لعلم النفس American Psychological Association - APA التي وإن كانت تدافع عن «حقوق الشواذ» إلا أنها تعترف بوضوح أنه: (على الرغم من أن الكثير من الأبحاث قد فحصت التأثيرات الوراثية والهرمونية والتنموية والاجتماعية والثقافية المحتملة على التوجه الجنسي، إلا أنه لم تظهر أية نتائج تسمح للعلماء باستنتاج أن التوجه الجنسي يحدده أي عامل أو عوامل معينة).

ب - وفي كتاب (استكشاف الأبعاد الجنسية للإنسان) Exploring the Dimensions of Human Sexuality لجيرولد كرينبيج: أستاذ الصحة السلوكية والاجتماعية و«كلينت بروس: كان عميداً لإحدى كليات التربية الأمريكية» و«سارة كونكلين: أستاذة علم النفس العصبي»، نجد أن: (البحث في العوامل الوراثية

التي تؤثر على الشذوذ الجنسي لم يصل إلى نتائج حاسمة. لم يتم تشخيص جين محدد... وهكذا الأمر بالنسبة إلى تأثير الخل الهرموني في الإنسان.. لم يتم إثبات أية نظرية علمية حول الأسباب البيولوجية للتوجه الجنسي، ولا أية نظريات نفسية).

وكذلك فإن كتاب: «جيناتي جعلتني أفعل ذلك.. الشذوذ الجنسي والدليل العلمي» My Genes Made Me Do It! Homosexuality and the Scientific Evidence للدكتور «نيل وايتهد: أخصائي الكيمياء الحيوية والإحصاء، وقد عمل في الحكومة النيوزيلندية كباحث لمدة ٢٤ عاماً، ثم قضى أربع سنوات في العمل لدى الأمم المتحدة والوكالة الدولية للطاقة الذرية، ثم كمستشار للجامعات اليابانية» ينفي وجود دليل علمي على أن الجينات هي السبب في وجود الشذوذ، ويقول: (لقد توصلت ثمانين دراسة رئيسة لتوأمين متطابقين في أستراليا والولايات المتحدة والدول الاسكندنافية خلال العقدين الماضيين إلى نفس النتيجة: لم يولد المثليون جنسياً بهذه الطريقة).

كانت بداية هذا الادعاء عندما نشر الدكتور دين هامر دراسة في مجلة Science وهي واحدة من أهم المجلات العلمية العالمية ادّعى فيها عثوره على جين مسئول عن الشذوذ. ثم جاءت المجلة في عدد ٢٣ أبريل ١٩٩٩: (قبل ٦ سنوات، أعلن عالم الوراثة الجزيئية الدكتور دين هامر وزملاؤه أنهم عثروا على رابط وراثي لمثلية الذكور. الآن يعلن فريق بحث عن فشله في العثور على صلة بين المثلية الجنسية وذلك الجزء الكروموسومي الذي حدده هامر، وأن النتائج توحي بأنه إذا كان هناك ارتباط، فإنه ضعيف إلى درجة أنه ليس مهماً).

□ أمراض معدية:

٢. أين المطالبون بما يسمونه «حقوق المثليين» من الإحصائيات والدراسات العلمية الخاصة بالأمراض البشعة والخطيرة الناجمة عن هذه الممارسة الشاذة؟ الإيدز، التهاب الكبد الفيروسي، سرطان الكبد، تشمع الكبد، الزهري، السيلان، الكلاميديا، سرطان القولون، سرطان البروستات.

□ الشذوذ والتعاطي:

٤. هناك علاقة قوية جداً بين الشذوذ وبين تعاطي المخدرات وإدمان

الكحوليات. المعهد الوطني لتعاطي المخدرات «الولايات المتحدة»: (وفقاً لبيانات عام ٢٠١٥ من المسح الوطني حول استخدام المخدرات والصحة، فإن البالغين الذين تم تعريفهم على أنهم من «الشواذ» كانوا أكثر عرضة من «غير الشواذ» لاستخدام المخدرات في العام الماضي «١, ٣٩ ٪ مقابل ١, ١٧ ٪»، وبحسب مسح آخر أجري عام ٢٠١٣ فإن استهلاك «الشواذ» للكحول في المناسبة الواحدة أكثر من غيرهم، وأنهم بدءوا بتناول الكحول في سنٍ أقل من غيرهم).

□ ضرورة البحث العلمي والتوعية:

إن الدعوات المشينة التي انتشرت أخيراً لتطبيع أوضاع الشاذين جنسياً في مجتمعنا، والمطالبة بما أسماه «حقوق المثليين» تحتاج إلى مواجهة فكرية وتوعية مجتمعية تقوم على أسس فكرية علمية ونفسية وتربوية ودينية، وذلك من خلال توضيح مفهوم الحرية وحدودها، بلحاظ أن الفضاء الفضفاض للمفاهيم يسمح لتغلغل الكثير من التصورات والممارسات السلبية في المجتمع. ومن ثم التأكيد بالأدلة البحثية الرصينة على بطلان كل الادعاءات التي يتمسك بها دعاة «حقوق المثليين» حول وجود دليل علمي يُثبت أن الشواذ يولدون هكذا، وأن المسألة جينية بحتة، وأخيراً الدور التوعوي حول المخاطر الصحية الكبيرة الناجمة عن الممارسات الشاذة، وارتباطها أيضاً بإدمان المخدرات والكحوليات.





الخطبة الأولى

بين الكذب والإيمان

عن الإمام العسكري «عليه السلام» أنه قال: (جُعِلَتِ الْخَبَائِثُ كُلُّهَا فِي بَيْتٍ، وَجُعِلَ مِفْتَاحُهَا الْكَذِبُ).

الكذب يجريء الإنسان على فعل الخبائث... فالإنسان الصادق يخاف أن يُسأل عن فعله المشين، فإن قال الحقيقة افْتُضِحَ، ولذا فهو يتجنب الخبائث قدر الإمكان حفاظاً على سمعته، أو تجنباً للعقوبة، أو لتبعات أخرى مترتبة على ذلك الفعل القبيح والخبث والمنكر. ومن هنا، نستطيع القول أن الكذب يفتح للإنسان أبواب جهنم في الآخرة.

من جهة أخرى يقول «عز وجل»: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ «النحل: ١٠٥».

إنما «أداة حصر»، وهذا يعني أن الذي يتعمد الكذب، ويختلقه لأغراض باطلة، لا يمكن أن يكون من المؤمنين بآيات الله، وبالدلائل الواضحة على وجوده سبحانه وإحاطته بالأمور، وعلى عدله المستلزم للحساب والثواب والعقاب في الآخرة. لأن الإنسان الذي يؤمن بهذه الدلائل، سيعلم أنه محاسب على هذا الكذب، كما أنه سيحاسب حساباً شديداً على الخبائث والمنكرات التي سيرتكبها انطلاقاً من أنه استسهل الكذب.. ولذا فسيرتدع عنها بشكل كبير، ولربما بشكل كامل.

وقد روي أن عبد الله بن جرّاد سأل النبي «صلى الله عليه وآله»: (هل يزني المؤمن؟



قال: قد يكون ذلك، قال: هل يسرق المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك، قال: هل يكذب المؤمن؟ قال: لا. ثم أتبعها النبي(ص): ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

إن الكذب من كواشف بواطن الإنسان وحقيقته، وإن أردت أن تعرف مدى عمق الإيمان ومصداقيته عند الآخرين، سواء عند الرغبة في تكوين الصداقات، أو مسائل الخطوبة والزواج، أو غير ذلك من المجالات الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية، فإن الاتصاف بالصدق على طول الخط، أو الكذب، يعد من أوائل وأهم تلك العلامات والدلائل، لاسيما بلحاظ ارتباط الكذب بعدم الإيمان وبالنفاق أيضاً كما جاء في القرآن الكريم. وقد روي عن الإمام الصادق«عليه السلام» أنه قال: (لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإن ذلك شيء قد اعتاده، ولو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته).

الخطبة الثانية

التدوير المعلوماتي وحيل الروابط

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ «الحجرات:٦».

تقدم هذه الآية الشريفة قاعدة ذهبية في كيفية التعامل مع المعلومة، وضرورة التثبت منها، لا سيما بلحاظ إمكانية الخطأ، والوهم، والتعمد في الكذب، وخبت النوايا، وغير ذلك من العوامل التي تصبح معه المعلومة في بعض الأحيان غير حقيقية، أو مختلقة عن عمد.

هناك مقولة باللغة الإنجليزية ترجمتها كالتالي: (الكذبة تسافر حول نصف

الكرة الأرضية بينما ما زالت الحقيقة ترتدي حذاءها) .. هذه المقولة اليوم صادقة أكثر من أي زمن مضى.

قبل عقود، كانت هناك بضعة وسائل إعلام عالمية، وهي عبارة عن بضعة صحف ووكالات أنباء، تجمع الأخبار من كل مكان، ثم تُعيد بثّها بطريقتها الخاصة، حيث تُضخم ما تشاء من الأخبار، وتُخفي أو تُضعف أهمية ما تشاء. انفجار المعلوماتية اليوم وسرعة انتقال المعلومة وفّر البيئة المناسبة لعدة صور من تزيف الأخبار مع إكسابها الوثاقة، والتوجيه المعلوماتي المتعمّد، والتضليل المعلوماتي... إلخ.

□ التدوير المعلوماتي:

هناك وسيلة تُعرف بعنوان Circular Reporting أي «التدوير المعلوماتي» ويعني:

١. أن تنشر إحدى المصادر المعلوماتية خبراً كاذباً، فتقوم مصادر أخرى بإعادة نشر هذه المعلومة، ثم يقوم المصدر الأول بالإشارة إلى تلك المصادر على أنها منبع تلك المعلومة، ليضل بها الرأي العام، ولربما بهدف إكسابها شيئاً من الوثاقة، أو تكثير عدد القائلين بها.

٢. أن يقوم شخص باختلاق معلومة كاذبة، فتأخذ عنه - وفي آن واحد - مجموعة من المصادر، ثم يعتمد أحدهم على هذه المعلومة، وكأنها صادرة عن أكثر من مصدر، والواقع أن المصدر واحد، ولكن وسائل النشر تعددت. هذا النموذج الثاني يُدرس أيضاً في مجال نقد الحديث، حيث نجد عدة روايات تحتوي على مضمون كاذب، ثم يتبين لنا أنها في الواقع رواية واحدة، ولكن أعيد نشرها بطرق متعددة، فيتوهم الباحث أن المضمون صدر عن القائل عدة مرات، فيتصور أنه مضمون صحيح.

مثلاً، في سنة ١٩٩٨، إحدى المجلات التي يُطلق عليها Pseudo-Scientific Papers أي الصحف أو المجلات الناشرة للعلوم الزائفة، حيث لا تعتمد على المنهجية العلمية، قامت بنشر معلومة كاذبة مفادها أن التطعيم «اللقاحات» من أسباب حدوث التوحّد لدى الأطفال. في الولايات المتحدة، ومن خلال التدوير المعلوماتي، أوجدت هذه المعلومة الكاذبة جماعات مضادة وكبيرة ومنشرة

تحمل عنوان Anti-Vaccination Movements «حركات مكافحة التطعيم»، ويستجيب لها كثير من الناس، يرفضون تطعيم أطفالهم، ويجعلونهم عرضة لمختلف الأمراض المعدية والخطيرة.

مثال آخر: الموسوعة الإلكترونية «ويكيبيديا» مفتوحة لأي شخص، بحيث يستطيع مَنْ يشاء أن يُضيف ما يشاء من معلومات إلى أي عنوان يشاء، ودون الاستناد إلى مصدر، أو بالاستناد إلى مصادر وهمية، أو عن طريق الافتراء على مصادر حقيقية. ثم تدخل هذه المعلومة الكاذبة من خلال «التدوير المعلوماتي» إلى مقالات صحفية وبحوث وكتب وكأنها معلومات مسلمة وحقيقية، بل ومن الصعب تتبّع مصدرها لتقييمها، لتصبح بمرور الزمان وكأنها معلومة موثوقة.

وساعدت رغبتنا في الحصول على معلومات سريعة في تيسير أمر القائمين على نشر المعلومات الكاذبة عن طريق هذا التدوير، وأنستنا ضرورة التثبّت والتحقق من مصداقيتها. بينما من المفترض أن نكون أكثر حذراً عند علمنا بأن إضافة المعلومة الكاذبة أصبح متاحاً للمليارات الناس، مما يزيد من احتمال اختلاق أو ضعف المعلومة أكثر من أي زمن مضى.

هذا الأسلوب يمثل أهمية خاصة لدى بعض الأجهزة المخبراتية الدولية، التي تعمل على إثارة النزاعات الطائفية والقومية والدينية وغيرها، من خلال وسائل البحث في الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي كالفيسبوك والتويتر.

□ حيل الروابط:

وهناك أسلوب آخر، يتمثل فيما يُعرف بعنوان «حيل الروابط».. فمنذ مدة وأنا ألاحظ أنه كلما بحثت عن موضوع يرتبط بالشيعة أو أهل البيت أو أحد مراجع الدين أو الشعائر الحسينية وأمثال ذلك، أن النتائج الأولى التي تظهر لي، هي لصفحات أو مقاطع فيديو لأشخاص لهم صفة دينية ما، ولكن أجنداتهم المخبراتية، أو على الأقل استغلالهم من قبلها أمر معروف. والناس عادة يهتمون بالنتائج الأولى، ويتكاسلون في البحث عن المزيد.. وهذا ما دفعني للتساؤل عن سبب ظهور النتائج بهذه الصورة وبشكل متكرر، لاسيما بلحاظ أن هؤلاء لا يمثلون قيمة علمية، وليس في المحتوى المقدم أهمية علمية، بل وعادة ما يشتمل على إساءات وإثارات.

المسألة حقيقةً موجّهة ومقصودة وليست بريئة أبداً... الدكتور عادل عبد الصادق في كتابه «الفضاء الإلكتروني والثورة في شئون أجهزة الاستخبارات الدولية» يقول: (من أدوات نشر الأفكار، تأتي محرّكات البحث التي تُنتج المعلومات وتقدّمها من خلال قواعد بيانات ضخمة، وتستطيع أن تسيطر على أفكار المستخدم من خلال ما يتم طرحه من نتائج بحث حول أفكار أو قضايا معينة، وهو ما قد يتضمن تحيّزات أو توجّهات خاصة للقائمين على تلك المحركات، أو نشر المعلومات المستهلكة أو القديمة التي تحتوي على معلومات مغلوبة).

والطريف أن الرئيس الأمريكي في نهاية شهر أغسطس كتب تغريدة اشتكى فيها من تحكّم «قوقل» وتلاعبها في النتائج التي تظهر عند البحث حول اسمه، عن طريق «حيل الروابط»، بحيث تجعل معظم الأخبار والموضوعات المطروحة عنه سيئة، ثم هدّد باتخاذ الإجراءات المناسبة ضدها: (إنهم يتحكمون فيما نستطيع رؤيته وما لا نستطيع، إنه موقف خطير جداً).

وهكذا يقوم مجلس الشيوخ الأمريكي بالاستماع لشهادة مسؤولين بارزين في قوقل وفيس بوك وتويتر بشأن ما إذا كانت روسيا حاولت التأثير على الانتخابات في الولايات المتحدة عبرها.

□ إنفاقات مخبراتية ضخمة:

صحيفة الغارديان البريطانية ذكرت ذات مرة أن الوثائق التي سرّبها «إدوارد سنودن» المسئول عن «ويكيليكس» تُظهر أن إحدى الجهات المخبراتية الدولية تنفق سنوياً ٢٥٠ مليون دولار على برنامج يعمل مع شركات للتكنولوجيا، للتأثير سراً على تصاميم منتجاتها وأهداف أخرى.

□ الذباب الإلكتروني:

تقرير آخر يتحدث عن الجهات المخبراتية التي توظف حسابات آلية مبرمجة يُطلق عليها «الذباب الإلكتروني» وتعمل على خلق أو تبني الإشاعات، وإعادة نشرها في مواقع مختلفة، لا سيما من خلال وسائل التواصل الاجتماعي.. هذه وسيلة ثالثة تعمل عليها أجهزة المخابرات.

وقد لاحظت مؤخراً، كما لاحظ غيري، كثرة مقاطع الفيديو على اليوتيوب

والتي تعيد إحياء المقبور صدام إعلامياً، وهذا جزء من مشاريع اسخباراتية لإبقاء المنطقة في حالة غليان.

ويعتبر الكيان الصهيوني من الدول الأكثر تقدماً ونشاطاً في استخدام الجيوش الإلكترونية، وقد أنشأت وحدات إلكترونية داخل الجيش الإسرائيلي، وقد أعلن في صيف ٢٠١٧ عن صندوق ليبرتاد، وهو صندوق استثماري أنشأه الموساد ويختص في هذا المجال.

□ مسؤولية إعادة النشر:

إننا اليوم، وفي ظل الانفجار المعلوماتي، وسرعة انتقال الخبر، ودخول أجهزة المخابرات الدولية كالموساد على الخط، نعيش تحدياً معلوماتياً غير مسبوق، يستوجب منا المزيد من الثبّت والدقة والحرص في تبني المعلومة أو إعادة نشرها، لا سيما بلحاظ أننا مسؤولون أمام الله عما نعيد نشره، وليس فقط عما نذكر ابتداءً.. وما الاحتيال عن طريق التدوير المعلوماتي وحيل الروابط والذباب الالكتروني وأمثال ذلك إلا نماذج من التلاعب في نتائج البحث والتأثير على المستفيدين في عالم الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، وقد قال «عز وجل»: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

□ انتصار المقاومة الفلسطينية:

وقبل أن أختتم لابد أن أشير إلى النصر الذي تحقق على يد المقاومة الفلسطينية مؤخراً فأسكت العريضة الصهيونية، ووجهت لها صفعه قوية، ولقنتها درساً في إطار توازن الرعب الذي يُجبر العدو على أن يفكر ألف مرة قبل أن يُقدم على أية حماقة من حماقاته، وهو ما دفع وزير الحرب الصهيوني إلى الاستقالة وهو يجرّ أذيال الخيبة والفضيحة العسكرية.. هذا النصر الذي سعت وسائل الإعلام العالمية والإقليمية إلى التغافل عنه، وتقزيم صورته، هو مثال آخر من أمثلة التحيز والتحايل في تقديم المعلومة وفق مصالح وغايات معينة



الخطبة الأولى

إيجابيات الخيال وسلبياته

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾
«النجم: ٢٨».

القدرة على التخيل نعمة من نعم الله «عز وجل» على الإنسان، وجزء من قدرتنا على التعامل مع المواقف المعقدة، وابتكار الحلول أو الوسائل التي تخدمنا في الحياة. فالإبداع في العلوم، والصناعة، والتجارة، والفكر، والأدب، والفن، وغير ذلك إنما هو من نتاج الخيال البشري.. وهناك عدد ملحوظ من الابتكارات العلمية كانت جزء من الخيال العلمي.

وللخيال فوائد أخرى عديدة.. فالأطفال الذين يعانون من مشاكل نفسية، على سبيل المثال، يُعالجون طبياً من خلال توظيف اللعب والخيال لمساعدتهم على التأقلم مع الحياة. حتى بالنسبة إلى الكبار، يتم توظيف القدرة على الخيال في معالجة القلق أو الفوبيا أو الاكتئاب مثلاً، حيث ينصح الأطباء مرضاهم بتخيل نهايات سعيدة، أو نتائج ايجابية، أو أماكن هادئة وأمثال ذلك.

وفي المقابل، هناك آثار سلبية للخيال.. فالظن السيء بالإنسان البريء يكون في بعض الأحيان نتاج الخيال.. والروى الباطلة في المنامات والتي يُرتب عليها الإنسان آثاراً عملية ضد مصلحته أو مصلحة الآخرين، هي نتاج نوع من الخيال.. بل قد يكون الخيال سبباً من أسباب انحراف الإنسان، فكرياً وسلوكياً.



فالخرافة من نتاج هذه القدرة البشرية.. وعادة ما تستتبع الخرافة سلوكاً خاطئاً، ولا تتوقف عند حد الفكرة، وهو ما يزيد من سلبيتها، بل ومخاطرها أحياناً. وللإسلام موقف واضح وحاد من الخرافة، وسأتحدث في الخطبة الثانية بإذن الله عن هذه النقطة، وكيف واجه النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» والإمام الصادق «عليه السلام» الخرافة.

الخطبة الثانية

الصادقان في مواجهة الخرافة

قال «عز وجل»: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ «الأنبياء: ١٠٧».

الخرافة قد تكون تاريخية، من قبيل الحق التاريخي للإسرائيليين في أرض فلسطين.. أو علمية من قبيل أن الأرض مسطحة.. أو اعتقادية من قبيل أن الرقم ١٣ يجلب النحس.. وغير ذلك. إلا أن الخرافة المرتبطة بالدين أشد تلك الأنواع خطورة من حيث نتائجها المصيرية.

فنحن كمسلمين نؤمن بالآخرة، وأن الحياة الدنيا بالنسبة إلى الإنسان مجرد محطة للعبور، ومن خلالها يُحاسب إيمانياً وسلوكياً، فَيُنْعَم أو يُعَذَّب. ولو تشاءم شخص من الرقم ١٣، فلم يكتبه ضمن أرقام مصعد العمارة مثلاً.. أو طرق على الخشب خوفاً من تأثير العين.. أو رش الملح بطريقة معينة لطرد الحظ السيء.. فإنه لم يرتكب بذلك ما يستوجب العقاب الأخروي.

ولكن أن يتخيّل وجود آلهة شريكة مع الله، فيعبدوها، فهذا تبدو خطورة الخرافة المرتبطة بالدين، لأن المسألة حينئذٍ سترتبط بمصيره الأخروي.

□ كيف تنشأ الخرافة؟

والسؤال: كيف تنشأ الخرافة لتتحول إلى دين؟

الإنسان بحسب فطرته يبحث عن علل الأشياء، وعن الحقيقة، ولكن قوة الخيال لديه قد تحرفه عن ذلك.. فهذا الماشي في الصحراء في ليلة مظلمة قد يسمع صوتاً أو يشعر بحركة مريبة، يمتزج عنده الخوف والقلق مع الخيال، فيتصوّر وجود ما لا حقيقة له.

وهنا تظهر الكائنات الخرافية في تصوّرات الناس.. الغول.. الأرواح الشريرة.. السعلاة.. وحين يتكرر الموقف، أو يسترجع الحدث، أو يحكيه إلى الآخرين، فد يتحوّل لديهم إلى حقيقة أيضاً.

الرغبة في دفع ضرر هذه الوجودات أو عموم المؤثرات الوهمية، قد تدفع الناس إلى ابتكار سلوكيات ووسائل من قبيل: تعليق حدوة حصان، أو عين زرقاء، أو رش الملح، وأمثال ذلك، لتظهر بذلك السنن والعادات الخرافية. والأسوأ أن تصبح بظن البعض جزء من الدين، وأن تتحول بعض الوجودات التي يصوّرها خيالنا إلى قوى عظيمة مؤثرة في اعتقاد الإنسان، وهي الآلهة، ثم يتقرب إليها الإنسان بالعبادة.

جانب من كون بعثة النبي «صلى الله عليه وآله» رحمةً للعالمين، هي دعوته إلى الإيمان بالحقائق القائمة على الأدلة، ورفض ما هو وهم، وعدم اتباع الظن ما لم يرتق بالدليل إلى مرتبة العلم والحقيقة: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ «النجم: ٢٨». وذلك لما لهذه الخرافات من أثر أخروي من جهة، وأثر دنيوي من جهة أخرى، ويتمثل في الإصر والأغلال التي تُثقل حركة الإنسان في الحياة وتربكها وتقيدّها.

□ بين التنجيم وعلم الفلك:

في ارتباط الإنسان بالفلك - على سبيل المثال - لدينا علم الفلك Astronomy، ولدينا التنجيم Astrology .. موقف الإسلام من الأول إيجابي. قال «عز وجل»: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ

اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴿١٨٥﴾. «الأعراف: ١٨٥». أما بالنسبة إلى التنجيم، والذي كان شائعاً في ذلك الوقت، فالموقف على العكس تماماً.. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله» جَالِسٌ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ رُمِيَ بَنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ) أي شاهدوا في السماء شهاباً أو نيزكاً أعقبه انفجار ضوئي (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»: «مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ لِمِثْلِ هَذَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ؟» قَالُوا: كُنَّا نَقُولُ: يَمُوتُ عَظِيمٌ أَوْ يُولَدُ عَظِيمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»: «فَإِنَّهُ لَا يَرْمَى بِهِ لِمُوتٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ»).

ولما توفى ابنه إبراهيم، صادف أن انكسفت الشمس، فتحدث البعض عن ارتباط هذا بذاك، وكان بإمكانه «صلى الله عليه وآله» أن ينتهز الفرصة لصالحه، لتعظيم مكانته، ولكنه لم يفعل بل بادر: (حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَاتَّقَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمُوتٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاةِ أَحَدٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَافْزِعُوا إِلَى الْمَسَاجِدِ»).

□ توظيف الخرافة:

اليوم يرى البعض أنه لا مانع من الاستفادة من الخرافة والأفكار الجاهلية لمصلحة الدين.. إلا أن تصرف النبي «صلى الله عليه وآله» السابق أبلغ ردٍّ على ذلك، لأن السكوت عنها أو توظيفها سيترك أثراً عميقة قد لا تجبر.

ولنلاحظ أن ذلك التنجيم تحول في التاريخ إلى إيمان بالوهمية تلك الأجرام السماوية، فعبدوا الشمس والقمر والزهرة وغيرها. لم ير النبي «صلى الله عليه وآله» مشروعية في أن يتم توظيف جهل الناس لحساب الدين، بل كان يعمل على تحريرهم من الجهل: (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ).

ومن أنواع المعتقدات الخرافية التي كانت ولا زالت سائدة في التأثير الفلكي على ما يجري للناس، ارتباطها بسعادة الأيام والأزمنة ونحوستها.. فالقمر في مسير حركته يقترب من مجموعة من النجوم المتقاربة التي تشكل رسمة تخيلية تشبه العقرب، فيقولون «القمر في العقرب». فإذا دخل القمر في برج العقرب - مثلاً - فإن الشروع بأي عمل يكون نحساً.

وقد روي أن رجلاً سأله «صلى الله عليه وآله»: (أَيَّ يَوْمٍ أَحْتَجِمُ؟ قَالَ: «الْأَيَّامُ كُلُّهَا

للّه)). هذه هي القاعدة في النظرة إلى الزمن.. وللأسف فإن هذه المعتقدات الخرافية الجاهلية تحولت أحياناً وبالوضع والدس إلى روايات عن الأئمة «عليهم السلام»، لتتحول بعد ذلك إلى مفردة من المفردات الدينية، على الرغم من أن موقفهم الحقيقي «عليهم السلام» لم يختلف عن موقف النبي «صلى الله عليه وآله».

□ صدقة أم تنجيم؟

لاحظ هذه الرواية عن الإمام الصادق «عليه السلام» والتي تبين موقفه من قضية التنجيم والتأثيرات الفلكية في جلب السعادة والشقاء، والخير والشر.. في الكافي قال «عليه السلام»: (كان بيني وبين رجل قسمة أرض، وكان الرجل صاحب نجوم وكان يتوخم ساعة السعود فيخرج فيها وأخرج أنا في ساعة النحوس، فاقسمنا فخرج لي خير القسمين، فضرب الرجل بيده اليمنى على اليسرى، ثم قال: ما رأيت كالיום قط! قلت: ويك؟) من المحتمل أن كلمة قال التالية وضعت في المكان الخطأ: (ألا أخبرك ذاك؟ قال: إني صاحب نجوم أخرجتك في ساعة النحوس، فخرجت أنا في ساعة السعود، ثم قسمنا، فخرج لك خير القسمين فقلت: ألا أحدثك بحديث حدثني به أبي «عليه السلام» قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من سره أن يدفع الله عنه نحس يومه) أي الشر المحتمل وقوعه في ذلك اليوم، لا من خلال تأثير الكواكب والنجوم (فليفتتح يومه بصدقة يذهب الله بها عنه نحس يومه، ومن أحب أن يذهب الله عنه نحس ليلته فليفتتح ليلته بصدقة، يدفع الله عنه نحس ليلته. فقلت: إني افتتحت خروجي بصدقة، فهذا خير لك من علم النجوم).

□ بين التنجيم وعلم الفلك:

وروى الحسن بن مسعود، ولعل الأصح الحسن بن سعيد الأهوازي: (دخلت على أبي الحسن علي بن محمد «عليه السلام» وقد نكبت إصبعي، وتلقاني راكب وصدم كتفي، ودخلت في زحمة فخرقوا عليّ بعض ثيابي، فقلت: كفاني الله شرك من يوم، فما أيشمك. فقال «عليه السلام» لي: يا حسن، هذا وأنت تغشانا ترمي بذنبك من لا ذنب له؟ قال الحسن: فأثاب إليّ عقلي، وتبينت خطأي، فقلت: يا مولاي، أستغفر الله. فقال: يا حسن، ما ذنب الأيام حتى صرتم

تتشئون بها إذا جوزيتم بأعمالكم فيها؟ قال الحسن: أنا أستغفر الله أبداً، وهي توبتي يا ابن رسول الله..... قال «عليه السلام»: لا تعد، ولا تجعل للأيام صنعا في حكم الله، قال الحسن: بلى، يا مولاي).

□ الترغيب في التفاؤل:

في المقابل نجد نصوصاً عديدة تتحدث عن ترغيب النبي «صلى الله عليه وآله» وآله «عليه السلام» في التفاؤل، لما له من أثر نفسي إيجابي، وتحفيز على الجِد في العمل.. كان النبي «صلى الله عليه وآله» يتفاعل مثلاً بالأسماء ذات الدلالات الجميلة، ويعلق على ذلك علناً ليعزز الدافعية في نفوس أصحابه.

هذا لا يعني أن لاسم ذلك الشخص مدخلة في النتائج الإيجابية التي قد تترتب، بل توظيف الانفعال النفسي الإيجابي في تحقيق أو تعزيز الدافعية لديه ولدى الآخرين.

□ علم النفس الإيجابي:

في سنة ١٩٩٨ تم تأسيس علم النفس الإيجابي Positive Psychology على يد عالم النفس مارتن سيليجمان، والذي يركز على دراسة مواطن القوة والإبداع، ودور الخصائص الإنسانية الإيجابية مثل الرضا، والتفاؤل، والعفو، والتسامح، والأمل، والإيثار... إلخ في تحقيق وتعزيز السعادة الشخصية للفرد، وتحسين جودة حياته، وزيادة فعالية المؤسسات بصفة عامة.

وقد توصل المختصون في هذا المجال إلى أن تمتع العاملين بالتفاؤل والأمل يمنحهم:

١. قدرة أكبر على أداء وإكمال مهامهم الوظيفية بصورة أفضل.
٢. الشعور بالرضا والسعادة والالتزام في العمل، والصمود أمام العقبات والضغط.
٣. القدرة على ضبط النفس، وبالتالي التركيز المستمر في أداء الأعمال.
٤. التفكير المستقبلي الذي يدفعهم إلى الأمام لأداء مهام أكبر والنمو والازدهار والإنتاجية.

□ رفع الأغلال:

لقد جاء في وصف القرآن الكريم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه الذي: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ ثم أعقب ذلك بالثناء على الذين ﴿آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وهذا يعني أن من مسئوليتنا كمؤمنين بهذه الرسالة أن نعمل على تحقيق تلك الأهداف والغايات التي ذكرتها الآية الشريفة في ضمن وصفها للنبي ورسالته، ومن بينها أن نرفع الإصر والأغلال التي تُثقل حركة الإنسان في الحياة، لا سيما تلك التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة، بل هي قائمة على الأوهام والخيالات، وتحوّلت من خلالها الخرافة إلى حقائق في عُرف الناس وفي معتقداتهم وفي سلوكياتهم، فأرهقَتْهم جسدياً وفكرياً ومالياً، وصارت بالنسبة إلى البعض وسيلة من وسائل ابتزاز أموالهم، أو عائقاً من العوائق الكثيرة التي تمنع من الانطلاق في الحياة بكل رحابتها، دون أن يمتلك هؤلاء الأساس العقلي أو الشرعي المتين الذي يستندون إليه في ذلك.





الخطبة الأولى

فتن اليهود في المدينة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾
«المائدة: ٥١-٥٢».

كان لليهود قبل هجرة النبي «صلى الله عليه وآله» نوع من السيطرة على المشهد في يثرب من خلال الدسائس التي كانوا يحيكونها أحياناً بين الطرفين الرئيسيين المتنازعين فيها، ومن ثم عن طريق تقديم الولاءات للأفراد والمجاميع التي يتألف منها كل من الأوس والخزرج.

فهذه القبيلة اليهودية تدعم فلاناً من الأوس، أو فرعاً من فروعهم، وتشكل نوعاً من التحالف.. وتلك الشخصية اليهودية تدعم علاناً، أو فرعاً من فروع الخزرج.. وهكذا.

□ صور من الولاء:

هذا الدعم «الولاء» كان يأخذ صوراً متنوعة، من قبيل الإقراض الربوي، التزويد بالسلاح، وغير ذلك.. إلا أنه عندما هاجر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى يثرب، تغير المشهد بصورة كبيرة.



حتى أنه روي أن عبادة بن الصامت جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: (يا رسول الله، إن لي أولياء من اليهود كثيرٌ عددهم، قويةٌ أنفسهم، شديدةٌ شوكتهم، كثيرٌ سلاحهم، وإنِّي أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولايتهم، وولاية اليهود، ولا مولى لي إلا الله ورسوله) .. وفي المقابل قال عبد الله بن أبي بن سلول أو أبي سلول: (لكني لا أبرأ من ولاية اليهود، لأنني أخاف الدوائر، ولا بد لي منهم).

كلام «ابن سلول» تعبير عن موقف البعض من أهل المدينة.. من المنافقين، ومن الذين في قلوبهم مرض.. أي من الذين لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، ولم تكن لديهم ثقة حقيقية بالله «عز وجل»، وإن كانوا في صورتهم الخارجية مع الجماعة المؤمنة آنذاك. هذه الفئة كانت تعيش القلق الكبير من قوة اليهود.. على مستوى قوتهم المالية، وما لديهم من سلاح ومقاتلين وتحالفات خارجية، بالإضافة إلى ما عُرف عنهم من مكر وقدرة على إدارة الملفات بالدسائس والفِتَن، وهو ما جعل يثرب - قبل الهجرة - تعيش «المرحلة الإسرائيلية».

□ تصوير الموقف بدقة:

من هنا، صوّرت الآية الشريفة، وبكل دقة موقف الفئة التي في قلبها مرض وتبريراتها بقوله «عز وجل»: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ يسارعون لكسب رضاهم بأية صورة، ولو على حساب كرامتهم وعزّتهم واستقلالهم.

لماذا؟ ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ نخشى أن تصبح القوة والغلبة والكلمة العليا والكلمة الأولى والأخيرة لليهود من جديد.. أي أن يدخلوا المدينة المنورة في «المرحلة الإسرائيلية» من خلال التحكم في المشهد القائم.. ليبدؤوا بالانتقام من خصومهم.. فماذا عن واقعنا اليوم؟ سيكون حديثنا في الخطبة الثانية بإذن الله «عز وجل» حول دخول الشرق الأوسط «المرحلة الإسرائيلية».

الخطبة الثانية

المرحلة الإسرائيلية

في السنوات الأخيرة، جرى الحديث عن قرب دخول العالم العربي إلى «المرحلة الإسرائيلية».. ومؤخراً تحدّث بعض المفكرين والمحللين السياسيين عن بدء هذه المرحلة فعلياً.. وحتى ندرك معنى هذا، نحتاج إلى العودة إلى الوراء قليلاً.

بين عامي ١٩٣٥ و١٩٣٦ دخلت الأراضي الفلسطينية أجواء الثورة على المهاجرين اليهود المتدققين من أنحاء العالم إلى الأراضي الفلسطينية، والمحمّلين بشحنات السلاح. بدأت الثورة بالإضراب العام، فسارعت وزارة المستعمرات البريطانية إلى إصدار بيان أعلنت فيه أنها تدرس بشكل جاد إجراء تغييرات دستورية لمعالجة الوضع.. ولم يحصل شيء. وفي ١٥ أبريل عام ١٩٣٦ تمّ الإعلان عن إضراب مفتوح إلى أن تُغيّر الحكومة البريطانية موقفها من مسألتَي هجرة اليهود وبيع الأراضي، باعتبار أن فلسطين تحت الانتداب البريطاني.. ثم تطوّر الأمر إلى اشتباك بالسلاح بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود.

هذا الحراك الفلسطيني استقطب أعداداً من المجاهدين من سوريا والعراق، وبعد ثلاثة أشهر من الشلل الذي أصاب الحياة في فلسطين، وسقوط عشرات القتلى من الجانبين، أعلنت الحكومة البريطانية عزّمها تأليف لجنة ملكية للنظر في مطالب العرب وظلاماتهم. حينها، تدخلت بعض القيادات العربية في أكثر من محاولة، وقدمت ضمانات للفلسطينيين، بشرط عودة الهدوء.. فتّم إنهاء الإضراب في ١١ أكتوبر من سنة ١٩٣٦، بناءً على هذه الوساطات ووعود الحكومة البريطانية «بتحقيق العدل». وفعلاً، أعلنت اللجنة الملكية أنها ستوجه إلى فلسطين خلال أيام كي تبحث عن «تسوية عادلة ودائمة».

ومنذ ١٩٣٦، وما زال الفلسطينيون والعرب والمسلمون ينتظرون إلى هذه اللحظة تلك «التسوية العادلة والدائمة». في عام ١٩٤٨ تم احتلال أربعة أخماس فلسطين، وتم خلالها طرد ثلثي الفلسطينيين من بلادهم.. ثم في ١٩٦٧ تم احتلال ما تبقى من الأرض الفلسطينية. وفي أعقاب اتفاق أوسلو ١٩٩١، انسحب الاحتلال من بعض الأراضي، لينفرز عنه المشهد الفلسطيني الذي نشهده اليوم: حكومة في غزة، وأخرى في بعض نواحي الضفة الغربية.

□ حبال الإنقاذ:

قبل ٩ سنوات، كتب أحد المحللين السياسيين في صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية أن بعض الدول العربية تعيش على حافة الهاوية، لذلك فإن: (إسرائيل إذا نجحت في أن تُلقي لهم جسر الحبال الصحيح، فسوف يغتبطون... وأن على طاولة نتانيا هو خطأ مثيرة للاهتمام تسعى لتغيير وجه الشرق الأوسط).

اليوم، تصريحات نتياهو حول نيته زيارة عواصم عربية، تُعدّ أمراً مقلقاً لكل من يعرف ماذا يعني أن تجد إسرائيل لنفسها موطئ قدم راسخ في المنطقة.. لا سيما في دول الخليج.

□ خطر التطبيع:

إذا استطاعت إسرائيل أن تُطَبِّعَ علاقتها مع هذه الدول، وأن تتحرّك في المنطقة كما تشاء، فإنها لن تجلب لها إلا الدمار، وسيتحكّم الكيان الصهيوني بطرقه المعهودة في المنطقة، ويفرض سياساته ومصالحه بشكل غير مسبوق، وستصبح له الكلمة الأولى والأخيرة، وسيكون هو سيّد المشهد بلا منازع.. هذه هي طبيعة «المرحلة الإسرائيلية». وحينها، فإن الصهاينة لن يرتاحوا قبل أن يعيشوا في هذه المنطقة فساداً وفتناً وإعمالاً لكل سبل السيطرة على خيراتها، بطريقة أو بأخرى، وإن لم يتمكنوا من ذلك فلن يهدأ لهم بال إلا بتدميرها.

□ الذراع العربية:

هل كان يتخيّل أحدٌ - قبل خمسين سنة - أن الدور العربي الذي كان الذراع السياسي للمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي في الخمسينيات

والستينيات، سيُوظَّف في يوم ما ليكون ذراعَ إسناد للإسرائيليين في مشروعهم القاضي بتصفية القضية الفلسطينية أولاً، وفي إدخال المنطقة في «المرحلة الإسرائيلية» التي بتنا نرى بعض ملامحها المتشكّلة بصورة متسارعة؟ وإن كانت الكويت على المستويين الرسمي والشعبي - وعلى الرغم من الضغوطات المختلفة - قد صمدت طوال المدة الماضية في وجه العبث الصهيوني، إلا أنها مطالبة اليوم أكثر من أي وقت مضى بالمزيد من الوعي لحقيقة ما يجري، وبالصمود في وجه كل الضغوطات والإغراءات على حساب مواقفها المبدئية، وألاً تنزلق إلى هاوية «المرحلة الإسرائيلية»، لأنّ الذين يسارعون في كسب ولاء الصهاينة لن يحصدوا إلا الندم.





الخطبة الأولى وصف نعيم الجنة

لدينا في القرآن الكريم آيات عديدة حول نعيم الجنة، نتحدث عن نوعية طعام أهلها وشرابهم، عن مساكنهم ما فيها من أثاث ووسائل راحة، وعن طبيعة بيئة الجنة، وما فيها من أنهار وبساتين، وعن الأزواج وحوار العين، وما إلى ذلك من ملذات وطيبات يشبه بعضها ما في الدنيا، ويختلف بعضها عنها، ومن بين تلك الآيات:

قوله «عز وجل»: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ. فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ «الطور: ١٧-٢٠». ﴿وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ «الواقعة: ٢٢-٢٤».

وقوله «عز وجل»: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ «النساء: ٥٧».

وقوله «عز وجل»: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ. لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً. فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ. فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ. وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ. وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَوَّجْنَاهُمْ بِمَبْنُوتَةٍ﴾ «الغاشية: ٨-١٦».

وقوله «عز وجل»: ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ أغطية خضر وفُرش متقنة الصنع حسنة «الرحمن: ٧٦».



وقوله «عز وجل»: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ «الزخرف: ٧١».

وقوله «عز وجل»: ﴿وَأَمَّا دَنَاهُمْ فَبَاكِهَةٍ وَلَحْمٌ مِّمَّا يَشْتَهُونَ. يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٍ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ. وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ «الطور: ٢١-٢٤».

□ إشكال وجواب:

أشكال البعض بأن السجّاد والكراسي المريحة والوسائد والفواكه والشجار والأنهار والخدم وغير ذلك مما جاء في الآيات من وصف نعيم الجنة يتمتع به المنعمون في هذه الحياة، وبأرقى الأنواع وأجملها، وبما يفوق ما جاء في الآيات عن وصف نعيم الجنة.. ولكن غاب عن هؤلاء:

أولاً، هناك منغصات كثيرة في الحياة الدنيا، كالأمراض والمشاكل التي تواجه الإنسان والمكائد وسوء الاستغلال والحروب والشيخوخة وغير ذلك، فتجعل كل تلك النعم المادية أحياناً بلا قيمة، بل ولربما وبالأعلى عليه.

ثانياً، أن نعيم الدنيا يتأثر بالزمن والاستعمال والعوامل الجوية، وغير ذلك من المؤثرات السلبية، على خلاف نعيم الآخرة.

ثالثاً، قد يفقد الإنسان كل هذا أو بعضه في الدنيا، على خلاف الآخرة.

رابعاً، كم يعيش الإنسان في هذه الحياة؟ وكم يستطيع أن يتلذذ بنعيمها؟

□ التركيز على النوعية:

ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يركّز على نوعية الحياة في الجنة.. وهذا هو الأهم في نعيمها:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ «الزمر: ٧٣-٧٥».

لاحظ ضمان السّلم، والأمن، والحياة الطيبة، والخلود.. يعني لا خوف، ولا قلق من أي شيء يتعارض مع حالة السلم والأمن والحياة الطيبة الممتدة عبر الزمن.

وعلى سبيل المثال، فإن واحدة من الإجراءات لكي يتحقق ذلك ما جاء في

قوله «عز وجل»: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ﴾ «الأعراف: ٤٣».. فهل في هذه الحياة الدنيا شيء من ذلك؟

إن الإنسان يُدرك أنَّ كلَّ نعيم الدنيا لن تكون له قيمة لو فُقدت نعمة الأمن والصحة والراحة النفسية والطمأنينة، أيَّ سلام الروح والبدن والحياة من حوله، ولذا فإنَّ المؤمن حين يتطلَّع إلى الجنة لا يتطلَّع إلى ملذَّاتها المادية فحسب، بل وإلى الحياة الطيِّبة فيها، بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى عميق على المستوى المادي والمعنوي: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

الخطبة الثانية

كيف نفهم القدر؟

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾
«الكهف: ٦٧-٦٨».

من ضمن الرسائل التي تحملها هاتان الآيتان الشريفتان والآيات المتعلقة بها ضمن قصة موسى «عليه السلام» والعبد الصالح الذي رافقه، رسالة حول موقفنا - في كثير من الأحيان - من القدر، وكيف نفهم القدر؟

□ احتجاجات طفل:

بالإضافة إلى تلك القصة القرآنية، هناك قصة رمزية تقول أن طفلاً كان يلعب في مرج أخضر مليء بالورود والحشائش الخضراء. وذات يوم تفاجأ الطفل وهو يرى أباه يحرق ذلك المرج ويقلبه ويقضي على صورته الجميلة.

احتجَّ الطفل على أبيه، فاستمعه إلى أن يرى كيف ستصبح الأرض بعد أن يلقي فيها البذور ويسقيها.. وفعلاً بدأت سنابل القمح الذهبية تُزيّن المكان

وتتراقص مع نسيمات الهواء. من جديد، جاء الأب ودمّر تلك الصورة الجميلة، حين بدأ يحصد السنابل الذهبية. ارتفع صوت الطفل محتجاً، فاستمهل الأب إلى أن يرى كيف سيُخرج من تلك السنابل حبات القمح الذهبية. وهذا ما كان.. فإذا بأكوام ذهبية متراكمة من حبوب القمح التي صار الطفل يلهو بها. ولم يصبر الأب كثيراً حتى جاء وطحن تلك الحبوب الذهبية وحولها إلى ما يشبه التراب الأبيض.. وارتفع صوت الطفل من جديد محتجاً. فتقدم منه الأب وناولته أنواع المخبوزات الشهية من ذلك الطحين، وقال له: هل أدركت الآن - يا بني - ما جرى؟

□ مسألة شائكة:

مسألة القدر من المسائل الحساسة والشائكة.. وعبر التاريخ، توقف الإنسان كثيراً أمام هذه المسألة في محاولة لتفسيرها وفهم خباياها... وظهرت على إثر ذلك مدارس فلسفية متعددة.

وحتى عندما قدّم الإسلام تفسيراً إجمالياً لها، ظهرت مذاهب كلامية متعددة بناء على الاختلاف في تفسير المسألة؛ أو تمايزت فيما بينها بجملة من الأمور، ومن بينها هذه المسألة. ولذا عندما تُراجع معتقدات تلك المذاهب كالقدرية والجَهْمِيَّة والجبرية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، ستجد أن مسألة القدر في واجهة المسائل الخلافية فيما بينها.

قد لا نستطيع أن نفهم هذه المسألة بعمق، وتبقى بعض الأسئلة عالقة في أذهاننا، ولكن القرآن الكريم ينبّهنا إلى بعض العناوين الكلية فيما لو أردنا التعاطي مع هذه المسألة. فمما يُلَفَت الانتباه في قصة موسى «عليه السلام» والعبد الصالح أنها بدأت هكذا: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾ «الكهف: ٦٥». أي أن كل تلك التصرفات التي قام بها ذلك العبد الصالح واحتجّ عليها موسى «عليه السلام» من خرق للسفينة وقتل للطفل وبناء للجدار، لن تخرج من إطار الرحمة الإلهية والعلم الإلهي.

وهكذا هو القدر الإلهي.. لا يمكن أن يكون إلا رحمةً وناشئاً عن علم إلهي بما قد خفي عنا.

جَهْلُنَا بما وراء الأمور هو الذي يجعلنا نحتجّ ونستغرب ونستهجن، ولربما يصل

بالبعض إلى حد الكفر بالله، متسائلين: أين الله من كل هذا الظلم والجرائم والفواجع التي تحدث على وجه الأرض؟ وهي تساؤلات منطقية ناشئة عن جهل الإنسان بالغيب وبما خفي عنه: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾.. ولنتذكر أن العبد الصالح لم يُخبر موسى ولا أصحاب السفينة ولا والدي الطفل ولا أصحاب الجدار بالسّر وراء ما فعل.

ما الذي يعوّض جهلنا بالغيب وما وراء الأحداث؟

تقتنا بأن الله رحيم.. حكيم.. عليم.. قدير.. عدل.

من الدروس التي تعلّمها موسى «عليه السلام» في هذه الرحلة أن يمتلك مثل هذا المستوى من الثقة برحمة الله وحكمته وقدرته وإحاطته بالأمور، ومن خلال ذلك يتحقق الرّشد والنّضج والوعي للإنسان: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ «الكهف: ٦٦». موسى «عليه السلام» خسر كل الامتيازات التي كان يتمتع بها في مصر، مكانة ونفوذ ومال وراحة وثراء، وخرج منها إلى الصحراء خائفاً يترقب، وصار مطلوباً أمنياً. ولعله «عليه السلام» تساءل في تلك اللحظات.. لماذا يا رب؟ أهذا جزاء دفاعي عن المظلوم؟ وإذا بكل هذه الأحداث في ظاهرها السلبي تحمل خيراً لفتاتين ضعيفتين عند بئر ماء، فقد كفاهما موسى مدافعة الرجال ورعي الأغنام منذ تلك اللحظة وإلى عشر سنين قادمة، وصار ذلك سبباً لمساعدة والدهما المؤمن الكبير في السن، وأن يتزوّج موسى بفتاة مؤمنة موحّدة، وأن تكون تلك السنوات مقدّمة ضرورية تهيأ من خلالها ليُبعث نبياً ورسولاً.

إنّ عجزنا عن فهم حقيقة القدر فلسفياً، وتفسير مجريات الأمور عملياً، لا ينبغي أن يخرجنا من حالة الرضا بقضاء الله وقدره، والعمل طبقاً لذلك، لأنّ إيماننا بالله «سبحانه» ينبغي أن يتضمن الإيمان بأنّ كلّ الأمور إنما تجري بعين الله، وأنّ الله حكيمٌ قديرٌ عدلٌ، وما أبلغ الوصف الوارد في دعاء الافتتاح وهو يتحدث عن حال الإنسان حين يعتب على القدر: (فَإِنَّ أَبْطَأَ عَنِّي عَثَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ، وَلَعَلَّ الَّذِي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِّي لِعِلْمِكَ بِعَاقِبَةِ الْأُمُورِ، فَلَمْ أَرِ مَوْلَىٰ كَرِيماً أَصْبَرَ عَلَىٰ عَبْدٍ لَّيِّمٍ مِنْكَ عَلَيَّ يَا رَبَّ).



الخطبة الأولى القضاء في الإسلام

عندما بعث أمير المؤمنين «عليه السلام» مالكا الأشر لولاية مصر، زوّده بكتاب يشتمل على تعليمات حول فنون الإدارة وأخلاقياتها وآدابها، ومن ضمن العناوين التي عالجها الإمام مسألة القضاء.

قال في بدء هذه المعالجة: (ثُمَّ اخْتَرْتُ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ). ثم بدأ «عليه السلام» يقدم قائمة من الصفات التي ينبغي أن تتوفر في القاضي على مستوى التقوى، والورع، والعلم، والحكمة، والصفات النفسية. ولكن عند الحديث عن القضاء الإسلامي يتذكر الناس السيف والجلاد والتعسف وما إلى ذلك من صور لا تمثل حقيقة نظرة الإسلام إلى القضاء ودوره الحيوي.

فتحن عندما نعود إلى النصوص الإسلامية، نجد أنها تقدم لنا منظومة شرعية أخلاقية أدبية ترتبط بنظام القضاء، تكشف عن دقة العناية بهذه الوظيفة، والسعي لتحقيق دورها بالصورة المثلى.

أول ما يطالعنا بهذا الخصوص حقيقة أن تحقيق العدالة وإقامة القسط واحدة من أهم الغايات التي من أجلها بعث الله الرسل إلى الناس حيث قال «سبحانه»: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ «الحديد: ٢٥». ولا يكتفي القرآن ببيان العنوان العام، بل وينبّه إلى تطبيقاته في الموارد المختلفة، ومن ذلك:

١. عند الخلاف على الأمانات ونزاع الملكية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ «النساء: ٥٨».

٢. عند اختلاف القاضي مع طرف في القضية على المستوى الشخصي أو الديني أو غير ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ «المائدة: ٨».

٣. عند وقوع النزاعات العنيفة بين المجاميع: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَجَاثِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ «الحجرات: ٩».

ثم تتدخل النصوص الإسلامية في بيان أدق التفاصيل التي من شأنها أن تُعين على تحقيق العدالة ما أمكن، على المستوى النفسي، وعلى مستوى سلوك القاضي في مجلس القضاء وخارجه، وفي علاقاته بالناس، وتعاملاته التجارية، وغير ذلك.

وقد استفاد الفقهاء من هذه النصوص، فتوسَّعوا في تقديم الأمثلة والتفاصيل التي تُحكِّم أمر القضاء لتحقيق الغاية المتمثلة في إقامة القسط والعدل. وسأتحدث في ما يلي عن بعض الجوانب المتعلقة بذلك.

الخطبة الثانية

أخلاقيات وآداب القضاء

ذكرت في القسم الأول من كلامي أن النصوص الإسلامية تعرّضت لبيان أدق التفاصيل التي من شأنها أن تُعين القاضي على تحقيق العدالة ما أمكن، ووسَّع فيها الفقهاء. ومن أمثلة ذلك:

□ الحالة النفسية للقاضي:

١. تتبُّه القاضي إلى حالته النفسية قبل القيام بالقضاء.

فعلى سبيل المثال، روت أم المؤمنين أم سلمة أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: (من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فلا يقضين وهو غضبان). وهذا الخبر يفيد أمرين، الأول أن على الرغم من فخامة موقع القاضي في نظر الناس، وكثرة مغرياتهما، إلا أنه يمثل مسؤولية عظيمة، يجب أن لا ينبري لها إلا من يكون أهلاً لها، وذلك بلحاظ كلمة «ابتلي» الواردة في الخبر.

روي عن علي «عليه السلام» قوله: (لا ينبغي أن يكون القاضي قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الألباب، لا يخاف في الله لومة لائم).

والثاني أن لا يجلس للقضاء إلا في حال اعتدال مزاجه، لأن مزاجه الشخصي سينعكس على الحكم الصادر أو على طريقة القضاء.. ولك أن تتخيل القاضي بسلطته القوية ماذا يمكن أن يصدر عنه إن فقد ذلك الاعتدال النفسي.

ومن هذا الباب ما روي عن أبي سعيد الخدري أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (لا يقضي القاضي إلا وهو شبهان ريان).. فالجوع أو سائر العوامل الضاغطة نفسياً قد تدفعه إلى التسرع وعدم الدقة.

ولذا قال الشيخ الطوسي: (وكل معنى يكون به في معنى الغضب كان حكمه حكم الغضب؛ كالجوع الشديد، والعطش الشديد، والغم الشديد، والفرح الشديد، والوجع الشديد، ومدافعة الأخبثين) أي الحاجة للذهاب إلى الحمام (والنعاس الذي يغمر القلب).

وأضاف الماوردي في كتابه (الحاوي الكبير): (ويقضي وطره من الجماع حتى يغض طرفه عن الحرْم، ويلبس ما يستدفع به أذى وقته من حر أو برد، ويفرغ من مهمات أشغاله لئلا يهتم بما يشغل خاطره عن الاجتهاد في الأحكام).

وأن تتم مراعاة ذلك في طبيعة المجلس، لما له من أثر على نفسيته. جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: (يُستحب أن يتخذ القاضي له مجلساً فسيحاً بارزاً

مَصُوناً مِنْ أذى حَرٍّ وَبَرْدٍ، لائْتِقاً بِالوقتِ وَالقضاءِ، وَيَكُونُ مَصُوناً أَيْضاً مِنْ كُلِّ مَا يُؤْذِي مِنَ الرِّوائعِ وَالْدُّخَانِ وَالْغُبَارِ).

□ البعد الروحي في القضاء:

٢. التفات القاضي إلى البعد الروحي في مسؤوليته، بحيث لا يقوم بهذه الوظيفة بصورة ميكانيكية، أو على أنها مصدر رزق فحسب.

ففي «وسائل الشريعة» عن سلمة بن كهيل، قال: (سمعت علياً «عليه السلام» يقول لشريح: وإياك والتضجر والتأذي في مجلس القضاء، الذي أوجب الله فيه الأجر، ويحسن فيه الذخر لمن قضى بالحق).

وذكر الماوردي من آداب القضاء أن يُصلي القاضي عند التأهب للجلوس للقضاء ركعتين، وأن يدعو الله بعدها بما روي عن السيدة أم سلمة قالت: (كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا خرج من بيته قال: اللهم إني أعوذ بك أن أزل أو أزل، أو أضل أو أضل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو أجهل علي).

□ مشورة العلماء والحكماء:

٣. إحضار بعض أهل العلم بالأحكام الشرعية ليشهدوا حكمه، فإن أخطأ نبهوه؛ أو مشاورتهم فيما اشتبه عليه من الأحكام، لأن القاضي إنسان، والإنسان محل الخطأ والنسيان.

□ مراعاة خصوصية المقام:

٤. ذكر بعض الفقهاء أنه يكره للقاضي أن يقف بنفسه مع خصمه عند قاض آخر، فلربما أثر ذلك على القاضي الآخر مراعاة للزمالة، أو حرجاً، أو لغير ذلك. مستشهدين بتوكيل أمير المؤمنين «عليه السلام» لأخيه عقيلاً، أو ابن أخيه عبد الله بن جعفر، في خصومة وقوله: (إن للخصومة قُحماً) أي مهالك (وإن الشيطان ليحضرها، وإني لأكره أن أحضرها).

□ المساواة بين الخصوم:

٥. على القاضي أن يسوي بين الخصمين في الجلوس، فيكون مجلسهما بين يديه، لا عن يمينه ولا عن يساره، لأنه لو فعل، فقد قرب أحدهما في مجلسه،

ولأنّ لليمين فضلاً عن اليسار. كما ينبغي له أن يسوّي بينها في النظر، والنطق، والخلوة.

□ عدم استغلال الوظيفة:

٦. أن لا يستغلّ وظيفته وموقعه في الحصول على منافع شخصية ولو كانت بسيطة، حتى كره بعض الفقهاء أن يقوم القاضي بنفسه بالبيع والشراء.

روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: (أنه أتى سوق الكرابيس) نوع من الأقمشة (فقال: يا شيخ، أحسن بيّعي في قميص بثلاثة دراهم؛ فلما عرفه لم يشتري منه، ثم أتى إلى آخر فلماً عرفه لم يشتري منه، فأتى غلاماً حدثاً فاشتري منه قميصاً بثلاثة دراهم).

□ العدل حياة المجتمعات:

لقد روي عن علي أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال: (العدل حياة الأحكام) وقال: (ما عمّرت البلدان بمثل العدل)، فعلى العدل تركز ضمانة الثقة بالقضاء، وبهذه الثقة تبقى الحياة نابضة في حركة الناس في المجتمع؛ فمتى ما انعدمت الثقة بالعدالة الاجتماعية، لاسيّما في جهاز أساسي كالقضاء، دبّ الموت في أوصال المجتمع اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً. ومن هنا ندرك الغاية وراء كل هذا الحرص وهذه الدقة في المنظومة الشرعية الأخلاقية الأدبية الخاصة بنظام القضاء في الإسلام، لأن التهاون فيها يعني الحكم على المجتمع بالإعدام ولو بعد حين.





الخطبة الأولى

الجيرة - القسم الأول

الدعاء السادس والعشرون من الصحيفة السجادية مخصص للجيران والأولياء إذا ذكّرهم، ويبدأ فيه كالتالي: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوَلَّنِي فِي حَيْرَانِي وَمَوَالِيَّ وَالْعَارِفِينَ بِحَقِّنَا، وَالْمُنَابِذِينَ لِأَعْدَائِنَا، بِأَفْضَلِ وَلَايَتِكَ، وَوَفَّقْهُمْ لِإِقَامَةِ سُنَّتِكَ، وَالْأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ).

□ شبكة علاقات متفرّعة:

شبكة العلاقات الاجتماعية تتفرّع في عدة اتجاهات، ومن بينها الجيرة والذي لأهميته ذكر في القرآن الكريم ضمن هذه الوصايا الإلهية: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ...﴾ «النساء: ٣٦».

أي سواء أكان الجار من أقربائك كما كان هو المهود في تكوين الأحياء العربية في الماضي، أم لا.. أو سواء أكان الجار قريباً أم بعيداً.. وكل من كان يصدق عليه عرفاً أنه جار، سرت عليه هذه الوصية الإلهية... والتحديد بالأربعين في بعض الروايات قد يكون كناية عن الكثرة، أو كرقم تقريبي ضمن تصميم الأحياء في ذلك الزمان، وفي الاتجاهات المختلفة.

□ غاية البعد التشريعي:

وتم تنظيم علاقة الجوار في الإسلام في ثلاثة أبعاد، البعد التشريعي، والأخلاقي، والأدبي.



البُعد التشريعي يهتم بمجموعة من القوانين المنظمة لهذه العلاقة ضماناً لحقوق كل الأطراف، وتجنباً لحدوث أيّ إخلال فيها، وهذه القوانين بمثابة الحد الأدنى في العلاقة بين الطرفين.

وقد ذكرت في أكثر من مناسبة أن التشريعات الخاصة بالقضايا الاجتماعية تأتي عادةً لبيان الحد الأدنى في العلاقة بين الأطراف، ولا تُعتبر الصورة المثلى التي يبتغيها الإسلام.

مثلاً، عندما تأتي سورة البقرة لتبيّن بعض التشريعات حول الإرضاع ودفع المقابل المالي للأم عندما تُرضع طفلها، فإنّ هذا لا يعني التشجيع على التعامل المادّي في عملية الإرضاع، بل تأتي لتسنّ القوانين لأسوأ الافتراضات في طبيعة العلاقة التي تحكم بيت الزوجية.

والإلا، إذا حولنا هذه العلاقة إلى ما يُشبه السوق، سلبنا منها بركتها، وحولناها إلى جسد بلا روح.. وهو بمثابة إصدار حكم موجّل بالإعدام عليها، وهو من دون شك خلاف الطبيعة الفطرية لها حيث قال «سبحانه»: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ «الروم: ٢١».

□ تشريعات حضانة الطفل:

وهكذا الأمر بالنسبة إلى التشريعات الخاصة بحق حضانة الطفل.. فعندما يحدث الطلاق أو النزاعات بين الزوجين، تبرز هذه المسألة بقوة، ويتم توزيعها من الطرفين، فهذا يقول حقّي الشرعي، وتلك تقول حقّي الشرعي. والواقع أن الله «عز وجل» يريد للطرفين أن يراعي في قرارهما مصلحة الطفل، ومصلحتهما أيضاً: (لا تُضَارُّوْا الْوَالِدَةَ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودَ لَهَا بِوَلَدِهِ)، وهذه المصلحة تستدعي التفاهم على مسألة الحضانة بما يحقق مصلحة الجميع، وتحديد حضانة الأم بسنتين أو بسبع سنوات هو بمثابة الحد الأدنى عند وقوع الخصومة، لا أنه أمر إلزامي يحرم تجاوزه عند التوافق.

□ الصورة المثلى:

هكذا الأمر بالنسبة إلى التشريعات الخاصة بالجيرة، هي تضع الحد الأدنى

المنظم للعلاقة. والأرقى من ذلك أن تكون العلاقة مبنية على القيم الأخلاقية والمشاعر الإنسانية الفياضة بالخير والمحبة، وعلى الآداب التي تجمل هذه العلاقة. أي أننا عندما نتعامل وفق التشريعات إنما نتعامل مع الجسد، ولكن عندما نتعامل وفق الأخلاق والآداب فإنما نتعامل مع الروح ومع القلب ومع المشاعر. وستكون لنا وقفات مجددة مع موضوع الجوار بإذن الله «عز وجل».

الخطبة الثانية

بوادر المكر البشري

في القرآن الكريم حديث متكرر عن المكر البشري والمكر الإلهي، وهذا مفهوم بلحاظ جو الصراع والمؤامرات التي كانت تحاك ضد النبي «صلى الله عليه وآله». والمكر هو التدبير الخفي ضد الآخر.

□ مع النبي يوسف:

في سورة يوسف مثلاً، بعد سرد القصة بشكل تفصيلي، يقول تعالى في الآية ١٠٢: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾. لاحظ - يا رسول الله - كيف أن المؤامرة السرية التي حاكها إخوة يوسف وأرادوا إحكامها للتخلص منه، انتهت على غير ما أرادوا، بل على خلاف التوقعات: ﴿قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ لَا تَتَّقُوا يَوْسُفَ وَالْقَوَاهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ «يوسف: ١٠».

أرادوا أن يقضوا عليه بقتله، ثم تغير رأيهم واستقر على أن يحولوه إلى عبد يُباع ويُشترى، فإذا به يغدو مسؤولاً كبيراً في دولة عظمى وبالوصف التالي: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نَصِيبٌ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ

أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿يُوسُف:٥٦﴾. لماذا؟ ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ ﴿يُوسُف:٧٦﴾.. هناك تدبير خفي وكيد إلهي لصالح يوسف «عليه السلام».

□ مع النبي عيسى بن مريم:

كذلك في قصة النبي عيسى «عليه السلام»، نجد أنه ووجه بشتي أنواع الاتهامات والضغوطات، ولذا ما آمن به إلا عدد قليل من الناس: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ «آل عمران:٥٢».

ثم حيكّت المؤامرات السرية ضده وضدّ دعوته من قبل اليهود والرومان الوثنيين وتمّ الاتفاق على قتله، ولكن النتائج جاءت على خلاف ما أرادوا.. وإذا به ينجو منهم، وإذا بدعوته تمتد، لتشمل نفس الرومان: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبَوَّأْتَ مِنَ الْمَدِينَةِ فَأَنْتَ الْمَرْسُودُ﴾ «آل عمران:٥٥».

لماذا؟ تجيب الآيات لتقول: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ «آل عمران:٥٤».

هناك تدبير خفي وكيد إلهي لصالح عيسى «عليه السلام» ورسالته.

□ رسائل تطمين:

كانت هذه رسائل للنبي «صلى الله عليه وآله» من أجل طمأنته بأن المؤامرات التي يحيكها المجرمون قد تنجح جزئياً وفي مقطع زمني محدود، ولكن الله لن يمكنهم من بلوغ غاياتهم النهائية ما دام الطرف المظلوم الذي تحاك ضده المؤامرات قد ارتبط بالله، وتحمل مسئولياته، وتوكل عليه «سبحانه».. وحينها ستأتي النتائج على عكس المؤامرات تماماً، ولو بعد حين: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ «فاطر:١٠».

□ في أجواء بدر:

ومن هنا نجد في سورة الأنفال - التي نزلت في أجواء غزوة بدر - تذكيراً

للمسلمين المهاجرين بما كانت عليه أوضاعهم في مكة قبل الهجرة: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ﴾ «الأنفال: ٢٦».

وكيف حيكّت ضدّهم المؤامرات، ومن بينها التخلص من النبي تماماً كما أرادوا التخلص من عيسى «عليه السلام» من قبل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ «الأنفال: ٣٠». ولكن العناية الإلهية كانت حاضرة: ﴿فَأَوَّاهَكُمْ وَتَشْكُرُونَ﴾ «الأنفال: ٢٦».

لماذا؟ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ «الأنفال: ٣٠». من جديد، جاءت النتائج تماماً على عكس ما تم التخطيط لأجله في أجواء المؤامرات الخفية التي يحيكها المجرمون. ويخبرنا القرآن الكريم بالسنة الإلهية والقاعدة التالية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ «الأنعام: ١٢٣».

□ مؤامرات ومكر إلهي:

لقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن المؤامرات التي تحاك ضد المنطقة، وكنا موعودين بأوضاع صعبة جداً في شهر نوفمبر الماضي، وبتبعات حادة لحزمة قرارات ترتبط بالعقوبات المتعلقة بإلغاء الاتفاق النووي، وبتأجّل سلبية حول تصريحات مدانة متعلقة بسيادة الكويت تضمنت تهديدات مبطنّة أحياناً وصريحة أحياناً أخرى، وما كان ذلك منهم إلا ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾، فإذا بالأمور - وبشكل مفاجيء - تأخذ مساراً مختلفاً تماماً ومعاكساً لكل ذلك ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

فلنتطّلع دائماً أن نكون مع الله، وأن نطلب العزة من الله وهو القائل «سبحانه»: ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ﴾.



الخطبة الأولى

الجيرة - القسم الثاني

ذكرت في القسم الأول أن الإسلام نظم علاقة الجوار في ثلاثة أبعاد، البعد التشريعي، والأخلاقي، والأدبي.. وأن البعد التشريعي يتعلّق بالحد الأدنى من صورة العلاقة، وأن الأرقى أن تتم عملية بناء العلاقة على أساس أخلاقي وأدبي أيضاً.

ومن هنا، نجد أن الإمام زين العابدين «عليه السلام» ينتقل بعد المقطع الأول من دعائه إذا ذكر جيرانه وأولياءه، ليبيّن المسؤوليات التي تقع على عاتقه تجاههم فيقول: (وَاجْعَلْنِي - اللَّهُمَّ - أَجْزِي بِالْإِحْسَانِ مُسِيئَهُمْ، وَأَعْرِضْ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظُلْمِهِمْ).

من طبيعة الاحتكاك بين البشر، وقوة الأنا، والتنافس على الملكية، ووقوف الشيطان بالمرصاد، أن تقع بينهم الخلافات والنزاعات، وما يترتب عليها من إساءات على مستوى الكلمة أو الفعل.. وما يستتبع ذلك كله من ردود فعل أيضاً. واحتمال وقوع ذلك بين الجيران احتمال قوي، وذلك بلحاظ القرب وزيادة حالات الاحتكاك والتفاعل، مهما سعى الإنسان أن يحسن اختيار الحي الذي يسكن فيه. وقد ورد ذمٌّ شديد بحق مثل هذا النموذج من الجيران، ففي بحار الأنوار أنه: (قيل لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها، فقال: لا خير فيها، هي من أهل النار).

بل إن هناك نموذجاً من الجيران مَنْ تكون إساءاتهم سبباً لانتقال الإنسان من مسكنه، وفي الحديث النبوي: (إن شرَّ الناسِ عند الله منزلةً يومَ القيامة: مَنْ تركه الناسُ اتِّقَاءَ شرِّه).

من هنا بدأ الإمام «عليه السلام» دعاءه بفرض صدور الإساءة من الجيران.. والموقف الشرعي قد يُعطيك الحق أن تردَّ الإساءة بمثلها، وأن تدفع الظلم عن نفسك بالشكوى إلى السلطات مثلاً.

قال «تعالى» في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ، وَجَزَاءَ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا..... وَلَنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ «الشورى: ٣٩-٤١».

ولكن الموقف الأخلاقي هو الأرقى، والمتمثل في التالي: (واجْعَلْنِي - اللَّهُمَّ - أَجْزِي بِالْإِحْسَانِ مُسِيئَهُمْ، وَأَعْرِضْ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِمِهِمْ).

وهذا هو الموقف المتناغم مع تتمة الآية السابقة: ﴿وَجَزَاءَ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يحب الذين يبدؤون بالإساءة، والذين يبالغون في ردود أفعالهم عند ردِّ الإساءة بمثلها ﴿... وَلَمْ يَصْبِرْ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ «الشورى: ٤٠-٤٣».

وفي الحديث النبوي: (ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبدٌ ابتغاء وجه الله).. هذا جارك، وستلتقي معه وجهاً بوجه.. يوماً.. ولربما طوال حياتك القادمة.. فهل تحب أن يمغصك بطنك ويكفهرك وجهك ويفسد عليك يومك كلما رأيته؟

أرج نفسك وانزع فتيل هذه المشكلة وما قد يستتبعها من أزمات ومشكلات بالعفو والتجاوز.

نعم، قد يجرب الإنسان ذلك مرة ومرتين وثلاثاً، ثم يجد أن مثل هذا الموقف شجّع هذا الجار اللئيم وزاده جرأة وإساءة وظلماً.. هذا موضوع آخر.. وقد روي عن الإمام علي «عليه السلام» أنه قال: (العفو يُفسد من اللئيم بقدر ما يُصلح من الكريم).

الخطبة الثانية

انتحار مسئول فاسد

عندما كنت طفلاً، كنت أنظر في السماء التي كانت أصفى مما هي عليه اليوم بكثير بسبب التلوث، فأرى النجوم والكواكب اللامعة وكأنها مبعثرة في كل جهة، ولكن بقليل من التمعّن تترتب الأشكال كما تعلمناها.. الدب الأكبر، العقرب، الدلو.. إلخ. وبفضل الحصى المتطاير في شوارعنا، أصبحت الزجاجة الأمامية لسيارتي - بعد الأمطار الأخيرة - شبيهة بتلك السماء.

ولأنني من سكان المنطقة العاشرة، فمعاناتنا أشد من معاناة الآخرين، بسبب إهمال المسؤولين للمنطقة، ولبعد الموسم الانتخابي لمجلس الأمة.. نتأمل أن يحلّ المجلس قريباً، كي تتعاضد جهود المسؤولين والمرشحين ليبدأ كشط الطرقات على الأقل.. ولا أقول إعادة رصفها.

وقد شهدنا في هذه الأيام تغييراً وزارياً آخر عندنا في الكويت.. ولا شك أن واحدة من أهم الملفات التي تُثار مع كل تغيير وزاري، وكذلك في كل موسم انتخابي هو ملف «الفساد».

□ مشكلة الحصى المتطاير:

مشكلة الحصى المتطاير نموذج من إفرازات الفساد في العالم الثالث عموماً، والتي مهما تغيّرت حكوماتها، ومهما تعاقب على وزاراتها شخصيات وطنية ومختصة، فستبقى المشكلات حاضرة، لأنها لا ترتبط - دوماً - بشخص الوزراء، بل بالفساد المتجذّر في الوزارات.

□ لي كوان يو:

كتاب «من العالم الثالث إلى الأول.. قصة سنغافورة ١٩٦٥-٢٠٠٠» لرئيس وزراء سنغافورة الأسبق والأب الروحي لدولتها الحديثة السيد «لي كوان يو» فيه التفاتات ونصائح عملية حول أسلوب معالجته لملف الفساد، وقد تحدثت قبل عدة

سنوات عن تجربته، وكيف استطاع أن ينهض ببلده في نقلة نوعية مشهودة.. وفي هذا الكتاب ملاحظات مهمة في هذا المجال.

في الفصل ١٢ من الكتاب وتحت عنوان «الحفاظ على الحكومة نظيفة اليد» تحدّث المؤلف حول كيفية معالجته لملف الفساد طوال ٤١ سنة، بدءاً من رئاسته لمجلس الوزراء عام ١٩٥٩ إلى استقالته عام ١٩٩٠، ثم عمله كمستشار للدولة إلى عام ٢٠٠٠.

□ الخطوة الأولى:

بحسب - لي كوان يو - الخطوة الأولى لمعالجة هذا الملف تبدأ من مرحلة الانتخابات.. وإن اختلفت أحياناً طريقة تشكيل الحكومات في العالم الثالث، حيث لا تُشكّل من قبل الحزب الفائز فيها، ولكن الفكرة التي سيطرحها مشتركة.. لاحظ كلامه التالي: (مصدر الشر هو التكلفة المرتفعة للانتخابات وللمنصب السياسي، التي تجعل حتماً مرحلة ما بعد الانتخابات هي مرحلة لاستعادة المال الذي تم صرفه للحصول على المنصب، وتجهيز مال جديد للحملة المقبلة، عبر استغلال النفوذ والتقرّب من الوزراء، والتأثير عليهم، وبيع الصفقات العمومية، والتوسط لدى المسؤولين الحكوميين، لئليّ عنق القانون لصالح رجال أعمال فاسدين، عادةً ما يكونون ذوي كفاءات متدنية يعوّضونها بتوسيع الفساد والإفساد).

□ السقوط المدوي:

ثم يتحدّث عن القوانين التي تمّ سنّها لمكافحة الفساد، وعن الصرامة في التنفيذ والمتابعة، وقدّم عدداً من الشواهد على ذلك، ومن بينها ما جرى عام ١٩٨٦، والذي عبّر عنه كالتالي: (أما السقوط المدوي الأكثر درامية فكان الذي أصاب وزير التنمية الوطنية آنئذ).

القصة أن هذا الوزير استلم مبلغين من المال، قيمة كل منهما ٤٠ ألف دولار، لتفيع إحدى الشركات وأحد الأثرياء على حساب المال العام، فحاول من خلال علاقاته الشخصية أن يوقف الإجراءات ضده دون نتيجة، ثم حاول اللقاء برئيس الوزراء الذي رفض بدوره ذلك إلى أن تنتهي التحقيقات، فما كان من ذلك الوزير إلا أن انتحر وقد كتب رسالة لرئيس الوزراء جاء فيها: (تملّكني شعور شديد

بالأسى والاكْتئاب. أحسست أنني مسؤول عن هذا الحدث المشؤوم، وعليّ تحمّل المسؤولية كاملة. وبوصفي رجلاً شرقياً نبيلاً وشريفاً، أشعر أنّ من الحق أن أنزل بنفسى العقوبة القصوى على خطئي).

ولما زار رئيس الوزراء زوجة المنتحر طلبت منه عدم إجراء تحقيق في سبب الوفاة حفاظاً على شرفه، وتقديراً لخدماته للحكومة، فبين لها أن ذلك ليس ممكناً. ولما أثبتت الفحوصات أنه قد انتحر، شكّلت لجنة تحقيق وانتهت إلى إثبات تهمة الرشوة.

□ قوة وتصميم:

ثم علّق لي كوان يوقائلاً: (من السهولة بمكان البدء - نظرياً - بمعايير أخلاقية سامية، وقناعات قوية راسخة، وتصميم أكيد على القضاء على الفساد، لكنّ من الصعب البقاء على مستوى هذه النوايا الصافية إلا إذا امتلك الزعماء ما يكفي من القوة والتصميم على التعامل مع المخالفين ومنتهكي القانون بدون أية استثناءات. ولا بد من دعم مسؤولي مكتب التحقيق دون خوف أو محسوبية لتطبيق القواعد والأنظمة)... أتمنّى أن يجعل هذا الكتاب مقررّاً دراسياً لكل مرشّح لوزارة أو لموقع نيابي.

□ قانون وثقافة:

إنّ الصرامة في تنظيف أية حكومة في العالم الثالث من العناصر الفاسدة، مهما كان المنصب الذي يحتله الشخص، من أهم وسائل نشر روح المسؤولية والخوف من الوقوع في عار المذلة والعقوبة، وإشاعة ثقافة عامة بأن الفساد لا مستقبل له مهما كان المنصب الذي يشغله ذلك الفاسد، مستذكّرين قول النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»: (إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلُكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ).

فهل سيرتقي أداء حكومات وبرلمانات العالم الثالث إلى المستوى الذي نشهد معه في يوم ما مسئولاً حكومياً أو نائباً فاسداً ينتحر خوفاً من العار؟



الخطبة الأولى

الجيرة - القسم الثالث

في القسم الثاني من هذا الموضوع، وفي التعليق على بعض ما جاء في دعاء الإمام زين العابدين «عليه السلام» «لجيرانه وأوليائه إذا ذكرهم» وصلنا إلى هذا المقطع: (وَجَعَلَنِي اللَّهُمَّ أَجْزِي بِالْإِحْسَانِ مُسَيِّئُهُمْ، وَأَعْرَضُ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِمِهِمْ) .. ثم يُكمل الإمام «عليه السلام» قائلاً: (وَأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ فِي كَافَّةِهِمْ، وَأَتَوَلَّى بِالْبِرِّ عَامَتَهُمْ) لاحظ التأكيد على الشمولية في طريقة التعامل مع الجيران، بغض النظر عن أديانهم ومذاهبهم وانتماءاتهم العرقية والقومية والوطنية وغير ذلك. وهذا يتناغم مع قوله «تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ «الحجرات: ١٣».

لا تحسن الظن ببعض الجيران بلحاظ أنهم يشاركونك ذات الانتماء، بينما تسيء الظن بسائر الجيران بلحاظ اختلاف الانتماء.. اجعل للجميع مسطرة واحدة في حسن الظن.

لعل منطلق هذا التمييز الذي يمارسه البعض بحق جيرانه يعود إلى الأحكام الجماعية المعلبة الجاهزة التي يُطلقها قبل التعامل مع الآخرين.

وإذا كنت لا تتقبل جارك نفسياً لأنه من التصنيف المذهبي أو القبلي أو القومي الكذائي، فهذا سيكون أول خطوة نحو سوء العلاقة بالجار ومخالفة الوصايا الإلهية والنبوية في هذا الإطار. فليكن برك بكل الجيران، بغض النظر عن تمايزاتهم.



ثم ينبّه الإمام «عليه السلام» إلى دوافع السلوكيات الإيجابية تجاه الجيران: (وَأَغْضُ بَصْرِي عَنْهُمْ عَفَّةً، وَالْأَيْنُ جَانِبِي لَهُمْ تَوَاضُعاً، وَأَرْقُ عَلَى أَهْلِ الْبِلَاءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً، وَأَسْرُ لَهُمْ بِالْغَيْبِ مَوَدَّةً، وَأَحْبُ بَقَاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصْحاً، وَأَوْجِبَ لَهُمْ مَا أَوْجِبَ لِحَامَتِي) لعشيرتي وقومي (وَأَرْعَى لَهُمْ مَا أَرْعَى لِخَاصَّتِي) من أهلي القريين مني نسباً.. ولنلاحظ أن كل جملة اشتملت على بيان الدافع.

كل السلوكيات الإيجابية السابقة قابلة أن تكون صادرة بنوايا غير صادقة ولا مخلصّة.

البعض يريد النزول في انتخابات الجمعيات التعاونية مثلاً أو المجلس البلدي وأمثال ذلك، فتجد سلوكياته مع جيرانه في المفردات السابقة من أروع ما يكون.. من أكثر الناس تعاوناً ونصحاً ومساعدةً وبشاشة وجه وتواصلاً ووداً. ومتى ما أفلس من الانتخابات أو اكتفى منها، عاد إلى شخصيته الحقيقية.. «الجهاز مغلق أو خارج نطاق التغطية، يرجى عدم الاتصال في وقت لاحق».

ثم يدعو الإمام بأن يُعامل بالمثل من قبل جيرانه، لأن التعامل الإيجابي من طرف واحد مُتعب، ولربما صار سبباً للقطيعة في المستقبل، أو العداء، أو مواجهة الإساءة بالإساءة وأمثال ذلك مما لا يتمناه المرء في علاقته بمحيطة ويتأمل فيه الاستقرار والراحة النفسية.

إذا سافر لم يقلق مما قد يحدث لبيته بوجود جيرانه الذين يعتبرون بيته أمانة لديهم.. يحفظونه كما يحفظون بيوتهم، ويرعون حرمة أهله وعياله كما يُحبّون أن يرعى هو حرمة أهلهم وعيالهم.

(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي مِثْلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَاجْعَلْ لِي أَوْفَى الْحُظُوظِ فِيمَا عِنْدَهُمْ، وَزِدْهُمْ بَصِيرَةً فِي حَقِّي، وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي، حَتَّى يَسْعُدُوا بِي وَأَسْعَدَ بِهِمْ أَمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ).

وهكذا تكون الحياة في هذا المحيط أجمل وأوفق بالطبيعة الاجتماعية للإنسان، لتتحقق في هذه الحياة صورة مصغرة عما يمكن أن تكون عليه أجواء الجنة في الآخرة.

الخطبة الثانية

لماذا لم يُلزم الرجل بالحجاب؟

لماذا أُلزمت المرأة في الشريعة الإسلامية بالحجاب دون الرجل؟ فكلاهما فتنة للآخر.

□ لمن الحجاب؟

في البدء لابد من توضيح يخص مصطلح الحجاب، وهو أن القرآن الكريم لم يستعمل هذا المصطلح عند الحديث عن طبيعة أو حدود اللباس الشرعي للمرأة.

في القرآن الكريم عندنا آية تخص نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، قال «تعالى»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ..... وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ أَى نِسَاءِ النَّبِيِّ مَتَاعًا فَأَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ «الأحزاب: ٥٣».

هذه الآية تخص نساء النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يتم تعامل المؤمنين معهن من وراء ساتر، وذلك لمزيد من الحيلة حفظاً لسمعة هذا البيت، ودرءاً لأيّة شبهة.. وقد بينت الآية ٣٢ من السورة ذلك حيث قال «تعالى»: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾ أي لنساء النبي «صلى الله عليه وآله» وضع خاص، يستدعي مجموعة من الأحكام والإجراءات التي بيّنتها الآيات لاحقاً.

□ تكليف المؤمنات:

أما عموم المؤمنات، فتكليفهن كما في الآية ٣١ من سورة النور فكالآتي:

١. ﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ هذا تكليف يرتبط بطبيعة السلوك حيث لا يكفي أن تلتزم المرأة بكيفية معينة من اللباس.

٢. ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ وهذا تكليف آخر مرتبط أيضاً بالسلوك وترتبط بالعلاقة الغرائزية مع الرجل والتي يجب أن تكون ضمن إطار الزواج.

٣. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهذا تكليف ثالث يرتبط بالمظهر الخارجي. فَمِنْ طَبِيعَةِ الْمَرْأَةِ أَنْ تَضَعَ الْحُلِيَ بِأَنْوَاعِهَا، وقسم منها يكون في المواضع المكشوفة حين تخرج من البيت، كالحاتم في الإصبع، وهذا مما يجوز إظهاره.. وأما القرط والخلخال والقلادة مثلاً فمكان وضعها يكون بالأجزاء المستورة من جسدها، وهذه لا يجوز إظهارها أمام الرجال من غير المحارم.

٤. ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ وهذا تكليف رابع يرتبط بكيفية اللباس الشرعي، إذ لا يكفي للمرأة أن تغطي رأسها وتكشف رقبتها والجزء العلوي من صدرها، كما كان هو المعتاد قبل نزول الآية، بل لابد من ستر هذه المناطق أيضاً، كما يجب ستر ما عليها من حلي وزينة.

٥. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أي التي أمرن بسترها كالأقراط، ومواضعها من الجسد: ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ وهذا استثناء من الحكم الكلي السابق.

٦. ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ وهذا تكليف خامس يرتبط بالسلوك.

□ لماذا لا يَغُضُّ الرجل بصره؟

قد يقول قائل: ولماذا تُكَلِّفُ المرأة بكل هذا، ولا يُكَلِّفُ الرجل بشيء؟ لماذا نُلْزِمُ المرأة بلباس خاص، ولا نقول للرجل كف بصرك ولا تنظر؟

هذا الإشكال غير سليم، فالبداية كانت بتقديم التشريعات الخاصة بالرجل، وذلك في الآية ٣٠ من نفس السورة: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ثم قال «تعالى»: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ....﴾ إلخ.

نعود الآن إلى السؤال بعد تصحيحه: لماذا ألزمت المرأة في الشريعة الإسلامية باللباس الشرعي دون الرجل؟

١. الله هو خالق الذكر والأنثى، وهو أعلم في تشريعاته بما يصلح لهما على المستوى الفردي والعام، وهذا التشريع ليس اجتهادياً - من عند الفقهاء مثلاً - كي نقول بأنه صناعة بشرية، بل هو في قرآن كريم نازل من عند رب العالمين.

٢. يريد الله للعلاقة بين الجنسين خارج إطار الزوجية أن تكون علاقة إنسانية بعيدة عن الفرائضية.. ومن هنا فهو يسعى من خلال تشريعات غض البصر، وحفظ الفرج، وستر الزينة،

واللباس أن يقترب بالمؤمنين من تلك الحالة التي تتجلى فيها الطهارة النفسية والفكرية والسلوكية.

٣. غالبية الرجال أول ما يلفت انتباههم ويجذبهم إلى المرأة شكلها.. مظهرها.. جسدها.. جمالها.. وقليل منهم الذي يجعل من صفاتها الأخرى كالعقل والتحصيل العلمي والصفات النفسية، والأخلاقية، والدينية، العنصر الأول في الجذب.

أما غالبية النساء فتتجه أنظارهن أولاً إلى شخصية الرجل وخصاله ومكانته الاجتماعية وأمثال ذلك.. دون أن ننفي الانجذاب إلى الشكل، لكنه ليس العنصر الأبرز.

٤. النقطة السابقة توضح لماذا اعتُبر جسد المرأة على مرّ العصور هو مصدر الإثارة الغريزية، وهو ما استدعى أن يكون تشريع اللباس خاصاً بها دون الرجل.

□ إحصائية ذات دلالة:

جاء في مقال تحليلي للإعلانات الصادرة منذ سنة ٢٠٠٦ إلى ٢٠١٦ بقلم «كاتي ريتشاردز» على موقع ADWEEK المختص بشؤون الإعلانات حول سوء استغلال المرأة ما يلي:

• عندما يتعلق الإعلان بالذكاء، فإن الرجال أكثر ظهوراً من النساء وبنسبة ٨٩٪.

• أما عندما يتعلق الأمر بالثياب المثيرة جنسياً، فظهور المرأة فيها يفوق الرجل بستة أضعاف.

□ هوية المؤمنة:

إنّ اللباس الشرعي للمرأة من أبرز مفردات هويتها الإسلامية، ويأتي ضمن مجموعة من التشريعات الموجهة إليها بغرض تحقيق مستوى من طهارة وعفة المجتمع في سلوكياته المرتبطة بالعلاقة بين الجنسين، تماماً كما شرّع الإسلام للرجل مجموعة من الالتزامات التي تكامل هذه الطهارة المطلوبة.. وهي لا تأتي لسلب المرأة حريتها في الحياة، ولا للحجر عليها وكبت طاقاتها الإبداعية.. والواقع العملي الذي نعيشه اليوم ونحن نشاهد فتياتنا الملتزمات بالزي الشرعي وقد انطلقن بإبداعاتهن الفكرية والعملية والأدبية والفنية في كل المجالات خير شاهد على هذه الحقيقة، إذ ليس المطلوب أن يُحجَرَ على المرأة وأن تحتجب عن الحياة، بل أن تلتزم اللباس الشرعي في ضمن التزام شقيقها الرجل عفة النظر والسلوك.





الخطبة الأولى علم التفاوض

قال «تعالى»: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ «سبأ: ٢٤».

في القرآن أكثر من مشهد للتفاوض، بعضه يرتبط بموقف قريش من النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» في العهد المكي، والذي قد يصل إلى موقف حدّي كالذي جاء في سورة الكافرون، فقد روي أنه: (لقي الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطّلب، وأمّية بن خلف، رسول الله، فقالوا: يا محمد، هلمّ فلنعبد ما تعبد، وتعبّد ما نعبد، ونشركك في أمرنا كلّ، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا، كنّا قد شركناك فيه، وأخذنا بحظّنا منه؛ وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يديك، كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت منه بحظّك، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ.....﴾).

وبعضه يرتبط بأهل الكتاب في العهد المدني: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هنا تم تحديد أرضية مشتركة للتفاوض ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ «آل عمران: ٦٤».

وفي السيرة النبوية أكثر من مشهد للتفاوض، من بينها ما جرى في أجواء صلح الحديبية. وفي سيرة أمير المؤمنين علي «عليه السلام» صور من التفاوض في أجواء حروبه الثلاثة، الجمل وصفين والنهروان، وبعضها مذكور في كتب التاريخ.

وعموماً، فقد عرفت البشرية المفاوضات منذ القدم كوسيلة للتفاهم والتوافق والوصول إلى حلول سياسية وسط، أو لإيقاف حرب، أو في قضايا اجتماعية، أو دينية، أو غير ذلك.

ولكن ظهر الاهتمام بالتفاوض خلال العقود الأخيرة كعلم وتخصص ونظريات تُدرّس في المعاهد والجامعات، وتقام لها دورات خاصة يشارك فيها السياسيون ورجال الاقتصاد.

وتم تعريف علم التفاوض بأنه: (العلم الذي يهدف إلى الكشف عن أفضل الوسائل لتكوين أرضيات مشتركة والتفاهم الفعّال بين الأفراد، بالرغم من اختلافهم الثقافي أو السياسي أو العقدي، وذلك من أجل تجنب المشاكل والصراعات، أو لوضع حدّ لها والخروج منها).

وهذا العلم تكاملي، لأنه يستمد أسسه ومفاهيمه من عدّة علوم، كعلم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم اللغويات، والإدارة، والعلوم السياسية، والعلاقات الدولية، والاقتصاد. والتاريخ.

وهو أيضاً فنّ، لأنه يعتمد على مهارات وكفاءات شخصية خاصة، كالقدرة على المناورة، والحوار، وعملية التواصل، وتقبّل الآخر، وغير ذلك.

ولا نحتاج لكثير جهد حتى نوضّح مدى أهميّة هذا العلم في واقعنا المعاصر، وذلك في ظل كل هذه الحروب، والأزمات السياسية والإنسانية التي يشهدها العالم، وبالنظر إلى أن الارتجالية ما عاد لها محلّ في وسط عالم يُدار من خلال الدراسات الاستراتيجية والإحصائيات والخطط العشرية .. إلخ.

وقد ظهرت الكثير من الدراسات والأعمال البحثية والأدبيات النظرية التي تعالج هذا الموضوع.. حتى أن جامعة هارفارد الأمريكية أصدرت سلسلة دراسات حول تنمية مهارات التفاوض على مستوى طلاب الجامعات والمدارس الثانوية، باعتباره من دعائم العمل بروح الفريق الواحد، والذي بدوره يمثل جوهر الأعمال التنموية لأي بلد.

ومن أهم من تخصص في هذا المجال: الدكتور «روجر فيشر» «١٩٢٢-٢٠١٢»، باعتباره مؤسس مشروع المفاوضات بجامعة هارفارد، وقد قدّم نظريته الخاصة

حول العناصر والأسس السبعة للمفاوضات... فما هي؟ وكيف انتبه أحد المهتمين بهذا الشأن إلى تأسيس أمير المؤمنين علي «عليه السلام» لهذه العناصر من قبل؟

الخطبة الثانية

عناصر التفاوض بين الإمام علي وفischer

العناصر السبعة للتفاوض قد نحتاجها جميعاً في حياتنا، فعندما يحدث خلاف زوجي وأكون أحد طرفيه، أو للإصلاح بينهما، فأنا بحاجة إلى هذه العناصر ضمن عملية التفاوض للإصلاح. وهكذا أحتاج إلى أسس التفاوض عندما أدخل في صفقة تجارية مع بعض الأطراف، وعندما تُعرض عليّ وظيفة في شركة خاصة، أو لرفع الراتب، أو لتحسين بيئة العمل، وغير ذلك.. فالأمر حيوي لكثير من الناس، ولا يخص كبار السياسيين مثلاً.

□ عناوين العناصر السبعة:

العناصر والأسس السبعة للتفاوض وفق نظرية الدكتور «روجر فيشر» هي:

١. المصالح: هل فهمت الأطراف مصالحها وأولويات وقيود كل طرف بوضوح؟
٢. الخيارات: هل تم إعداد ما يكفي من الخيارات؟ وما علاقة هذه الخيارات بالالتزامات؟
٣. الشرعية: ما مدى شرعية الاتفاق وتناغمه مع المبادئ والعدالة والقوانين والأنظمة؟
٤. العلاقة: ما مدى إمكانية العمل المشترك؟ وهل تهتم لطبيعة العلاقات المستقبلية بينها؟
٥. الاتصال: هل طريقة الاتصال القائمة تساعد على تعامل الأطراف بشكل

بناءً مع الصراع؟ وهل الآليات المعمول بها لتحديد ما تمّ الاتفاق عليه تؤدي الغرض الذي أوجدت لتحقيقه؟

٦. الالتزام: هل تمّ صياغة الالتزامات بدقة؟ هل يعرف كل طرف ما يريد الطرف الآخر الموافقة عليه؟ وهل هناك وضوح حول ما يتوجب القيام به بعد الاتفاق مباشرة؟

٧. البدائل: هل يفهم كل طرف أفضل بدائله إن لم يتم التوصل إلى اتفاق؟ وهل يمكن توظيف النتائج السلبية لعدم الاتفاق من أجل تقريب الأطراف إلى بعضها البعض؟

□ كتاب الدكتور عريقات:

الدكتور «صائب عريقات» كبير المفاوضين الفلسطينيين أصدر كتاباً تحت عنوان «عناصر التفاوض بين علي وروجر فيشر». وبغض النظر عن نتائج عملية التفاوض بين الفلسطينيين والإسرائيليين - فقد يُتقن الفرد الشيء نظرياً ولكنه لا يوفّق فيه علمياً - قدّم عريقات قراءة مميزة ومهمّة في بيان أسس وعناصر المفاوضات لدى أمير المؤمنين علي «عليه السلام» قبل نظرية فيشر بأكثر من ١٣٠٠ سنة. قال: (الذي يقرأ تاريخ الأمم للطبري و..... يعرف تمام المعرفة أن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب..... حدّد ركائز وأسس العلوم المختلفة، منها: النفس والاقتصاد والسياسة، واتخاذ القرار، وإدارة الأزمات والمفاوضات، وأرسى أسس ومبادئ السيادة قبل أن يُحددها «جان بودان» في كتبه الجمهورية الستة بألف عام.... لقد أسس أمير المؤمنين سيدنا علي «رضي الله عنه» نظرية الحق والدولة قبل «توماس هوبز» وكتاب «ليفيتان» بمئات السنين).

ثم يتحدث عن تجربته الشخصية ومعاناته في المفاوضات الصعبة والتي قادته إلى أن يطالع تجربة أمير المؤمنين «عليه السلام» وأن يراجع كلماته في هذا الإطار، قال عن الظروف والمفاوضات: (كانت ليلة بعد ليلة ويوماً بعد يوم تقودني إلى التعرّف على ما قدّمه إنسان عربي واحد لعلم المفاوضات بشتى أنواعه... إنه أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب «رضي الله عنه». لقد لجأت إليه وإلى أقواله وخطاباته ورسائله في كل يوم من أيام المفاوضات).

وبعد أن استعرض العناصر التفاوضية السبعة التي أرساها روجر فيشر، بدأ بالحديث حول عناصر التفاوض الاثني عشر التي استخلصها هو من الإمام علي «عليه السلام»، كما ذكر المؤلف العديد من الشواهد الخاصة بالعناصر السبعة المشتركة بينهما، وتحدّث عمّا امتاز به الإمام علي «عليه السلام» على الدكتور «فيشر» ضمن هذه العناصر، ثم ذكر العناصر الخمسة الإضافية وهي:

١. العلم والمعرفة: بعد الاستشهاد بمجموعة من النصوص، ومن بينها قول الإمام «عليه السلام»: (لا ترى الجاهل إلا مُفْرِطاً أو مُفَرِّطاً)، ذكر المؤلف أن الإمام عَرَفَ: «أن التداخل والتواصل بين البشر وبما في ذلك المفاوضات، لا يمكن أن تقتصر على تحضير ذاتك ووفدك وفريقك، بل عليك أن تعرف أدق التفاصيل عن الطرف الآخر».

٢. القيادة والمسؤولية: المستندة على العمل التنظيمي: «فلا يمكن أن تكون هناك قيادة أو قائد يمثل قمة هرم دون أن يكون هناك تنظيم دقيق لهذا الأمر، فتتظيم الأمور يُعتبر مفتاح القيادة السليمة، ومن خلالها تقليل العفوية واللامبالاة والسهولة والتخبط في اتخاذ القرار».

٣. المتغيرات: لا بد لكل من يفاوض أن يمتلك القدرة الفائقة على استقرار المستقبل والماضي وتأثير المتغيرات على المجتمع، ومن ذلك قوله «عليه السلام»: (ينام الرجل على الثَّكُل، ولا ينام على الحَرْب) .. قد يتحمّل الإنسان مصاب فقد الحبيب، ولكن لسلب المال وقعا أقوى عليه بكثير.

٤. الصبر والثبات: الصبر هو طريق النصر. قال «عليه السلام»: (آلة الرئاسة سعة الصدر)، وتكرس عنصر الصبر والثبات في المفاوضات يمكن الوصول إلى مستويات دقيقة للغاية: (من طلب شيئاً ناله أو بعضه).

٥. العدل: فهو أساس التوازن في العلاقات، ولن يصمد أي اتفاق لا يقوم على العدل، مهما كان اختلال موازين القوة بين الأطراف المتداخلة في الصراع.

□ الإمام يُبهر العالم:

ما زال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» يُبهر العالم كلما بحث المحقّقون في تراثه الفكري والعملية، ليستخرجوا منه كنوز المعرفة والعلم والحكمة

والإدارة والسياسة والأخلاق.. وما زال القصورُ - في المقابل - يحكُمُ الدائرةَ الخاصة التي يُفترضُ بها أن تتلقَّفَ هذا الإرثَ الحضاري بصورة مغايرة لما دأبت على الخوض فيه، والذي بات أشبه شيء بكرة الحرير حين تلتفُّ حول الشرنقة.. وكأنَّ إرثَ عليٍّ «عليه السلام» لا يتجاوز مسألة الإمامة والصراعات التاريخية والخلافات البيئية.





الخطبة الأولى

من أدعية الزهراء - القسم الأول

روى العلامة السيد محسن الأمين في كتابه «أعيان الشيعة» الدعاء التالي عن مولاتنا فاطمة الزهراء «عليها السلام» مع الاختصار: (اللهم قُتِّعْنِي بما رَزَقْتَنِي، واسْتُرْنِي وعافني أبداً ما أبقيتني، واغفر لي وارحمني إذا توفيتني، اللهم لا تُعْزِنِي في طلب ما لم تُقَدِّرْ لي، وما قُدِّرَتْه عليّ فاجعله ميسراً سهلاً..... اللهم فرِّغْني لما خلقتني له، ولا تُشْغِلْني بما تكفَّلْتَ لي به....).

دمار بعض الأسر يأتي نتيجة عدم القناعة.. رب الأسرة يريد الثراء السريع، ويدخل نفسه في دوامة من الديون، لينتهي به المطاف في السجن، أو منتحراً، أو هارباً من القانون.. ويترك وراءه أسرة بكاملها تعاني مرارة العيش بسببه.

وقد تكون الزوجة بمطالبها اللا محدودة، وما تعيشه من حسد وغيره من أخواتها وصديقاتها وجاراتها سبباً لتعاسة الأسرة وتفككها، وما يستتبع ذلك من دخول الأبناء في عالم الإجرام أو المخدرات أو غير ذلك.

وقد يقع الشاب بهوّه - نتيجة إلحاح الشهوات - فريسة لأمل الثراء السريع، أو تلبية رغباته الملحة.. سيارات فارهة.. علاقات نسائية غير محدودة.. بذخ.. ويسعى لتحقيقها على طريقة الوجبات السريعة.. فيكون مصيره الدخول في عالم الممنوعات.. أو الصفقات المشبوهة.. وأمثال ذلك، مما يؤدي به إلى نهايات مأساوية.

مفتاح الحل بسيط جداً.. كلمات قالتها الزهراء «عليها السلام» في دعائها:
(اللهم قنني بما رزقتني).. والله «عز وجل» يقول: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ
أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ «طه: ١٣١».

أي أن الرزق الحقيقي هو ما يكون في الآخرة للمؤمنين الصالحين.. من حيث
الكيف والكم والامتداد الزمني هو خير من كل ما في هذه الدنيا.. مدّ عينيك لذلك
الرزق.. لذلك العطاء.. وافعل ما يجعلك مستحقاً له.

ومن جملة الالتفاتات الرائعة في هذا الدعاء المقطع التالي: (اللهم لا تُعني
في طلب ما لم تُقدّر لي).. قد يتصور الإنسان أن ما أمامه بمثابة فرصة العمر..
فببذل الجهد والوقت والمال والصحة... ولكن في نهاية المطاف يتبين له أنه كان
سراباً فحسب.

ولذا تدعو الزهراء «عليها السلام» أن يا رب افتح لي بصيرتي منذ البداية كي
أميز ما بين الأمور.. فوفّقني لتلك التي تعود عليّ بالخير، وتتحقق من خلالها
النتائج الإيجابية.. ولا تجعلني أعاني الأمرين في سبيل تحصيل ما لم تُقدّر لي من
خلاله ما يعود عليّ بالنفع، إما لأنه لن يتحقق، أو لأن فيه مضرتي.

الخطبة الثانية

إياكم والجرجير!

موضوع هذه الخطبة لا يخلو من طرافة.. ولكنها طرافة ممزوجة بألم، لأنها
تتعلق بالموروث الحديثي، وما وقع عليه من تزوير وتلاعب وتحريف، بينما كان من
المفترض أن يُعتنى بهذا الموروث ويُجَنَّب كل ذلك - على الأقل - باعتباره المصدر
الثاني للتشريع.

موضوعنا حول أحاديث الجرجير! إذ انتشرت رسالة في وسائل التواصل

الاجتماعي تتضمن تحذيراً من تناول الجرجير بناءً على مرويات عن النبي وآله. الموضوع في نفسه ليس ذا أهمية، ولكن البحث في خلفياته يكشف لنا نموذجاً لكيفية تغفل الوضع والتزوير في الأحاديث. فلنبداً باستعراض بعض تلك المرويات، ثم التعليق عليها:

عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: (إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: أكره الجرجير، وكأنني أنظر إلى شجرتها نابتة في جهنم! وما تزلع منها رجل) أي أكثر منها (بعد أن يصلي العشاء إلا بات في تلك الليلة ونفسه تُتازعه إلى الجذام). وعنه «عليه السلام» أنه قال في الجرجير: (ما من عبد بات وفي جوفه شيء من هذه البقلة إلا بات الجذام يُرْفرف على رأسه حتى يُصْبَح، إما أن يسلم وإما إلى أن يعطب).

وعن أبي جعفر الباقر «عليه السلام» قال: (الجرجير شجرة على باب النار). وفي رواية أنه: (سأل رجل أبا عبد الله «عليه السلام» عن البقل، الهندباء والبادروج) أي الريحان (والجرجير. فقال: الهندباء والبادروج لنا، والجرجير لبني أمية).

□ تقييم الروايات:

أما التعليق على هذه الروايات فضمن النقاط التالية:

١. مرض الجذام مرض بكتيري لا علاقة له بتناول الجرجير، ثم ما علاقة المرض بتناوله ليلاً؟

٢. لو درسنا أسانيد الروايات التي تناولت التحذير من الجرجير فسنجد بعضها مراسيل - بلا سند - وبعضها مسندة ولكن من رجالها مثلاً «أبو جميلة» وهو الفضل بن صالح، وهو ضعيف جداً، وكان يتعمد وضع الحديث، وعيسى بن عبد الله العلوي وهو من المجاهيل، وقتيبة بن مهران وهو مهمل، وحماد بن زكريا وهو مهمل أيضاً.

٣. لهذه الروايات أصل أيضاً عند إخواننا من أهل السنة، رُويت عن النبي «صلى الله عليه وآله»، ولعلها انتقلت إلى كتبنا بإضافة: قال الباقر وقال الصادق،

وذلك بلحاظ التشابه الكبير في مضمونها، ولأن من المفترض أن رواها سابقين لعهد الإمامين «عليهما السلام».

وقد رفضها محققوهم بشدة مبينين بعض أسباب ضعفها.. ففي كتاب «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» لعلي بن محمد الشافعي، وهو تلخيص لعدد من المؤلفات حول الأحاديث الموضوعة ذكر تحت رقم «١٥٨٤» جاء بعدة أحاديث تدمّ الجرجير وأكله: (حديث: «بُست البقلة الجرجير، مَنْ أكل منها ليلاً حتى يتصلع بات ونفسه تنازعهُ، ويضرب بعرق الجذام من أنفه، كُلوها بالنهار، وكُفوا عنها ليلاً» وأكثر رواته مجاهيل.... وعند الحارث من حديث واثلة: «.... والجرجير بقلة خبيثة، كأني أراها نابتة في النار»، قلت: حديث أبي نعيم فيه شيخه أحمد بن جعفر وضاع، وفيه غيره من الضعفاء والمتروكين...).

٤. يبدو لي بعد البحث أن وضع هذه الرواية جاء في إطار الحرب الكلامية والدعائية ما بين الأمويين - ومركزهم الشام - وخصومهم في البلاد الأخرى - ولم يكونوا شيعة فقط - حيث تمّ توظيف أمور عديدة في هذا المجال ومن بينها ما جاء في صورة حديث نبوي. ومن أمثلة ذلك:

عن ابن عمر: (أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: إن إبليس دخل العراق فقضى حاجته، ودخل الشام فطردوه حتى بلغ ميسان، ثم دخل مصر فباض فيها وفرّخ وبسط عبقرية) أي سجادة. وعنه «صلى الله عليه وآله»: (الشام صفوة الله من بلاده، يجتبي إليه صفوته من خلقه). وروايات أخرى أن الشام هي أرض المحشر في الآخرة، وأنها مأوى المؤمنين آخر الزمان....

وفي المقابل تم وضع أحاديث في ذمّ معقل الأمويين، فعن أبي هريرة قال: (قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يَنْعِقُ الشَّيْطَانُ بِالشَّامِ نَعْقَةً، يُكَذِّبُ ثَلَاثَهُمْ بِالْقَدَرِ) أي أن ثلثاً أهل الشام سيتبعونه.

ومن بين الأمور التي تمّ توظيفها حب الشاميين «حاضنة الأمويين» للجرجير، فهو يُسمى عندهم منذ القدم «قُرّة العين»، فوضعت روايات في ذم هذه النبتة نكايّة بهم. لاحظ الخبر التالي:

قال القرطبي في كتابه «التذكرة»: (قال فضل بن صالح المعاقري: كنا عند

مالك بن أنس ذات يوم فقال لنا: انصرفوا. فلما كان العشية رجعنا إليه فقال: إنما قلت لكم انصرفوا لأنه جاءني رجل يستأذن عليّ زعم أنه قدم من الشام في مسألة فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في أكل الجرجير؟ فإنه يُتحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنم؟ فقلت له: لا بأس به (أي لا بأس بأكله) فقال: أستودعك الله وأقرأ عليك السلام) وكأن الرجل ارتاح نفسياً للإجابة فغادر.

لم يكن للشامي إلا هذا السؤال، وقد قصد به أحد أعلام زمانه مسافراً من الشام إلى المدينة، ويبدو أنه طلب الخلوة به لحساسية الأمر، ولعل هذا في بدايات العهد العباسي بحيث كان السؤال عن الجرجير تهمة الولاء للأُمويين! وهو يجب الجرجير ويخاف أن يكون نبتة جهنمية!

٥. لاحظ ردّة فعل الإمام موسى بن جعفر الكاظم «عليه السلام» - بحسب هذه الرواية - فعن موفق مولى أبي الحسن «عليه السلام» قال: (كان مولاي أبو الحسن «عليه السلام» إذا أمر بشراء البقل يأمر بالإكثار منه ومن الجرجير فيُشتري له، وكان يقول «عليه السلام»: ما أحقّ بعض الناس، يقولون إنه ينبت في وادٍ في جهنم، والله عز وجل» يقول ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ فكيف تنبت البقل؟). وهي متوافقة مع أسلوب أهل البيت في مواجهة الأفكار الباطلة بالموقف العملي بالإضافة إلى البيان الكلامي.

□ ضرورة الحذر:

إن التعامل مع التراث الحديثي بحاجة إلى التثبت والتحقيق، وعدم الاستعجال بقبول الروايات وترتيب الأثر عليها لما يُعانيه هذا الموروث من مشكلات كالوضع والتحريف والنقصان وانقطاع ارتباطها بسبب الصدور وغير ذلك. وما قضية الجرجير - على بساطتها وعدم أهميتها - إلا نموذج واحد يبيّن لنا كيف كان يحدث الوضع وماهية دوافعه السياسية أو الدينية أو المذهبية أو غير ذلك، وضرورة حذر الإخوة عند نقل ما يدخل تحت عنوان الأحاديث وتداولها وكأنها مسلّمات.. فالمتصيّدون كثر، والكلمة مسئوليّة.



الخطبة الأولى

من أدعية الزهراء - القسم الثاني

كان لي في الأسبوع الماضي تعليق على بعض عبارات الدعاء الذي رواه العلامة السيد محسن الأمين في كتابه «أعيان الشيعة» عن مولاتنا فاطمة الزهراء «عليها السلام» وأوله: (اللهم قنّني بما رزقتني، واسترني وعافني أبداً ما أبقيتني) .. هذا الدعاء الذي يمسّ واقع كل فرد منا، وبشكل دائم. وقد قرأت مؤخراً خبرين لهما ارتباط مباشر بهذه المقاطع والتعليقات عليها.

الخبر الأول حول ما بات يُطلق عليه في الغرب اسم «يوم الطلاق»، وهو أول يوم اثنين في شهر يناير من كل عام.. أي أول يوم عمل بعد إجازة الكريسمس ورأس السنة الميلادية.

والسبب هو الارتفاع الحاد في عدد الأشخاص الذين يطلبون - في ذلك اليوم - من مكاتب المحاماة المشورة حول أفضل الطرق لإنهاء العلاقة الزوجية.. فما الذي يحدث في الفترة التي يُفترض أن يغلب عليها المرح بحيث يدفع الأزواج للطلاق؟

عندما تقرأ التفاصيل تصل إلى نتيجة مفادها أن الضغوط المالية الحاصلة في هذه الفترة تعدّ من أهم العوامل التي تدفع نحو خلق أو تجديد النزاعات الزوجية التي قد تصل إلى الطلاق... التجهيز للكريسمس ورأس السنة ومتطلبات ذلك من هدايا وسفر وتزيين واحتفال وغير ذلك.

الخبر الثاني حول مراهق صيني باع - قبل خمس سنوات - إحدى كليتيه في



السوق السوداء لشراء iPhone و iPad جديدين، ليثبت لزملائه في الدراسة أنه مواكب للتكنولوجيا.. ثم نتيجة المضاعفات الصحية أصبح الآن عاجزاً عن العمل، وبحاجة إلى رعاية صحية مستمرة.

(اللهم قنّني بما رزقتني... وما قدرته عليّ فاجعله ميسراً سهلاً).. هذه هي الوصفة لتجنّب الوقوع في مزالق المتطلبات الكمالية أو البهرجة الزائفة.

في العهد العباسي عندما انتعشت المجتمعات الإسلامية مادياً، صار الناس يضعون في مزابلهم الطعام والكساء الجيّد ليراها الآخرون فيقولون إن أصحاب الدار أصحاب مال! وصار يُطلق على هذا النوع من التصرف مصطلح «النّفج».. واليوم يُطلق عليه البعض مصطلح «الهياط».. أي الاهتمام المبالغ به بالمظاهر بغرض التفاخر والترفع على الآخرين.. كما الناقّة حينما تكون في موسم التزاوج، فإنّها تهايط كثيراً، أي تُصدر صوتاً عالياً لتلفت انتباه الجمل.

(اتّقِ المحارم تُكنْ أعبدَ الناس، وارضَ بما قَسَمَ اللهُ لك، تُكنْ أغنى الناس...)
هكذا رُوي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهكذا فلنسع أن نكون... اللهم قنّني بما رزقتني، واسترني وعافني أبداً ما أبقيتني، واغفر لي وارحمني إذا توفيتني، اللهم لا تُعني في طلب ما لم تُقدر لي، وما قدرته عليّ فاجعله ميسراً سهلاً..... اللهم فرّغني لما خلقتني له، ولا تُشغلني بما تكفّلت لي به، إنك سميع مجيب.

الخطبة الثانية

الأخطاء العلمية في القرآن

هل في القرآن أخطاء علمية؟ هناك من الملحدّين وغيرهم من يطرح هذه الشبهة.. فما مدى صحة ذلك؟ وإن كانت التهمة باطلة - كما نعتقد - فكيف الرد عليها؟

لست بصدد عرض الشبهات بشكل تفصيلي والردود عليها، بل سأطرح بعض الأمور المهمة التي من خلالها ترتفع الكثير من التشكيكات تلقائياً، وهي كالتالي:

□ الفرق بين أسلوبين:

هناك فرق ما بين اللغة العلمية واللغة الأدبية، أو بين الأسلوب العلمي في التعبير والكتابة والأسلوب الأدبي.. وواحدة من أهم الفروقات بينهما التركيز على البعد العاطفي في الأسلوب الأدبي إلى جانب الحقائق والأفكار. أما في الأسلوب العلمي، فإن الأفكار والحقائق هي الأساس الأول في بنائه، وقلماً نجد الانفعال والعاطفة والمجاز فيه، لأن مدار عنايته هو الوضوح والاستقصاء للحقائق والأفكار.

وفي اللغة العلمية يتم تحاشي التكرار للأفكار وترديدها أكثر من مرة، وهو على العكس من الأسلوب الأدبي، إذ نجده يكرر المعنى الواحد ويعرضه علينا في عدة صور بيانية مختلفة، تمثل الإجلال والإعظام، ولعله في كل مرة يكرر عرض الفكرة في صور مغايرة يسبغ عليها دلالات مختلفة.

وأوضح مثال على ذلك تكرار ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن، أو تكرار ﴿... إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ يَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ... إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ... إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ «النمل: ٦٠-٦٣».. وهكذا، بعد عرض مجموعة من نعم الله.

ولست بصدد استقصاء الفروقات بين الأسلوبين، ويمكن لأي مهتم أن يبحث في الإنترنت عن الفرق بينهما، وهناك مؤلفات خاصة بهذا المجال.. القرآن اعتمد الأسلوب الأدبي في لغته.

□ الفرق بين الحقيقة والمجاز:

وهذا يجرّنا إلى نقطة أخرى، وهو ضرورة التفريق ما بين اللغة المجازية والحقيقية في القرآن، ولا يصح أن نحاكم بعض الآيات علمياً وهي تتحدث بلغة مجازية. وقد ألّف عدد من العلماء واللغويين كتباً في مجازات القرآن، ومن بينهم «مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التَّيْمِيُّ» «ت ٢١٠هـ» وله كتاب «مجاز القرآن» يتناول فيه المجازات بالبيان والشرح آية آية ضمن كل سورة بترتيب المصحف الشريف، وهكذا ألّف الشريف الرضي «ت ٤١١ هـ» كتاب «تلخيص البيان في مجازات القرآن»، ومن

المعاصرين الدكتور أحمد الجبوري صاحب «موسوعة أساليب المجاز في القرآن الكريم». ولذا فإنه عندما يسرد أحدهم مجموعة إشكالات - ويسمّيها علمية - على قوله «تعالى»: ﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ «الحج: ٦٥» من حيث سعة السماوات والكم الهائل من الأجرام وضخامتها، أو من حيث أن السماء - بحسب تعبيره - فراغ وغازات سابحة، فكيف سيسقط الفراغ والغازات على الأرض.. هو لا يلحظ أن التعبير في الآية مجازي، تماماً كما في قوله: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ «يوسف: ٨٢»، فالقرية لا تُسأل بل أهلها يُسألون.

□ قصد الظاهر لا الحقيقة:

بعض التعبيرات الواردة في القرآن يُلحظ فيها الجانب الظاهري من الأمور لا واقعها العلمي. ولذا لا يصح - مثلاً - أن يأتي شخص ويُشكل على قوله «تعالى»: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ «الكهف: ٨٦» على اعتبار أن هذا التصوير يصحّ لو كانت الأرض مسطحة وثابتة، والشمس تتحرك من اتجاه إلى آخر كما هو تصوّر البشري القديم، فهذا يصحّ أن نقول «بلغت مغرب الشمس» و «غربت الشمس في المكان الفلاني».. أما الحقيقة العلمية فخلاف ذلك.. فالآية إنما تصف الأمور كما كانت ظاهرة بالنسبة لذي القرنين، لا في واقعها العلمي.

□ تغيير معاني الكلمات:

لا يصح أن نفهم بعض الكلمات من خلال مدلولها في هذا العصر، فقد يتغير المعنى الذي نستعمل فيه ذات الكلمة ولو تغيراً جزئياً.. وهذا ما يدفعنا إلى ضرورة التريث والعودة إلى المعاجم اللغوية لاستقصاء المعاني المحتملة للكلمة. فكلمة هلك - مثلاً - في معناها المستعمل اليوم ذات دلالة سلبية، ولا نستعملها إلا بحق الأعداء والأفراد الذين نكرههم، ولكن لاحظ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ «غافر: ٣٤».. وهكذا بالنسبة إلى كلمات من قبيل: نجم، وكوكب، وعظم، وغيرها من كلمات مستعملة في القرآن الكريم وهي لا تتطابق مع المعاني العلمية المتداولة اليوم.

إن الله «عز وجل» يقول: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَفَرَأَيْنَا فَرقَتَاهُ يُتَقَرَّاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا، قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِن كَان وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا، وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ «الإسراء: ١٠٥-١٠٩» فالقرآن الكريم ليس كتاباً في الفيزياء أو الكيمياء أو الفلك أو غير ذلك من المجالات العلمية الطبيعية، كما أنه ليس بكتاب تاريخ ولا أدب ولا علوم إنسانية، بل هو في المقام الأول كتاب هداية استعمل لغة العرب بما فيها من فنون وأساليب بيان وبلاغة، وهو يشتمل في بعض آياته على معارف علمية وإنسانية وتاريخية قدمها بأسلوب لغوي فني أدبي لا بأسلوب العلمي، والغرض من ذكرها وبهذا الأسلوب حث الناس على التفكير والتدبر فيها مقررنا ذلك بإثارة مشاعرهم وأحاسيسهم الفطرية العميقة وهز ضمائرهم لعلهم يهتدون.. ومن هنا أخطأ الملحدون وأضرابهم فيما أثاروه من إشكالات على بعض الآيات القرآنية تحت عنوان أنها أخطاء علمية، ونحن ندعوهم إلى إعادة قراءتها والتدبر فيها من جديد ضمن هذا الإطار إن كانوا منصفين.





الخطبة الأولى من أدعية الزهراء - القسم الثالث

(اللَّهُمَّ قَتَّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَاسْتُرْنِي، وَعَافِنِي أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي).. بعد أن تحدثت الزهراء «عليها السلام» في دعائها عن القناعة، ذكرت الستر والعافية.

الستر: ضد الكشف.. فما هي الأشياء التي يمكن للإنسان أن يطلب من الله عدم كشفها؟

١. الذنوب والآثام.

٢. العيوب والجوانب السلبية في الشخصية، من قبيل الضعف، عدم الثقة بالنفس، الجبن، كثرة التردد، الجهل... إلخ.

٣. النواقص التي قد حُرِمَ منها الإنسان، كالمال، والمسكن اللائق، والزوج أو الزوجة، وأمثال ذلك من أمور قد تضغط على الإنسان وتدفعه لطلب المساعدة لسدِّ نقصها بما يجرح كرامته. وأحتمل أن هذا المورد من طلب الستر هو المقصود في هذا المقطع بلحاظ السياق، أي طلب عدم الوقوع تحت ضغط الحاجة التي تدفع الإنسان إلى طلب نوع من المساعدة من الآخرين.

فما هي حالة الإنسان إذا سأل عن حاجة.. لاسيما ذلك الإنسان صاحب النفس العزيزة.. وأخص من ذلك، عزيز قوم ذل؟ عن الإمام علي «عليه السلام»: (السؤال يُضعف لسان المتكلم، ويكسر قلب الشجاع البطل، ويوقف الحرَّ العزيز موقفَ العبدِ الذليل).

وعنه قال: (المسألة طَوَّقُ المَذَلَّةِ، تَسْلُبُ العَزِيزَ عِزَّهُ، والحَسِيبَ حَسْبَهُ).

وقد يطلب المساعدة، فيعود مُهاناً حين يواجه بالرفض والزَّجر، وسيكون الإحساس بالذل والانكسار حينها شديداً. ولذا جاءت النصوص بالمنع عن ردِّ السائل: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ «الضحى: ٩». عن الإمام الباقر «عليه السلام»: (.... ولو يعلم المسؤول ما في المنع، ما منع أحدٌ أحداً). وعن الإمام الحسين «عليه السلام»: (صاحب الحاجة لم يُكْرِم وجهه عن سؤالك، فأكرم وجهك عن ردِّه).

وقد ينال طلبه، ولكنه يُفْتَضَح بين العباد على يد ذلك المعطي. عن علي «عليه السلام»: (ماءُ وجهك جامد، يُقَطِّرُه السُّؤال، فانظر عند مَنْ تُقَطِّرُه).

وقد يذكر ضعف حاله دون طلب للمساعدة فيُظهره ذلك ضعيفاً أمام الآخرين، فيحتقرونه. اشتكى مفضل بن قيس ضيق حاله إلى الإمام الصادق «عليه السلام» فقال: (يا جارية، هات ذلك الكيس، هذه أربعمائة دينار وصلني بها أبو جعفر) المنصور الدوانيقي (فخذها وتفرِّج بها، قال: فقلت: لا والله - جعلت فداك - ما هذا دهري، ولكن أحببتُ أن تدعو الله «عز وجل» لي. قال: فقال: إني سأفعل، ولكن إياك أن تُخبرَ الناس بكلِّ حالك فتَهونَ عليهم).

ومن هنا بدأت الزهراء «عليها السلام» درسها التربوي في هذا الدعاء بطلب القناعة، كي لا ينزلق الإنسان - ما أمكن - إلى مذلة السؤال وافتناض الحال: (اللَّهُمَّ قَتِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَاسْتُرْنِي، وَعَافِنِي أَبَداً مَا أَبْقَيْتَنِي).

الخطبة الثانية

فقدان الثقة بالإسلاميين

«فقدان الثقة بالإسلاميين».. قد لا يكون هذا العنوان دقيقاً، ولربما عبّر عن الموضوع بـ «فقدان الثقة بالتجربة الإسلامية» أو بـ «فقدان الثقة بالحالة الإسلامية»

وأمثال ذلك، وقد يُشكّل على المصطلح.. ولكن أتصور أنّ الفكرة واضحة، والإشكال قائم وحقيقي وليس مجرد افتراض.

وعندما أقول التجربة أو الحالة الإسلامية فلا أعني فقط الحركات الإسلامية السنية والشيعية، بل عموم الناشطين في مجال ربط الناس بالدين، من علماء رساليين وأفراد وجماعات وأحزاب.

□ الشريعة الأكبر:

الشريعة الأكبر - وليست الوحيدة - المستهدفة في هذا الموضوع والتي تطرح الإشكال بقوة هي شريعة الشباب.. مواليد التسعينيات من القرن العشرين - أو قبل ذلك بقليل - وما بعد. هذه الشريعة فتحت عينها على طالبان والقاعدة وكل الفضاعات التي ارتكبت في أفغانستان وخارجها بحق المسلمين وغيرهم.. ثم داعش وأخواتها.

ثم جاءت تجربة الحكم على يد الإسلاميين في العراق ثم دول الربيع العربي في مصر وليبيا وغيرهما، وقد تراوحت ما بين الفشل، وسوء الإدارة، والانقسام، والتصارع على المكاسب والمواقع، والسقوط الأخلاقي، وغير ذلك.

والدوائر المخابراتية والدول والجهات والأحزاب المعادية للحالة الإسلامية ليست بريئة من كل هذا، فقد ساهمت في خلق الصراعات وتضخيمها وإفشال التجارب، دون أن نبرّيء الأفراد والجماعات الإسلامية مما حدث.

لا بد أن أنبه هنا إلى أنه من الظلم أن نحكم على كل الأفراد والجماعات الإسلامية بحكم واحد، أو على مستوى واحد من تحميل المسؤولية، فمنهم من أثبت مصداقيته ونزاهته وزهده في الدنيا، وإخلاصه في عمله، ونجاحه في الدور الملقى على عاتقه، ومنهم من سقط في الاختبار أو كشف عن وجهه الحقيقي القبيح.

□ غياب عن التجربة:

هذه الفئة الشبابية لم تعيش تجربة الإسلاميين خلال القرن العشرين إلى بداية التسعينيات، ولم تطلع على إنجازاتها. كما أن فقدان الثقة هذه - خصوصاً عند الشباب - لم تقف عند حدّ النظرة السلبية، بل وتطوّرت أحياناً إلى الكفر

بالدين، أو الإلحاد، أو ترك الالتزام الشرعي، أو الانضمام إلى الجماعات التي تتبنّى اتجاهات لا دينية.

□ رسائل إلى الشباب:

وهنا لابد من توجيه رسائل سريعة ومختصرة وفي اتجاهات مختلفة، والأولى إلى الشباب:

أولاً، التكفيريون والإرهابيون لا يمثلون «الحالة الإسلامية» مطلقاً.

ثانياً، الإسلاميون - على اختلاف توجهاتهم - بشر وليسوا معصومين، وما صدر عنهم من أخطاء وسليبات لا يمثلون من خلاله الدين، بل هي انعكاسات للبُعد الفردي في أشخاصهم، ومن الظلم أن نحكم على الدين من خلال تجربة المتدينين به في مقطع زمني محدود جداً.

ثالثاً، مَنْ يريد أن يقيّم تجاربهم يجب أن يكون مُنصفاً، ولا ينظر إلى السليبات وحدها، وعليه أن يقرأ الإنجازات الإيجابية التي تحققت على أيديهم في مواجهة الاستعمار في فترة ما، وفي مواجهة الاستبداد، وفي نشر التوعية، وما تم تقديمه من تضحيات جسام في هذا الطريق.

رابعاً، لا يصح تقييمهم - على تنوّعهم - بمسطرة واحدة، ولا من خلال قراءة جزئية لمرحلة زمنية معيّنة، ولا بعيداً عن المؤثرات الخارجية وشيطنة الإعلام المعادي والدوائر المخبرانية.

□ رسائل إلى العاملين الإسلاميين:

الرسالة الثانية موجهة إلى الإسلاميين كأفراد وجماعات.. حان الوقت للقيام بمراجعة شاملة وجادة وناقدة وشفافة، والعودة إلى الدور الأصيل الذي يُناط بهم، وهو بناء الإنسان إيماناً وروحياً وأخلاقياً. في يوم ما، كانت الصورة واضحة أنّ الدخول في معترك التنافس النيابي، والعمل السياسي، ليس سوى أداة من أدوات إصلاح المجتمع، وليس غاية في حدّ ذاته.

أما اليوم، فقد ران على قلوب كثير من الإسلاميين ما كانوا يكسبون.. وصارت الأداة غايةً وديناً ورأس الأولويات في أجنداتهم.

لست أدعو الإسلاميين إلى مقاطعة العمل السياسي، ولكن من جهة أدعو إلى التفكير في الأولويات، ومن جهة أخرى أدعو إلى التفكير في ثمن الفاتورة المقدّمة اليوم على حساب الغاية الحقيقية للعمل الإسلامي، وهو ربط الناس بالدين.

□ العودة إلى صفاء العمل الرسالي:

رسالتي إلى المعنيين بالحالة الإسلامية، من علماء، وأفراد، وجماعات، وأحزاب.. كفاكم مهاترات سياسية.. كفاكم مكابرة.. كفاكم انغماساً في الذات.. تحمّلوا مسؤولياتكم.. وعودوا إلى صفاء الرسالة في صفاء الإيمان وإخلاص العمل وصدق النوايا وطهارة الروح ورحابة الأفق.. المسألة ليست مسألة كياناتكم.. المسألة ليست مسألة الأنا الفردية والجمعيّة.. المسألة ليست مسألة كراسٍ وسلطان ومال.. المسألة مسألة الإسلام، وعلاقة الناس بالله، وبكتاب الله، وبنبي الله، وبشريعة الله، وبالمصير الآخروي.. ولنتذكّر قوله تعالى محذراً ورثة الرسالة والرسالين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا، فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا، جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا، تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ «مريم: ٥٨-٦٣».





الخطبة الأولى

من أدعية الزهراء - القسم الرابع

ما زلنا مع دعاء مولاتنا فاطمة الزهراء «عليها السلام» وأوله: (اللَّهُمَّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي...). في مقطع لاحق من الدعاء تقول «عليها السلام»: (اللَّهُمَّ ذَلِّ نَفْسِي فِي نَفْسِي، وَعَظِّمْ شَأْنَكَ فِي نَفْسِي، وَأَلْهِمْنِي طَاعَتَكَ، وَالْعَمَلَ بِمَا يُرْضِيكَ، وَالتَّجَنُّبَ لِمَا يُسْخِطُكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

الغرور، والكبر، والعُجب، والاستعلاء على الخلق، كلها صفات سلبية تُدمر الحالة الإيمانية بما قد يدفع الإنسان إلى التمرّد على الله، والاستعلاء على أوامره ونواهيه وشريعته؛ وتسلبه تقوى الروح، وتُحيط العمل... كما تُدمر العلاقات الاجتماعية في ما بين الناس.

ومن هنا حذّر علي «عليه السلام» بشدّة من الإصابة بهذا الداء مشبّهاً له بالوباء الشيطاني الذي يحرض إبليس أن ينشره بين عباد الله: (فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّينَ وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ وَنَارَعَ اللَّهَ رَدَاءَ الْجَبْرِ، وَأَدْرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قَنَاعَ التَّذَلُّلِ..... فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ يُعَدِّكُمْ بِدَائِهِ وَأَنْ يَسْتَفْزِكُمْ بِبِدَائِهِ وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ).

والبعض قد لا يعيش الكبر والغرور والعجب والاستعلاء، ولكن منشأ ذلك لا ينطلق من خلال تربية النفس على ذلّ العبودية لله والتواضع مع خلقه، بل من خلال عوامل خارجية ضاغطة تجعله يشعر بالمهانة والاحتقار، بسبب قهر صادر

عن شخص ظالم، أو لسوء تربية، أو لظروف اجتماعية، أو للإصابة بعاهة شديدة يشعر معها بالدونية، وأمثال ذلك.

وفي المقابل، هناك من يتظاهر بذلّ العبودية والتواضع مع الناس، ويخفي بداخله نفساً خبيثة، فيصطاد بهذا الظاهر ضحاياه، ليسلبهم شيئاً من عقولهم فيتبعوه، أو أموالهم فيعطوه، أو مواقفهم فيعينوه.

ومن هنا سألت مولانا الزهراء «عليها السلام» في خواتيم دعائها أن يكون ذلّ العبودية لله، وتواضع الروح والجوارح مع الناس، طوعياً ناشئاً عن تربية النفس، والترقي في مدارج الأخلاق والسلوك، لا من خلال تلك العوامل الضاغطة الخارجة عن الإرادة، والتي تجعل من الشعور بالذلّ حالة سلبية، ولا من خلال حالة قشرية زائفة تكون شركاً لاصطياد بسطاء الناس: (اللَّهُمَّ ذَلِّلْ نَفْسِي فِي نَفْسِي).

وفي مقابل هذا الشعور بالذلّ أمام الله «سبحانه»، والتواضع مع الناس، يملأ فراغ الحاجة إلى العظمة بالإحساس بعظمة الله: (وَعَظُمَ شَأْنُكَ فِي نَفْسِي) ليكون ذلك دافعاً للاستقامة في طاعة الله وتحقيقاً للعبودية الصادقة: (وَالْهَمْنِي طَاعَتَكَ، وَالْعَمَلَ بِمَا يُرْضِيكَ، وَالتَّجَنَّبَ لِمَا يُسْخِطُكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ).

الخطبة الثانية

وصفة سماوية لعلاج الضغط النفسي

هناك ثلاثة أبعاد لصحة الإنسان:

١. صحة الجسد: ويقابلها مثلاً أمراض الكلى والجروح وارتفاع ضغط العين... إلخ.
٢. الصحة العقلية: ويقابلها مثلاً الفصام، الخرف، الاضطراب ثنائي القطب... إلخ.

٢. الصحة النفسية: ويقابلها اضطرابات من قبيل: القلق، الاكتئاب النفسي، الرهاب... إلخ.

وتعتبر الضغوط النفسية واحدة من أكثر العوامل النفسية شيوعاً والمؤثرة سلباً على الصحة الجسدية أو النفسية أو العقلية، وتترتب عليها اضطرابات كالأرق، والاكتئاب، وضعف التركيز، وسرعة الغضب، وسوء الهضم، والإجهاد السريع، وارتفاع ضغط الدم....

الضغط النفسي قد ينتج عن المواقف الصعبة التي نمر بها في حياتنا، في فترة زمنية محدودة جداً، كفترة الاختبارات المدرسية التي يمر بها الطالب مثلاً، أو ممتدة نسبياً كحالة الفقر مثلاً.

وليس بالضرورة أن تكون هذه المواقف الصعبة أموراً محزنة، كالإعاقة والخلافات الزوجية وفقدان عزيز بل قد تكون أموراً سعيدة من قبيل الإقبال على الزواج أو الانتقال إلى بيت جديد. كل هذا قد يسبب الضغط النفسي والذي قد يؤثر على حياة الإنسان بشكل سلبي، على المستوى الجسدي والعقلي والنفسي، وبالتالي على عطاء الإنسان، وفاعليته في الحياة، وكيفية تعامله مع المسببات والخلفيات العملية لهذا الضغط النفسي.

□ حديث القرآن عن الضغوط النفسية:

القرآن الكريم أشار إلى إمكانية أن يعيش الإنسان تحت وطأة الضغط النفسي نتيجة المواقف الصعبة التي قد تتراكم فتكون ضخمة من حيث الكم، أو بسبب نوعية تلك المواقف «الكيف».

في الآية ٩٧ من سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ وصف لحال النبي «صلى الله عليه وآله» وهو يعيش التحديات المتزايدة، ويواجه المواقف الصعبة، خلال محاولاته المتعاقبة على مدى سنوات لإقناع قريش برسالته.

ضيق الصدر هنا تعبير عن حجم الضغط النفسي الذي كان يعاني منه النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» في تلك الظروف المقترنة بالكذب والاستهزاء والتحقير والإهانة، وتعذيب وقتل بعض المؤمنين، وعدم استجابة السماء لمطالبات المشركين بنزول الآيات المادية «المعاجز»، ومحدودية عدد المؤمنين بالرسالة، واقتصارهم في

الأعم الأغلب على المستضعفين من الناس، وعدم وجود أفق واضح لتغيير الأوضاع إلى الأحسن، وأمثال ذلك.

وتُطلعنا سورة الشعراء على نداء النبي موسى «عليه السلام» حين جاءه الأمر الإلهي بالقيام بالرسالة: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ، قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ، وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ «١٠-١٣».

لاحظ تأثير الضغط النفسي على إمكانية النجاح في أداء المهمة، وعلى أداء بعض الأعضاء لوظائفها بالشكل المطلوب ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾.. أي أن الضغط النفسي يعيق فاعلية الإنسان.

□ وصفة سماوية:

ولكي يُحافظ على السلامة النفسية للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولكي يستطيع أن يؤدي الرسالة بالمستوى المطلوب منه، وكي لا تحبطه تلك المواقف، أو تقلل من نشاطه وفاعليته، قدّمت آيات سورة الحجر وصفة سماوية مركبة تتمثل بالآتي:

١- أن يعيش الإنسان الإحساس بالثقة بالله.. بقدرته ورحمته وعدالته وإحاطته بالأمور ليعيش الأمل والتفاؤل بالمستقبل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ..... إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ «٨٦-٩٥».

٢- عدم تقييم الأمور بحسب ظاهرها، بل السعي لامتلاك الوعي بسنن الله في الوجود وبفلسفة التنوع وتقلّبات الحياة: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ «٨٨».

٣- اعتماد الصفح منهجاً في التعامل مع الإساءات، وإرجاء محاسبة المسيئين إلى يوم الحساب الدقيق والعاقل والناشيء عن الإيمان العميق والإحساس الدائم بالحقيقة الأخروية: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ «٨٥».

٤- اتخاذ خطوة اجتماعية بالتقرّب إلى الأجواء التي ينسجم معها الإنسان ويشعر بالارتياح إليها لانسجامها معه فكرياً أو نفسياً أو من حيث الميول وأمثال

ذلك: ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ «٨٨» فالتواضع مفتاح تقوية العلاقة بهم وتحقيق المزيد من الانسجام والتآلف والتلاحم.

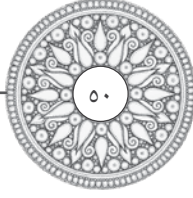
٥- الانفتاح على القرآن بمفاهيمه التي تقدّم لنا فلسفة الحياة، وتوجيهاته التي تخفّف من أوجاعنا النفسية، وبقصصه التي تقدّم العبر: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ «٨٧».

٦- الإقبال على ذكر التسبيح والتحميد والسجود والعبادة، وعلى رأسها الصلاة: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ، وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ «٩٧-٩٩».

□ رحمة من الله:

إن من رحمة الله «عز وجل» بعباده أن أرشدهم في القرآن الكريم إلى شيء مما يُصلح أوضاعهم الفكرية والنفسية والاجتماعية والسلوكية. وقد قدّمت آيات سورة الحجر المباركة وصفةً وقائيةً علاجيةً لمواجهة الضغط النفسي الذي قد يعاني منه أي فرد من بيننا، وما قد يترتب عليه من اضطرابات جسدية أو عقلية أو نفسية. وقد جاء في علم النفس الإيجابي المعاصر - في نتائج تحسّلت قبل أربعة عقود فقط - أنّ التدين وفعالية الذات والصلابة النفسية والدعم الاجتماعي والعلاقات الطيبة والتفاؤل تمثل مجموعة من أهم عوامل وقاية ومقاومة الضغوط النفسية، وهو ما يتوافق مع ما جاء في هذه السورة المباركة، وهو القائل «سبحانه»: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ «الإسراء: ٨٢»،





الخطبة الأولى مسئولية أهل الذكر

في الخطبة برقم ٢٢٢ من نهج البلاغة أن علياً «عليه السلام» قال عند تلاوته قوله «تعالى»: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ «سورة النور: ٣٧»:

(إِنَّ اللَّهَ «سبحانه وتعالى» جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ) إزالة ما يتراكم على القلب مما يمنع عن الاهتداء والاتعاظ، وبما يُبعد الإنسان عن الله ويجعله حبيس شراك الشيطان، وحينئذ يمكن للقلوب أن (تَسْمَعَ بِهِ بَعْدَ الْوَقْفَةِ) الصمم أو تَقَلَّ السَّمْعَ (وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعُسْوَةِ) عدم وضوح الرؤية (وَتَتَّقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمَعَانِدَةِ). هكذا يكون أثر هذه التجلية عن طريق الذكر.

□ استمرارية المذكرين:

(وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ - عَزَّتْ أَلَاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ) كالزمن الذي نعيشه اليوم حيث تنقطع علاقتنا المباشرة بأنبياء الله ورسله (عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ) لا عن طريق الوحي (فَاسْتَصْبَحُوا) واهتدوا وعرفوا طريقهم (بِنُورٍ يَقْظَةُ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ).

ولم يكتفوا بأن يكون مصباح الهداية هذا لهم وحدهم، بل سعوا أن يهدوا الناس إلى ما اهتدوا إليه.. وتحملوا مسئولياتهم في هذا الطريق.

(يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَيَخَوْفُونَ مَقَامَهُ) يذكرون الناس بأيام رحمة الله



وغضبه، أيام الانتصارات، وأيام الانتقام، بيوم البعثة، ويوم الفتح، ويوم تحقق الوعود الإلهية، ويوم القيامة، والحساب.

(بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ) حيث يُغيثون الناس ويهدونهم إلى الطريق بغض النظر عن خصوصياتهم، ويكونون بمثابة الرحمة النازلة من السماء حين يجدهم الضال. فقلوبهم رحيمة إلى أبعد الحدود، يعيشون الإيثار، ويتقربون إلى الله «سبحانه» بعمل الخير، حريصون على الآخرين حرصهم على أنفسهم، لأن قلوبهم كبيرة، ولذا فإن ردود أفعالهم تكون كالتالي:

(مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ، حَمَدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ. وَمَنْ أَخَذَ يَمِينًا وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ) يتابعون عملهم ولا يسأمون، ويغيرون أساليبهم لعلمهم بنجاحون، يترصدون الشبهات ليرفعوها عن أذهان الناس.

(وَأَنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ) هذا الذكر يمثل عنوان مسيرتهم في الحياة الدنيا نحو الآخرة (وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ) فهم غير سلبين تجاه ما يحيط بهم من أجواء الغفلة عن الله.

(وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ) فلا يعيشون الازدواجية في شخصيتهم الإيمانية، لأن ظاهرهم انعكاس لباطنهم..

على خلاف المنافقين والذين في قلوبهم مرض، من الذين اسودت جباههم، ولكن بقيت قلوبهم سوداء مظلمة..

ومن الذين لا تفارق حبات المسباح أناملهم، ولكن بقيت أياديهم منغمسة في معصية الله..

لأنهم لم يعيشوا تقوى الله في حقيقة وجودهم، غفلة، أو عن سوء فهم، أو لأنهم اتخذوه شعاراً لخداع الناس، أو ظناً بأن لهم أن يخدعوا الله «سبحانه وتعالى» في جنته ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ «البقرة: ٩».

الخطبة الثانية

الطاقة الهائلة للتسبيح

ذكرت في الأسبوع الماضي أن القرآن الكريم قدّم في سورة الحجر وصفة للوقاية والعلاج من الضغط النفسي، وكان من عناصر تلك الوصفة تسبيح الله «عز وجل». واللافت لمن يراجع القرآن الكريم بخصوص التسبيح سيجد تركيزاً على هذا الذكر في موارد الضغط النفسي.. فما العلاقة بينهما؟

□ استعراض الأمثلة:

بدءً فلنستعرض نماذج من الآيات في هذا المورد ثم نحاول اكتشاف العلاقة.

الآيات التالية تتحدث عن النبي موسى «عليه السلام» في ظرف عصيب جداً كاد أن يموت خلاله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرْنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «الأعراف: ١٤٣».

يونس «عليه السلام» حين ابتلعه الحوت بأمر الله «عز وجل»، وأي ظرف عصيب أشد من هذا الظرف؟ فبماذا توسّل؟ لاحظ بأيّ ذكر توجه إلى الله: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ «الأنبياء: ٨٧-٨٨». حتى عُرف هذا الذكر عند البعض بعنوان (الذكر اليونسي).

بل نجد في الآيات التالية بيان أهمية هذا الذكر في تقرير مصيره: ﴿فَالْتَمَعَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ «الصافات: ١٤٢-١٤٤».

وهكذا عندما تمنّى زكريا «عليه السلام» الولد، وكان يعيش ظرفاً عصبياً نتيجة الخوف على مستقبل الرسالة من الكهنة غير المؤهلين لشغل موقعه بعد وفاته،

جاءته البشارة، ففكر في ردة فعل الناس والموقف الصعب الذي قد يواجهه هو وابنه: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادَّكَّرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ «آل عمران: ٤١».

ولم يكتف بذلك، بل إدراكاً منه لعظمة هذا الذكر وأثره قام بالتالي: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ «مريم: ١٠-١١».

وفي قصة أصحاب الجنة حين أحرقت جنتهم: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ لتلافيتم هذه الخسارة الضخمة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ «القلم: ٢٨-٢٩».

سيدنا محمد «صلى الله عليه وآله» بالإضافة إلى ما جاء في سورة الحجر من الأمر بالتسبيح في مواجهة الضغط النفسي الكبير ضمن الأجواء الرسالية الضاغطة نجد في سورة طه هذا التوجيه الإلهي: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ «طه: ١٣٠».

ونجد مثل ذلك في سورة غافر: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ «غافر: ٥٥».

في أجواء غزوة الأحزاب والتحديات الخارجية والداخلية في منتصف عهد الهجرة النبوية يأتي التوجيه الإلهي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ «الأحزاب: ٤١-٤٢».

بل في سورة الفتح ما يدل على أن من ضمن غايات إرسال النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقوم المؤمنون بالتسبيح: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ «٨-٩».

□ سر أهمية التسبيح:

ما هذه الطاقة العظيمة التي يعطيها التسبيح؟ ومن أين تأتي؟ مع التأكيد على أنها ليست الخطوة الوحيدة التي تتخذ في المواقف العصيبة، ولكنها مفردة مميزة متكررة.

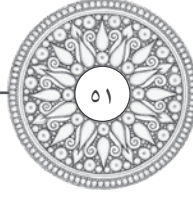
لربما يكمن السر في ما يرسّخه هذا الذكر من تعظيم لله «عز وجل» في النفس.. فإذا عظم الله في النفس، صغر كل شيء في عين الإنسان سواء «سبحانه» كما هو المروي عن علي «عليه السلام» أنه قال في وصف المتقين: (عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ). ولهذا نتائج عملية من بينها الاستقامة في الإيمان، وفي الطاعة، مع طمأنينة النفس.

عظمة الله في النفس تعطي قوة للإنسان من خلال حالة الطمأنينة التي يعيشها، فليس هناك من موجود يستطيع أن يعترض إرادة الله، وليس هناك من مخلوق يستطيع أن يغلب الله، وليس من شيء يغيب عن الله.. وهذا التعظيم يحتاج إلى ترسيخ، والتسبيح المستمر يقوم بهذه المهمة.

لاحظ القوة والصلابة والرسوخ لدى من يعون حقيقة العظمة الإلهية: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٩).

ومن هنا نفهم سرّاً من أسرار استحباب تلاوة آية الكرسي للحفظ عند الخوف أو القلق من أمر، لما فيها من مفاهيم تتضمن عظمة الله، فيعيش الإنسان الطمأنينة من خلال تلك المعاني.. ومن هنا أيضاً نفهم سرّاً من أسرار تسبيح الزهراء «عليها السلام»، بما يتضمّنه من ذكر التكبير والحمد ثم التسبيح، وما يرسّخه ذلك من خلال التكرار في العدد، والتكرار في الأوقات المختلفة من تعظيم لله، بشرط أن يعيش الذاكر معاني هذا الذكر لتترسّخ في وجوده وعقله وشعوره.. وهكذا نفهم السر في كون ذكر الركوع والسجود هو التسبيح.. وفي قيام بعض الركعات.

أدعو نفسي وأدعوكم أيها الأعزاء إلى العناية بذكر الله بكرة وأصيلاً، وأدبار الصلوات، مع استشعار معاني تلك الأذكار، ومن أفضلها - لا سيما في المواقف العصبية وعند الشعور بالضغط النفسي - ذكر التسبيح الذي زخرت به آيات القرآن الكريم وهي تستعرض سيرة النبيين والمؤمنين، لما يتضمّنه هذا الذكر من ترسيخ لحقيقة العظمة الإلهية، وما يترتب على ذلك من استقامة على مستوى الإيمان والعمل الصالح وطمأنينة الروح وتخفيف ضغوط الحياة على النفس.



الخطبة الأولى بصيرة أهل الذكر

تحدثت قليلاً في المرة الماضية حول ما جاء في الخطبة برقم ٢٢٢ من نهج البلاغة، وفيها أن علياً «عليه السلام» تلا قوله «تعالى»: ﴿يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ثم تكلم حول ذكر الله، ومسئولية الذاكرين. وقال بعد وصف نهوض أهل الذكر بمسئوليتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الضالين: (فَكَاَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ. فَكَاَنَّمَا أَطْلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا).

إنهم ما يزالون في الدنيا، وكل من البرزخ والآخرة غيب، ولكنهم من خلال ذلك الذكر المستمر خصهم الله بمرتبة من اليقين بهما، وامتلكوا بصيرة صار معها الغيب بالنسبة إليهم حقيقة مشهودة لا لبس فيها. ولكن، هل اكتفوا بأن أنعم الله عليهم بما أنعم؟ كلا، بل إنهم انطلقوا في مجتمعاتهم: (فَكَشَفُوا غَطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَانَهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ) تحقق مثل هذا الأمر ليس بالسهل، ولكنها البصيرة التي يمنحها الله لهم.

وواحدة من الصور الغيبية التي شاهدها بعقولهم، الحساب الأخروي الدقيق: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا

يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا» «الكهف: ٤٩»، ولذا بادروا لمحاسبة أنفسهم بدقة قبل الوقوف بين يدي الله في ذلك الموقف: (فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَابِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَّغُوا لِمَحَاسِبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمْرًا بِهَا فَقَصَّروا عَنْهَا، أَوْ نَهَوْا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا).

هذه هي الخطوة الأولى، أما الثانية فهي تحمّلهم لمسئولية ما قدّموا، بالمبادرة إلى إصلاح أخطائهم.. (وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ). ولكنهم حيث يجدونها ثقيلة التبعات، يتوجّهون إلى الله بالتوبة والبقاء وطلب العون: (فَضَعُفُوا عَنِ الاسْتِقْلَالِ بِهَا، فَتَشَجُّوا نَشِيجًا، وَتَجَاوَبُوا نَحِيًّا، يَعِجُونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامٍ نَدَمَ وَاعْتَرَفَ).

إن علياً «عليه السلام» لا يصف بكلماته هذه ملائكة مقربين، ولا عباداً معصومين، بل إنه يتحدث عن نموذج قابل أن يكون كل فرد منا مصداقاً من مصاديقه، غاية ما في الأمر أن المطالب لا تدرك بالتمني.. بل بالعزيمة والهمة والعمل الجاد.

الخطبة الثانية

عيد الحب.. الإسرائيلي

في السنوات الأخيرة بات يوم الرابع عشر من فبراير من كل عام يُعرف بعنوان عيد الحب. ولكن في هذا العام، أرادت بعض الجهات الدولية أن تجعل من نفس ذلك اليوم عيداً لحب من نوع آخر.. عيداً للحب الإسرائيلي.

وهكذا تمت دعوة ستين دولة - ومن بينها دول عربية وإسلامية - للاجتماع في وارسو ليعلنوا - طائعين أو مُكرهين - وبصوت واحد: نُحبكِ يا إسرائيل.

□ لا يسعون إلا فساداً:

صدّقوني، لا ينطبق على حُب إسرائيل إلا المثل الدارج: «حَبْك برص، وسبعة خُرس»!

إسرائيل والحُب؟! ماذا لدى الصهاينة مما يمكن أن يجعلنا نحُبهم ويُقرّبنا إليهم؟ أحقادهم؟ مشاريعهم التدميرية؟ موسادهم؟ وحشيتهم في تعذيب الأطفال والنساء؟ استخدام الأسلحة المحرّمة؟ جرائم الإبادة الجماعية؟ مؤامراتهم التي لا تهدأ؟ فهمونا.. ماذا لديهم لكي يجعلهم محبوبين؟

لا يمكن أن يكون للإسرائيليين حضور في أي بلد إلا ويكون في مقدمتهم رجال مخابراتهم ليعيثوا في الأرض فساداً.. هذا الكيان ليس وجوداً سوياً كي يمكن تصوّر أي شيء له علاقة بالسلام عند وقوع حالة من التطبيع أو ما شابه. بمجرد أن أسقط نظام المقبور صدام حسين، دخل الموساد إلى العراق، ومن أوائل ما قام به عمليات اغتيال العقول العراقية، ثم أعقبها بالتفجيرات وإحداث الفتن بين القوميات والطوائف.

مثال بسيط: في فبراير ٢٠٠٩ نشر موقع Infowars.com تقريراً للصحفي «وين مادسون» Wayne Madsen - وهو ضابط سابق في المخابرات البحرية الأمريكية - حول خطة إسرائيلية لتهجير سكان بعض مناطق محافظة نينوى من المسلمين والمسيحيين واليزيديين عن طريق شن هجمات إرهابية ضدهم، وذلك بهدف توطين يهود من الأكراد يؤتى بهم من إسرائيل، لأن الصهيونية تعتبر هذه المناطق جزءاً من إسرائيل الكبرى بحدودها التوراتية.

في عُرْف الصهاينة لا وجود للمحرّمات.. المؤرخ الإسرائيلي د. «يغال بن نون» الأكاديمي في جامعة بار إيلان ذكر - في بحث نشره - أنّ «إيسر هاريل» مدير الموساد في أوائل ستينيات القرن العشرين أرسل إلى المغرب خلية كبيرة لتنفيذ أعمال إرهابية ضد اليهود، واتهام السلطات المغربية بذلك، لكي تسمّح للحركة الصهيونية باستجلابهم إلى فلسطين المحتلة. وبماذا برّر رئيس الموساد آنذاك فعلته؟ قال: الغاية تبرر تقديم شهداء يهود!

□ تفجير فندق الملك دواد:

هؤلاء لا يتورعون عن ارتكاب أبشع الجرائم بأقرب الناس إليهم وبحلفائهم

وداعميهم ما دام أن الأمر يصب في صالح مخططاتهم.

في سنة ١٩٤٦، قامت جماعة الإرجون الصهيونية برئاسة مناحيم بيغن بتفجير فندق الملك داوود في القدس، والذي كان مقراً لحكومة الانتداب البريطاني في فلسطين.. وقتل في تلك العملية الإرهابية ٩١ شخصاً. ونحن نعرف أنه لولا الدور البريطاني لما حصل الصهاينة على شيء في فلسطين.. ولكن هكذا هم الإسرائيليون.. وكأنهم يقولون: من الحب ما قتل!

على إثر التفجير، أُدين الصهاينة من قبل حكومات العالم، ولكن لما أُصدر ضباط الانتداب لأفرادهم أمراً بتجنّب التواجد في المرافق اليهودية العامة كالمطاعم خوفاً من تعرّضهم للقتل أو الإيذاء بعد هذه العملية، قلبت الآلة الإعلامية الصهيونية الأمور لتظهر بمظهر الضحية من خلال كون هذا القرار معاداة للسامية!! أخرج هذا الأمر بريطانيا وانقلب وضعها من كونها الضحية إلى كونها الطرف المدان، فتراجعت عن هذا القرار!

□ لحظة تاريخية:

نتباهوا اعتبر أن ما حصل في عيد الحب الإسرائيلي لحظة تاريخية.. وهو مُحق في هذا.. ولكن من يدري؟ لعلها اللحظة التي عبّر عنها الله «تعالى» بقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ «الأنعام: ٤٤».

اللافت أيضاً، أنه طوال السنوات الماضية كانت أصوات فقهاء الفضائيات تصدح بتحريم الاحتفال بعيد الحب، وأنزلوا غضبهم وصبّوا لعناتهم على مَنْ يشتري وردة حمراء أو هدية يهديها إلى مَنْ يُحب، وتوعّدوهم بغضب الله والعذاب الأليم. لا أدري أين هي هذه الأصوات؟ وكأنّ قد أصابها الخرس عند الاحتفال بعيد الحب الإسرائيلي! أهذه هي أولوياتكم؟ أهكذا هو الإسلام الذي يفترض بأنكم الدعاة إليه؟

□ حذار من المرحلة الإسرائيلية:

لقد تحدثت من قبل عن المرحلة الإسرائيلية، وذكرت في ذلك الوقت أنه إذا استطاعت إسرائيل أن تتحرّك في المنطقة كما تشاء، فإنها لن تجلب لها

إلا الدمار، وسيتحكم الكيان الصهيوني بطرقه المعهودة في المنطقة، ويفرض سياساته ومصالحه بشكل غير مسبوق، وستصبح له الكلمة الأولى والأخيرة، وسيكون هو سيّد المشهد بلا منازع، ولن يرتاح الصهاينة قبل أن يعيشوا في هذه المنطقة فساداً.... وأنّ الذين يُسارعون في كسب ولاء الصهاينة لن يحصدوا إلا الندم.

□ الموقف الكويتي:

كثيرون يعلمون أن الكويت واقعة تحت طائلة الضغط والحرج السياسي في خصوص هذه المسألة، وهي التي ما فتئت على المستويين الرسمي والشعبي تُطالب بالحق الفلسطيني وتدين الإجرام الصهيوني، سواء ما صدر عنها في مجلس الأمن أو في البرلمان الدولي أو غير ذلك. والموقف الشعبي القوي المناهض للتطبيع مع الكيان الصهيوني من شأنه أن يعين الموقف الرسمي في الاستمرار برفض التطبيع. تحية إكبار وتقدير لكل الأفراد والجماعات في الكويت وخارجها - وأخص بالذكر شبابنا الأعزاء - الذين رفعوا أصواتهم بطرق مختلفة معلّنين رفضهم لأي نوع من التطبيع مع الكيان الصهيوني المجرم.. وهم وغيرهم مطالبون بالاستمرار في إعلان موقفهم المبدئي.. ونتطلع أن يقرأ المسؤولون الرسالة بوضوح ليكونوا في سفينة واحدة مع الجمهور الواعي لحقيقة المرحلة.

وحيث نحتفل في هذه الأيام - في الكويت - بذكرى الاستقلال وذكرى التحرير، فمن مسؤوليتنا أن نشعر بحق الشعب الفلسطيني في استقلال وطنه من الاحتلال والظلم والاضطهاد تماماً كما سعيينا جميعاً لذلك ونحن في ظل الاحتلال الصدامي.